
الكتاب
المقدس
والمؤرخون
دراسة مقارنة
قليني نجيب

انئمئ قطهئبئئ ا

yسم الكتاب: الكتاب المقدس والم}رخون

إسم المؤلف: قليني نجيب

الترقيم: (ASIN : B08PXM4LCC).

الموضوعات

الفصل الاول

المؤرخون واهل الكتاب

اختلاف المصادر

إعتمد عدد من المؤرخين العرب والمستعربين على اهل الكتاب، وذلك في الكثير من الأخبار التي لها علاقة بالتوراة مثل قصة الخلق، ومعصية آدم، وقايين وهابيل، ونوح والطوفان، وابراهيم، وموسى، وغيرها الكثير مما سوف نعرض له لآحقاً بشئ من التفصيل. كما إعتمدوا ليس فقط على التوراة بل وايضاً على كتب يهودية أخرى مثل التلمود والمشنا وغيرهما.

واخذوا عن المسيحيين الكثير مما ورد في أسفار العهد الجديد فذكروا زكريا ويوحنا، والعذراء مريم، والكثير من أخبار السيد المسيح، واخبار تلاميذه. كما أخذوا من شعراء الجاهلية الذين كانوا قد نظموا الكثير من أخبار التوراة ابياتا شعرية مثل امرؤ القيس وامية ابن ابي الصلت وعمرو ابن زيد ابن نوفيل، وغيرهم.

ويشير الدكتور أبو ذؤيب، إلى إتصال الاخباريين الأوائل بنظرائهم من يهود مصر والعراق، وتأثرهم بهم ونهلهم من معينهم، يقول:

" على ان كثيراً من العقائد والتعاليم اليهودية، التي وردت في الكتب المقدسة وفي المشنا والتلمود وقف عليها كثير من علماء المسلمين باختلاطهم المباشر باليهود في العراق ومصر، ولكنه نُسب بغير حق لمسلمة يهود بلاد العرب في القرن الأول للهجرة "[1].

كما يشير الدكتور جواد علي الى تأثر اهل الاخبار بأهل الكتاب وبخاصة في إعتمادهم على سلسلة الأنساب البشرية وغيرها من الموضوعات التي وردت في التوراة، يقول: " لهذا المدون في التوراة عن الإسماعيليين والقحطانيين، وعن نوح واولاده، وعن الانساب الأخرى، أثر ظاهر على عمل أهل الأخبار والانساب ... ان اكثر رواة هذا النوع من الأخبار كانوا قد استقوا من معين واحد. هم مسلمة أهل الكتاب، مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام، ومحمد بن كعب القرظي، ورجل من أهل تدمر عرف ب "أبي يعقوب" كان يهودياً فاسلم. وقد زود "

---

1) د. ابو ذؤيب، كعب الاحبار، مراجعة: محمد عباس، صـ 20.

ابن الكلبي" وغير ابن الكلبي بقسط من هذه الأسماء التي يستعملها النسابون في الانساب. وكان محمد ابن إسحاق صاحب السيرة يعتمد على أهل الكتاب، ويكثر الرواية عنهم و يسميهم أهل العلم الأول " [1].

ولا تدل اقتباسات المؤرخين من الكتاب المقدس، على انهم كانوا يملكون كل أسفاره في ايديهم. كما نلاحظ انهم وضعوا للأخبار والحوادث ما لم يرد في صحيح القصص الكتابي ولا يمت له بصلة؛ كتلك التي نقلها اليهم اليهود من كتبهم غير النبوية مثل التلمود والمشنا. وقد ادى افتقارهم الى وجود نسخة كاملة من الكتاب المقدس باللغة العربية، إلى عدم التمييز بين ما هو كتابي وما هو غير كتابي. فنراهم يسردون المنحول جنبا إلى جنب مع القصص التوراتي ويخلطون هذه بتلك، الى جانب ما اضافوه من عندهم مما استقوه من مصادر اخرى لكي يزيدون بها اوراق صحفهم، ويشحذون بها الباب قرائهم.

ولكن الثابت انهم – كما شهدوا هم بذلك – إنما استقوا معلوماتهم من أهل الكتاب اكثر مما إعتمدوا على نصوص الكتاب ذاته. ولذلك جاءت أخبارهم مختلفة في الكثير عما ورد فيه، وغير مطابقة له بالحرف.

وينوه الدكتور جواد إلى قلة الموارد التاريخية في العصر الجاهلي. والى عدم صحتها في كثير من الأحوال[2]، مشيرا إلى طرق البحث العلمي التي ابتكرها المستشرقون، والى واهميتها في كشف ما اندثر من تاريخ العرب القديم. وفي الوقوف على ما ورد به من اغلاط، ومن ثم تصحيح ما يمكن تصحيحه[3]. واخذ على المؤرخين العرب انهم لم ينهلوا من مناهل اخوانهم الغربيين من المؤرخين اليونانيين والذين اتسمت اعمالهم بالدقة والموضوعية[4].

---

1) د. جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام صـ 162.

2)" لان أهل الأخبار لم يكونوا يسيرون على قواعد ثابتة وانظمة معينة في أخذ الأنساب، ولهذا نراهم يقعون في الغلط، وذلك يدل على ان علمهم بالأمور الواردة في التوراة لم يكن علماً راسخاً، وان علم محدثيهم من أهل الكتاب لم يكن راسخاً أيضاً ولم يكن مستمداً من التوراة رأساً، بل من السماع والرواية في بعض الأحايين، والا لما وقعوا في أغلاط شنيعة، وما احتاجوا إلى الوضع والكذب، كالذي نراه من كعب الأحبار ووهب بن منبه وامثالهما " – د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، صـ171.

3) د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام صـ 16.

4) د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام صـ 32.

وفي مطالعة كتبهم نلاحظ، وبدون عناء الكثير من الإختلافات حول اشخاص واحداث تتعلق بتاريخ أسلافهم. ولذلك فلا غرابة اننا نجد اختلافات اكثر فيما يتعلق بتواريخ الأمم الأخرى التى كانت تربطهم بها صلات من قريب او من بعيد. فكانوا يضيفون إليها ما يستحسنونه، ويحزفون منه ما يانفونه. وفضلا عن ذلك انهم كانوا يتناقلون الأخبار شفاها فكانت الأحداث تختلط ببعضها في ذاكرة المؤرخين كما كانت تتأثر بمآثرهم وعوائدهم.

ويشير جورجي زيدان إلى سبب آخر لوقوع الاخطاء في كتب المؤرخين وهو الكتابة العربية غير المنقوطة، يقول:

" وقد ساعد على زيادة الألتباس والإختلاط فى روايات العرب الخط العربى؛ وكان يكتب أولاً بلا نقط، ولم يكن عندهم ما يميز بين الباء والتاء والثاء، أو بين الجيم والحاء والخاء، أو بين السين والشين ... فوقع بسبب ذلك إلتباس فى قراءة الأسماء. وظهر أثره فى إختلاف المؤرخين والنسّابين فى أسماء الأشخاص والقبائل والأماكن. فمن أمثلة ذلك ان إبن خلدون يسمى أحد ملوك حمير أفريقش والمسعودى وابو الفدا يسميانه آفر يقسى ... وعلى هذا المبدأ تحول إسم قايين إلى قابيل، وشاول إلى طالوت، وجليات إلى جالوت، وقورح إلى قارون.." [1].

وبعد إثنائه على أهمية التاريخ وضرورة الوقوف عليه للموعظة والاعتبار، أشار ابن خلدون في تاريخه إلى وقوع المغالط في مثل تلك الاخبار. وذكر سبب ذلك وهو النقل دون اعمال العقل، قال:

" وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع، لإعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً، لم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط " [2].

وكانت اليهودية والمسيحية منتشرتين إلى حد كبير في شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية، إلى جانب الصابئة من الفرس، والاكثرية من الوثنيين. وقد كثرت الملل والنحل حتى في وسط الموحدين انذاك من أهل الكتاب فشاعت النسطورية.

---

1) جورجى زيدان، تاريخ العرب قبل الإسلام، صـ 19 ، 20.

2) تاريخ ابن خلدون، جـ1، صـ 13.

كما شاعت بدعة المريميين الذين قالوا بأن الله تزوج مريم وانجب منها المسيح. وقد تصدى لهذه البدعة اسقف يدعى ابيفانيوس.

وكان لليهود موروثهم الأدبي – بخلاف التوراة وكتب الانبياء– ممثلا في كتاب التلمود والذي احتوى على شروحات للتوراة. وتضمن كذلك الكثير من الأساطير مثل تلك الأعمال الخارقة التي خلعوها على بعض الشخصيات الكتابية.

وسوف نقصر بحثنا قدر الامكان على ما رواه المؤرخون مما جاء متفقا من قريب او من بعيد مع نص الكتاب المقدس، مستبعدين – قدر الامكان – ما اخذ عن غير الكتب النبوية.

واذا كان القدماء قد وقعوا في تلك الأغلاط، فلربما إن نحن وقفنا على طبيعة العقول انذاك وافتقارها إلى ما يعرف عندنا نحن بأسباب البحث العلمي لالتمسنا لهم الأعذار. اما الطامة الكبرى فهي انه ما زال الكثيرون يقبلون على أخبار القدماء وينهلون منها ويحشون بها ادمغتهم بدون تبصر وبغير اعمال للعقل.

ومما يزيد الامر سوءا، ان اكثر الناقلين المحدثين يطرحون على ساحة القراء ما نقلوه دون بحث وامعان للفكر. ولا يردوه إلى مصدره الأول لأسباب ذاتية لا تتمشى مع اساليب البحث العلمي. وقد اشار الدكتور طه حسين الى اعراض المحدثين المتعمد عن ذكر المصادر التي أخذوا عنها أخبارهم، قال:

" ولقد مضت سُنة المؤرخين من قومنا، برواية الأخبار والحوادث، لا يهملون تحليلها فحسب، بل يهملون ايضاً ذكر المصادر التي استقوا منها رواياتهم... كأن الصدق لهم واجب، والعصمة عليهم موفورة؛ وكأن وقوع الكذب منهم ممتنع ونسبة الخطأ إليهم جُرم كبير ! "[1].

ولهذا يجب اعادة النظر فيما آل إلينا من أخبار القدماء، فلا نقبله قبول الساذج مهما بلغ هذا او ذاك من قدر عند أهل زمانه. لانه لم يكن يملك ما نملكه نحن من ادوات وموازين تجعلنا نزن المنقول ونحلله ونفحص محتواه ونبحث في اصوله الأولى؛ ونقارنه بما عندنا مما امدتنا به المصادر الأخرى، وذلك حتى نقف على الحقيقة، او ما يقرب منها.

---

1) د.طه حسين، تجديد ذكرى ابى العلاء، ط33 ، سنة 1937.

ويجدر بنا ان نشير إلى ما قام به علماء الاركيولوجي من بحث وتنقيب، وفك لشفرات اللغات القديمة، كما حدث للغة المصريين القدماء، بفضل جهود العلماء وعلى راسهم شامبليون وزميله توماس يونج، من خلال لوحة بطلميوس الخامس والمعروفة بحجر رشيد. وكما حدث للغات الفارسية والميدية القديمة التي وجدها العلماء على صخرة بهستون بايران والمعروفة بـ حجر رشيد الشرق. وما عثر عليه المنقبون كذلك في اطلال المدن العتيقة من كتابات مسمارية امدتنا بالكثير من اخبار الازمنة الغابرة. الى جانب ما قام به المستشرقون من ابحاث في شبه الجزيرة والشام وارض الرافدين ومصر منذ مطلع القرن التاسع عشر؛ وبمقارنة هذه بتلك يمكننا ان نعرف التاريخ الصحيح، وتصحيح ما وقع فيه المؤرخون، من اخطاء سواء كانت مقصودة او مجهولة عندهم.

اختلاف الاخبار:

تتعدد الاراء والحقيقة لابد وان تكون واحدة؛ سواء كانت من هذه الاراء او من خلافها. ونذكر من تلك الإختلافات – وهي كثيرة – ما اشار اليه أبو الفدا عن نطق ونسب نبايوت[1] بن إسماعيل، قال:

" ثم ولد لحمل نَبْت بن حمل، ويقال له نابت، وقيل نبت بن قيذار، وقيل نبت بن إسماعيل وفي ذلك خلاف كثير"[2] ". وذكر خلافاً حول عيلان فهو ابن لمضر وهو حفيد مضر وهو فرس مضر وهو كلب مضر! [3].

وذكر اختلافا حول ثقيف فهو من قيس وهو من اياد وهو من ثمود والبون شاسع بين هذه القبائل: " ومن قيس أيضاً بكر وبنو هلال وثقيف ... وقد قيل: ان ثقيفاً من إياد، وقيل من بقايا ثمود" [4].

واختلفوا في نوع الشجرة التي امتحن الله بها آدم وحواء " فمن قائل أنها الحنطة واخر أنها الكرمة واخر أنها الحنظل "[5]. واختلفوا حول إسم الشيطان فهو عزازيل[6] وهو الحارث[7]. وفي تقدمة قايين ما بين الغنم والبقر: " فقرّب قابيل قمحاً وقرب هابيل أبكاراً من أبكار غنمه، وقيل: قرب بقرةً "[8]. واختلفوا في الموضع الذي قتل فيه هابيل ما بين الهند والبصرة ودمشق وغيرها[9].

واختلفوا في عمر نوح، وفي عدد من حملهم معه إلى الفلك ما بين ستة افراد وثمانين فردا[10]. واختلفوا في مسقط رأس إبراهيم ما بين السوس والأهواز وبابل

---

1) نبايوت بكر اسماعيل وقيدار وادبئيل ومبسام (تك 25 : 13، 1أخبار 1 : 29).
2) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 1، صـ 135.
3) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 1، صـ 134.
4) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 1، صـ 135.
5) المقدسي، البدء والتاريخ،جـ2، صـ93.
6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 24، 25.
7) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 57.
8) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 38 & ابو الفدا، المختصر، صـ 22.
9) القرماني، أخبار الدول واثار الأُول في التاريخ، صـ19.
10) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 55.

وكوثي وحران[1]. وفي إسم فرعون الذي استقبل إبراهيم فهو سنان بن علوان؛ وهو طوليس: " ثم سار إبراهيم إلى مصر – وصاحبها فرعون، قيل كان اسمه سنان بن علوان، وقيل طوليس "[2].

وفي عمر إبراهيم: " ولما مات إبراهيم عليه السلام وكان موته وهو ابن مائتي سنة وقيل ابن مائة وخمس وسبعين سنة "[3]. واختلفوا في عمر إسحاق ما بين مائة وستين سنة كما ذكر ابن الأثير في الكامل، ومائة وخمس وثمانين سنة كما أخبرنا المسعودي في مروج الذهب[4].

وورد في تاريخ المقدسي ان ليا (ليئة) هي زوجة ليعقوب، وانها ابنته وانها كانت زوجة لـ ايوب[5].

واختلفوا في ثمن يوسف بين عشرين واربعين درهما: " فاشتروه من أخوته بثمن بخس، قيل عشرون درهماً، وقيل أربعون "[6]. واختلفوا في إسم الذي اشتراه بمصر بين قطفير واطفير، وهو قريب من فوطيفار الوارد في سفر التكوين: " كان إسم الذى اشتراه قطفير وقيل ان إسمه أطفير ابن روحيب وهو العزيز وكان على خزائن مصر "[7].

واختلفوا حول ملكي مصر اللذان عاصرا يوسف وموسى، فذكر الطبري فرعون يوسف انه يدعى قابوس بن مصعب بن معاوية[8]،

واطال المسعودي[1] في عمر اخيه الوليد حتى جعله معاصرا لموسى النبي. وكلا المؤرخين اختلفا في نسبي قابوس والوليد.

---

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 72.
2) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ27.
3) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ219.
4) المسعودي، مروج الذهب، صـ34.
5) المقدسي، البدء والتاريخ، جـ3، صـ66، 72.
6) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ32.
7) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ235.
8) " قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير ابن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح " – الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ255.

وذكر ابن الأثير الخلاف في نسب زوجة قابوس، فهي بنت فرعون، وهي من بنات إسرائيل: " وكان فرعون في أيامه قابوس ابن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني، وكانت امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول، وقيل كانت من بني إسرائيل "[2].

واختلفوا في عصا موسى فهي من العوسج وهي من آس الجنة؟ : " وكانت من عوسج لها شعبتان وفي رأسها مجن، وقيل: كانت من آس الجنة، حملها آدم معه، وقيل في أخذها غير ذلك " [3] . والعليقة فهي من العوسج وهي من العناب: " فلما دنا منه رأى نوراً ممتداً من السماء إلى شجرة عظمية من العوسج، وقيل من العناب " [4].

واختلفوا حول قارون وهو قورح التوراة(عد16): " وكان قارون بن يصهر بن قاهث، وهو ابن عمّ موسى بن عمران بن قاهث، وقيل: كان عمّ موسى؛ والأوّل أصحّ "[5]. وفي عدد من أهلكهم الوباء نتيجة لوقوع بني إسرائيل في الزنى مع بنات مؤاب في شطيم[6] ما بين عشرين وسبعين ألفاً[7].

واختلفوا في كيفية موت موسى[8] وفي المكان[9] الذي دفن فيه. واختلفوا في ملك كوشان رشعتايم، فهو ملك قبرص، وهو ملك الأرمن: " فسلط الله عليهم كوشان ملك الجزيرة، قيل أنها جزيرة قبرس، وقيل بل كان كوشان المذكور ملك الأرمن، وكان من

---

1) " فكان موسى بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بمصر في زمن فرعون الجبار، وهو الوليد بن مصعب بن معاوية بن أبي نمير بن أبي الهلواس بن ليث بن هران بن عمرو بن عملاق، وهو الرابع من فراعنة مصر "– المسعودي، مروج الذهب، صـ35.

2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 130.

3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 136، 137.

4) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ33.

5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 156، 157.

6) الذين ماتوا بالوبا اربعة وعشرين الفا (عد25 :9).

7) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ307 – 309.

8) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ34.

9) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ32.

ولد العيص بن إسحاق "[1]. بينما ورد كوشان رشعتايم في سفر القضاة كقائد للاراميين(قض3 :5).

وذكروا صموئيل النبي ولكنهم اختلفوا في المدة التي قضى فيها لبني إسرائيل ما بين عشر سنين واربعين سنة[2]. واختلفوا حول مهنة طالوت: " قيل: انه كان راعياً، وقيل: سقاء، وقيل: دباغاً "[3]. وطالوت هو شاول ابن قيس اول ملوك بني إسرائيل(1صم9).

اختلفوا في اصل زارح الذي حارب اسا ما بين الحبشة والهند: " وخرج على أسا عدو فهزم الله العدو، بين يدي أسا، وقيل: ان العدو كان من الحبشة، وقيل: من الهنود "[4].

واختلفوا في نسب الاسكندر، فهو اخ غير شقيق لدارا (داريوس)، وهو ابن فيلبوس (فيلبس) وابن مصريم وقالوا في نسبه اقوالا لم يرد لها خبر في تاريخ العالم شرقه وغربه [5].

واختلفوا في مدة حمل إمرأة زكريا ما بين ساعة، وثلاث ساعات، ومن الأشهر، ستة وثمانية وتسعة: " وولدت إمرأة زكرياء يحيى، وقد اختلف في مدّة حملها، فقيل: تسعة أشهر، وهو قول النصارى، وقيل: ثمانية أشهر، فكان ذلك آية أخرى لأنه لم يعش مولود لثمانية أشهر غيره، وقيل: ستة أشهر، وقيل: ثلاث ساعات، وقيل: ساعة واحدة " [6].

---

1) ابوالفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ36، 37.

2) ابن الأثير، الكامل، م 1، صـ 164، 165& الطبري، تاريخ الامم، جـ1، صـ331،330.

3) ابوالفدا، المختصر، صـ41.& ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 164، 165.

4) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ44.

5) قالوا: " وقذ ذكرنا قول من قال ان الإسكندر أخو دارا لأبيه، وامّا الروم وكثير من أهل الانساب فيزعمون انه الإسكندر بن فيلفوس، وقيل فيلبوس بن مطريوس، وقيل: ابن مصريم بن هرمس بن هردس بن ميطون بن رومي بن ليطي بن يونان بن يافث بن ثوبة بن سرحون بن روميط بن زنط بن توقيل بن رومي بن الأصفر بن اليفز بن العيص بن اسحاق بن إبراهيم" – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 217.

6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 238.

واختلفوا في سنة ميلاد المعمدان، وفي طعامه: ".. وانما ولد يحيى قبل المسيح بثلاث سنين، وقيل بستّة أشهر، .. وكان يأكل العشب واوراق الشجر، وقيل: كان يأكل خبز الشعير[1].

وفي عمر العذراء قالوا: " حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة، وقيل: خمس عشرة، وقيل: عشرون"[2].

بل ووصل بهم الامر الى الاختلاف في عمر ابرز اعلام التاريخ العربي والاسلامي، فاختلفوا في عمر الخليقة عمر ابن الخطاب فقيل انه توفي وله " ثلاثا وستون، وقيل ست وستون، وقيل احدى وستون، وقيل ستون، ورجحه الواقدي، وقيل تسع وخمسون، وقيل خمس او اربع وخمسون"[3].

وفي عمر الخليفة عثمان ابن عفان " وكان قتل عثمان في اواسط ايام التشريق من سنة خمس وثلاثين .. وقيل كان قتله يوم الاربعاء، وقيل يوم الاثنين لست بقين من ذي الحجة، وكان له يوم قتل اثنان وثمانون سنة، وقيل احدى وثمانون سنة، وقيل اربع وثمانون سنة، وقيل ست وثمانون، وقيل ثمان او تسع وثمانون، وقيل تسعون"[4].

وفي عمر الامام علي ابن ابي طالب " وكان لعلي حين قتل ثلاث وستون سنة، وقيل سبع وخمسون، وقيل ثمان وخمسون "[5].

ومع ذلك، فقد ذكروا الكثير أيضاً مما ورد في الكتاب المقدس من أسفار العهدين وجاءت أخبارهم موافقة في بعضه من حيث ذكر الأشخاص والأحداث والترتيب الذي جاء في اصوله الأولى. فإبتدأوا بخلق السموات والأرض ثم خلق آدم ثم نوح والطوفان ثم إبراهيم ونسله، وقصة يوسف، وموسى والخروج.

وذكروا – باختصار – الكثير من القضاة الذين تولوا امر بني إسرائيل بعد يشوع وقبل بداية عصر الملوك. ثم افاضوا في الكلام عن داود، وعن ابنه سليمان. وقالوا فيه ما جاء وما لم يرد في أخبار الأيام والملوك الذين حظوا هم أيضاً بقسط كبير في

---

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 229.
2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 236.
3) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، صـ 110، 111.
4) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، صـ 130.
5) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، صـ 141.

كتابات المؤرخين. فذكروا يربعام ورحبعام ومن تعاقبوا على عرش كل منهما حتى زوال مملكة الأول بيد الأشوريين ومملكة الثاني بيد البابليين.

وما استقاه المؤرخون العرب من أخبار العهدين سواء بطريق مباشر او غير مباشر إنما يعزز من أهمية الكتاب المقدس كمصدر تارخي هام. كما ان الإعتماد عليه – ولو في هذه الناحية فقط – إنما يضع امامنا الحقائق الكثيرة التي اخطأتها اقلام المؤرخين، ويصحح السطور المعوجة في صحفهم، وذلك فيما يتعلق بالأخبار التي انفردت بها كتبة الأسفار وعلى رأسهم موسى كليم الله. الذي قدم لنا حادثة الحدوث والتكوين، واخبار الأسلاف والأولين منذ آدم ومرورا بنوح وبنيه الثلاثة: سام وحام ويافث الذين يعدون اقطاب الشجرة البشرية، وابراهيم واسحاق ويعقوب وبقية الذرية.

الفصل الثاني

التكوين وخلق الانسان

تحدث موسى النبي عن ابتداء الخليقة ناسبا ذلك الى لله بقوله: " في البدء خلق الله السماوات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه " (تك1:1). وقد جاء ذكر الارض بالمفرد كما جاء ذكر السموات بالكثرة دون الاشارة الى عددها. بينما اشارت كتب اليهود غير النبوية الى سبع سموات وسبع اراض " وقد خلقت سموات عديدة، سبع في الواقع، وكل منها ليخدم غرضا خاصا به .. وكما خلق الرب سبع سموات خلق سبع ارضين يفصل كلا منها عن الاخرى خمس طبقات "[1]. كما انهم حددوا سعتها وابعادها: " ويستغرق السير من الارض الى السموات خمسمائة عام، ومن طرف اي سماء الى طرفها الاخر وكذلك من سماء الى التالية "[2]. كما جاء بالتلمود ان المسافة بين السماء والارض هي خمسمائة عام. هي – كما يقول التلمود – حاصل مجموع اعمار الاباء ابراهيم واسحق ويعقوب.

وامدنا الاخباريون بروايات كثيرة عن الخلق والتكوين فمن ذلك ما رواه الطبري في تاريخه:

" .. ان الله عز وجل كان عرشه على الماء، ولم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء، فلما أراد ان يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً، فارتفع فوق الماء، فسما عليه، فسمّاه سماءً. ثمّ أيبس الماء فجعله أرضاً واحدةً. ثمّ فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين: يوم الأحد ويوم الإثنين، فخلق الأرض على حوت، والحوت النون .. والحوت في الماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة في الريح، وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الأرض، فتحرك

---

1) لويس جوينزبرج، اساطير اليهود، صـ 28، 29.

2) لويس جوينزبرج اساطير اليهود، صـ 30.

الحوتُ، فاضطربت وتزلزلت الأرض، فأرسى عليها الجبال فقرّت، والجبال تفخر على الأرض "[1].

ولم يرد في النص التوراتي ان عرش الله كان على الماء، بل قال بان روح الله يرف على وجه المياه كناية عن هيمنة القدرة الإلهية على كل شئ في الوجود وعلى كل فعل خلقي.

وقد جاء في التكوين انه بالأمر الإلهي اجتمعت المياه في مكان واحد: " ... ولتظهر اليابسة وكان كذلك. ودعا الله اليابسة ارضا ومجتمع المياه دعاه بحارا ورأى الله ذلك انه حسن. وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا يبزر بزرا وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه بزره فيه على الأرض وكان كذلك " (تك1 : 6).

وذكر المقدسي حادثة التكوين كما وردت في النص التوراتي السابق. وبمقارنته بالترجمة التي في ايدينا نجد تطابقا في المعنى والترتيب، مع اختلاف طفيف يتمثل في انتقاء اللفظ بين مترجم النص قديما وحديثا، قال المقدسي:

" وفي صدر التوراة التي في أيدي أهل الكتاب ان أول ما خلق الله السماء والأرض. وكانت الأرض خربة خاوية. وكانت الظلمة على الأرض. وريح الله تعالى يرف على وجه الماء. فقال الله: ليكن النور، فكان النور. فرأى الله حسناً. فميزه من الظلمة. وسماه نهاراً. وسمى الظلمة ليلاً. وقال: ليكن رفيعاً وسط السماء. فليحل بين الماء والسماء. فكان سقفاً يميز بين الماء الذي أسفل، وبين الماء الذي هو أعلى. وسماه سماء. وقال الله: ليجمع الماء الذي تحت السماء. وليكن اليبس فكان كذلك فسمى مجتمع الماء البحار؛ وسمى اليبس الأرض. وقال الله: لتخرج الأرض الزهر والعشب والشجر ذا الحمل؛ فأخرجت الأرض ذلك ... "[2].

واختلفت اراء المؤرخين فيما كان اول الخلق، ما بين القلم، والعرش، والماء، والنور، والظلمات:

" .. أول ما خلق الله العرش، فاستوى عليه. وقال آخرون: خلق الله الماء قبل العرش. وخلق العرش فوضعه على الماء .. وقد قيل: ان الذي خلق الله تعالى بعد

---

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 36.& ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 20 & المسعودي، أخبار الزمان، صـ 3.

2) المقدسي، البدء والتاريخ، جـ2، صـ3.

القلم الكرسي، ثم العرش، ثم الهواء، ثم الظلمات، ثم الماء فوضع العرش عليه .. ان الله خلق القلم قبل ان يخلق شيئاً بألف عام"[1].

وقال الطبري ان ما خطه القلم لم يخرج إلى حيز الوجود قبل ألف عام: " ان الله خلق القلم فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام قبل ان يخلق شيئا من الخلق "[2].

وانشد شعراء الجاهلية في خلق السموات وعددها، وفي عظمة الخالق ما لا بأس به من الشعر، فقال امية:

مجدوا الله وهو للمجد أهـــــل　　　ربنا في السماء أمسى كبيـــــرا

ذلك المنشئ الحجارة والمـــــو　　　تى واحياهم وكان جديـــــــــرا

بالبناء الأعلى الذي سبق النـــا　　　س وسوى فوق السماء سريـرا[3]

وقال لبيد

لله نافلة الأجل الأفضـــــــــل　　　وله العلى ولبيت كل مؤثـــــــل

سوى فأغلق دون غرفة عرشـــه　　　سبعاً طباقاً دون فرع المعقـــل[4]

يوم ابتدء الخليقة:

ان ما ورد في سفر التكوين بشأن إعداد الأرض لم يكن هو إبتداء الخلق بل ان الله سبق وخلق الكائنات الروحية: الملائكة والاجناد السمائية والمجرات والنجوم. ولم تكن الأرض عند إبتداء الخلق قد تكونت بعد. وبالتالي فلم يكن هناك دوران للارض حول محورها في وجود الشمس، حتى يحدث تعاقب لليل والنهار الذي هو علة الأيام والاسابيع والشهور والسنوات والدهور.

ولم يرد في التكوين ان الله إبتدأ الخلق في يوم من أيام الأسبوع؛ ومع ذلك فقد نسب الطبرى لأهل التوراة والإنجيل ما لم يرد فيهما بشأن يوم إبتداء الخليقة، مما

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ18، 19.
2) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ27، 34، 35.
3) المقدسي، البدء والتاريخ، جـ 1، صـ 165.
4) المقدسي، البدء والتاريخ، جـ 1، صـ 166.

يدل على انه – كما يذكر بحد قوله – أخذ ذلك عن أهل التوراة وليس عن التوراة نفسها، قال: " يقول أهل التوراة إبتدأ الله الخلق يوم الاحد وقال أهل الإنجيل إبتدأ الله الخلق يوم الإثنين ونقول نحن المسلمون فيما انتهى إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إبتدأ الله الخلق يوم السبت .."[1].

والأيام الستة هي حقب زمنية لا يعلم احد مقدارها بالضبط، لان " يوما واحدا عند الرب كألف سنة والف سنة كيوم واحد "(2بط3). وقد عبر الوحي عن كل حقبة بيوم للايجاز، ولكي ينصرف ذهن المتلقي الى الخالق القادر وليس الى المخلوقات وأوقاتها.

وبهذا المعنى قال ابن الأثير:

" أما ما ورد في هذه الأخبار من ان الله تعالى خلق الأرض في يوم كذا والسماء في يوم كذا، فإنما هو مجاز، والا فلم يكن ذلك الوقت أيام وليال. لان الأيام عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها. والليالي عبارة عما بين غروبها وطلوعها. ولم يكن ذلك الوقت سماء ولا شمس، وانما المراد به انه خلق كل شيء بمقدار يوم"[2].

ثم يستطرد بقوله: وعلى الرغم من انه يمكن حمل ذلك على التعبير الرمزى وان اليوم يقصد به حقبة زمنية غير معينة قد تكون مئات أو الآف من السنين، واذا نطق الوحى بذلك فماذا يفهم الجمهور ؟! ".

وفي الحقبة الأولى تهيأت الأرض لكي تضاء بوسيلة كونية ما، وما اكثرها فكانت النجوم والسدم والشمس:

" وقال الله ليكن نور فكان نور. وراى الله النور انه حسن وفصل الله بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهارا والظلمة دعاها ليلا "[3] (تك1).

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ30.

2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 20.

3) " كان اليوم حينئذ من مقابلة جزء من الأرض لكتلة منيرة غير منتظمة وتحركها على محورها إلى رجوعها إلى تلك المقابلة " – السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم ج1، صـ 14، لمجمع الكنائس فى الشرق الأوسط، بيروت 1973. وفي رأي اخر:

" ان كلمتي مساء وصباح لا يراد بهما الدلالة على شروق الشمس وغروبها بل على نهاية احد اعمال الخلقة وبداية غيره" – القمص ميخائيل مينا، علم اللاهوت، ج1 صـ97.

وقال ابن الأثير:

" أول ما خلق الله النور والظلمة، فجعل الظلمة ليلاً أسود، وجعل النور نهاراً أبيض مضيئاً " [1]. وقال الطبري: " ان الله خلق النور والظلمة بعد خلقه عرشه والماء الذى عليه عرشه "[2].

وفي الحقبة الثانية تكون الغلاف الجوي اي جلد السماء (تك1: 6–8). وفي الحقبة الثالثة انحسرت المياه عن معظم سطح الأرض واجتمعت في مكان واحد فظهرت القارات " وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة وكان كذلك.. وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا يبزر بزرا وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه "(تك1: 9).

وفي الزمن الرابع، تهيأت الأرض بشكل ما لتستقبل اشعة الشمس بشكل مباشر ومنتظم لانتظام دورانها حول محورها في وجود الشمس. وان تضأء ليلا بنفس المصدر ولكن بشكل غير مباشر عن طريق القمر. وهو امر لا يعقله من ليس له علم بالمجموعة الشمسية، وبموقع الأرض بالنسبة لها، ولهذا عبر موسى النبي عنه بلغة تناسب عقولا عاشت فبل نحو ثلاثة الاف وخمسمائة عام، قال:

".. فعمل الله النورين العظيمين النور الاكبر لحكم النهار والنور الاصغر لحكم الليل والنجوم " (تك1: 14).

وايدت رواية الطبري خلق النور في اليوم الرابع بقوله: " خلق الله النور يوم الاربعاء " [3]. كما أضاف خاصية أخرى للشمس لم ترد في سفر التكوين، نقلها عنه ابن الأثير بنفس المعنى، قال:

" .. في خلق الشمس والقمر وسيرهما، فانهما على عجلتين، لكل عجلة ثلاث مئة وستون عروة، يجرها بعددها من الملائكة، وانهما يسقطان عن العجلتين فيغوصان في بحر بين السماء والأرض، فذلك كسوفهما، ثم ان الملائكة يخرجونهما فذلك تجليتهما من الكسوف "[4].

---

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، صـ17.
2) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 24.
3) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ43
4) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 21.& الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 45.

واما ما ورد بشأن الحقبتين التاليتين: الخامسة والسادسة اللتين خلق فيها الحيوانات، والإنسان(تك1: 19)، فقد سكت عنهما المؤرخون آنفي الذكر.

ووافق ما اورده الطبري، ما جاء في سفر التكوين من وصف الحقب بالأيام، وان عددهم ستة؛ وان اخر الخلق كان آدم؛ ولكنه حدد اليوم بألف سنة معلومة[1]. واضاف ألفاً أخرى هي ما بين خلق القلم والأشياء الأخرى، فيكون مجموع مدة الخلق عنده هي سبعة الاف عام معلومين؛ بينما يرى شراح التوراة ان اليوم يشير الى حقبة زمنية ليست معلومة وليست مقدرة بألف عام.

---

1) " .. فإذ كان الله تعالى خلق الخلق من لدن إبتداء خلق السموات والأرض إلى حين فراغه من خلق جميعهم في ستة أيام وكان كل يوم من الأيام الستة التى خلقهم فيهن مقداره ألف سنة من أيام الدنيا وكان بين ابتدائه في خلق ذلك وخلق القلم الذى أمره بكتابة ما هو كائن إلى قيام الساعة ألف عام "– الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 38.

خلق آدم:

ذكر الوحي ان الله خلق آدم من تراب الأرض ونفخ فيه نسمة حياة " وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ في انفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية "(تك2).

وقال ايضا انه خلقه على صورته(تك1). اي مفكرا وحرا ومريدا وخالدا. وقد انفرد الإنسان بهذه الخصال دون غيره من المخلوقات التي لم يهبها نعمة الخلود.

وفي ذلك قال المقدسي:

" وروى ابن إسحاق ان أهل التوراة يدرسون فيها ان خلق الله آدم على صورته لما أراد يسلطه على الأرض وما فيها ... قال الله نخلق انساناً بصورتنا وشبهنا ومثلنا فيكون مسلطاً على سمك البحار والطير والانعام وكل ماشية على الأرض فخلق آدم على صورته ومثاله ونفخ في وجهه نسمة الحيوة وسلطه على ما في الأرض"[(1)].

ووافق المؤرخون سفر التكوين في القول بان آدم خُلق في اخر يوم، وانه خُلق من التراب؛ ولكنهم أضافوا اشياء لم ترد، كقولهم ان جسد آدم تُرك بغير روح لفترة من الوقت، فقال أبو الفدا: " ان الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأسود والأبيض وبين ذلك .. وتركه أربعين ليلة، وقيل: أربعين سنة ملقى بغير روح "[(2)].

وقال ابن الاثير: " فلما نفخ الروح فيه دخلت من قِبَل رأسه. وكان لا يجري شيء من الروح في جسده إلا صار لحماً. فلما دخلت الروح رأسه عطس .. فلما دخلت الروح عينيه نظر إلى ثمار الجنة. فلما بلغت جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة "[(3)].

وقال ايضاّ: " فلما أراد الله ان يخلق آدم أمر جبرائيل ان يأتيه بطين من الأرض، فقالت الأرض: أعوذ بالله منك ان تنقص مني وتشينني. فرجع ولم يأخذ منها شيئاً وقال: يا ربّ انها عاذت بك فأعذتها، فبعث ميكائيل، فاستعاذت منه فأعاذها. فرجع وقال مثل جبرائيل، فبعث إليها ملك الموت فعاذت منه، فقال: انا أعوذ بالله ان أرجع

---

1) المقدسي، البدء والتاريخ،جـ2، صـ80.

2) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ21.& المقدسي، البدء والتاريخ،جـ2، صـ82

3) ابن الأثير، الكامل، مج 1، صـ 27، 28. & الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 64.

ولم انفذ أمر ربي، فأخذ من وجه الأرض فخلطه ولم يأخذ من مكان واحد واخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء وطيناً لازباً، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين "[1].

وجاء في التراث اليهودي غير الكتابي ان الله استشار الملائكة قبل الشروع في خلق ادم، فوافقت على مضض. و " عندما وافقت الملائكة اخيرا على خلق الانسان قال الرب لجبريل: اذهب واحضر لي ترابا من اربعة اركان الارض لاخلق به الانسان . فانطلق جبريل لينفذ امر الرب؛ لكن الارض طردته؛ ورفضت ان يجمع ترابا منها.

احتج جبريل قائلا:

لماذا ايتها الارض لا تصغي الى صوت الرب الذي انشأك على المياه دون دعامات او اعمدة؟ ردت الارض قائلة: ساكون لعنة، وسأكون ملعونة من خلال الانسان. واذا لم يأخذ الرب بنفسه التراب مني فلن يفعلها احد. وعندما سمع الرب ذلك مد يده واخذ من تراب الارض وخلق به الانسان الاول... وايضا كان التراب ذا الوان عديدة احمر واسود وابيض واخضر"[2].

خلق حواء:

وعن خلق حواء من جنب آدم قالت التوراة:

" وقال الرب الإله ليس جيدا ان يكون آدم وحده فاصنع له معينا نظيره .. فاوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام فأخذ واحدة من اضلاعه وملا مكانها لحما. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم إمرأة. واحضرها إلى آدم. فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي هذه تدعى إمرأة لأنها من امرء أخذت .. "(تك 2: 18).

وذكر المقدسي ما ورد في التوراة في ايجاز: " وفي التوراة ان الله أسكن آدم الجنة قال لا يحسن ان يكون آدم وحيداً فلنخلق له عوناً يعني إمرأة فخلق حواء " [3].

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 26، 27 .
2) لويس جوينزبرج، اساطير اليهود، ترجمة حسن حمدي ط 1، صـ 68.
3) المقدسي، البدء والتاريخ،جـ2، صـ86.

ووافقت اقوال المؤرخين ما ورد عن خلق حواء من حيث أنها خلقت من جنب آدم بعد ان اوقع الله به سباتا. وذكروا ايضا الكلام الذي نطق به آدم عندما استيقظ وفوجئ بوجود حواء إلى جواره. فقال الطبري ناسبا الامر إلى أهل التوراة:

".. ثم ألقى السنة على آدم، فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم عن عبد الله بن العباس وغيره، ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر ولأم مكانها لحما، وادم عليه السلام نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله تعالى من ضلعه تلك زوجته حواء " (1). وذكر المقدسي(2) خلق حواء من جنب آدم على نحو ما جاء في سفر التكوين، كما ذكره ابن الأثير(3).

سقوط إبليس:

كان الشيطان من طغمة الملائكة، ثم تكبر على الله فطرده من حضرته وحرمه بعض سلطانه (اش14 :12). وجاء بسفر الرؤيا ان الشيطان سوف يلقى حتفه في اليوم الاخير (رؤ 12 : 9).

وجاء في التراث اليهودي ان سبب طرد الشيطان هو ان الرب دعا " جميع الملائكة للمجئ وتعظيم ادم وتكريمه. وقد رفض الشيطان – وكان اعظم الملائكة في السماء وله اثنا عشر جناحا بدلا من ستة مثل الاخرين – ان يذعن لامر الرب. وقال: لقد خلقت الملائكة من بهاء السكينة. وها انت تامرنا بان نخر ساجدين لهذا المخلوق الذي صنعته من تراب الارض! اجاب الرب: ولكن هذا التراب ذو حكمة وفهم اكبر منك. وعندئذ طلب الشيطان اجراء اختبار للذكاء والفطنة مع ادم ووافق الرب على ذلك قائلا: لقد خلقت بهائم وطيورا وزواحف وساحضرها جميعا امامك وامام ادم. ولو استطعت ان تسمي كلا منها باسمه، سامر ادم بالسجود لك. وستقيم بجوار سكينة مجدي. واذا لم تفعل ونجح ادم في تسميتها باسمائها التي سميتها بها عندها ستكون تابعا خاضعا لادم ... حاول الشيطان ان يسمي الحيوانات باسمائها ولكنه فشل مع اول اثنين عُرضا عليه وهما الثور والبقرة. فاحضر الرب امامه اثنين

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 70.

2) المقدسي، البدء والتاريخ،جـ2، صـ86.

3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 30. إعتمدنا على الطبعة البيروتية والتي يختلف ترقيم صفحاتها عن النسخة المطبوعة بمصر 1348 هـ.

اخرين وهما الجمل والحمار؛ ولكنه فشل ايضا. ثم التفت الرب الى ادم وسأله عن اسماء نفس الحيوانات. وصاغ كل سؤال بحكمة بالغة بحيث ان كل سؤال يبدأ بالحرف الاول من اسم الحيوان. وهكذا استطاع ادم ان يُظهر الاسم المناسب واضطر الشيطان للاعتراف بافضلية الانسان الاول. ومع ذلك فقد اخذته نوبة من الصراخ الهستيري الذي وصل الى السماء ورفض السجود لادم " [1].

وتحدثت المؤرخون عن ذلك الروح المضل، فقالوا بانه كان قبل سقوطه على رأس طائفة من الملائكة يقال لها الجن[2]. وفي رأي اخر ان الملائكة غير الجن، فذكر الطبري ان كل طائفة منهما خلقت في يوم غير الذي خلقت فيه الأخرى[3]. وقيل ان اسمه عزازيل[4] وقيل الحارث[5]. وقال إبن الأثير بأن سبب سقوطه انه تكبر على الله وادعى الربوبية:

" فأوّلهم وامامهم ورئيسهم إبليس. وكان الله تعالى قد حسّن خلقه وشرّفه وملّكه على سماء الدنيا والأرض، فيما ذكر. وجعله مع ذلك خازناً من خُزّان الجنّة. فاستكبر على ربّه، وادّعى الربوبية. ودعا من كان تحت يده إلى عبادته. فمسخه الله تعالى شيطاناً رجيماً "[6]. واضاف الطبري ان الكبرياء دخلته بعد انتصاره الساحق على طائفة من الجن كانت قد افسدت في الأرض وسفكت الدماء "[7].

ثم عرض ابن الأثير سببا اخر لمعصية إبليس هو انه رفض السجود لآدم، وهذا الرأي لم يرد في الكتاب المقدس، فمما ورد فيه نعرف ان جحود إبليس وطرده من الحضرة الإلهية حدث قبل خلق آدم. يقول ابن الأثير:

" ان الله تعالى خلق خلقاً، فقال: اسجدوا لآدم، فقالوا: لا نفعل، فبعث عليهم ناراً فأحرقتهم. ثمّ خلق خلقاً آخر، فقال: اني خالق بشراً من طين، فاسجدوا لآدم، فأبوا.

---

1) لويس جوينزبرج، اساطير اليهود، ترجمة حسن حمدي ط 1، صـ 75.

2) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 58. & المسعودي، أخبار الزمان، صـ8.

3) " ان الله خلق الملائكة يوم الاربعاء وخلق الجن يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة قال فكفر قوم من الجن فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقاتلهم فكانت الدماء وكان الفساد في الأرض " – الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 57.

4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 24، 25.

5) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 57.

6) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 23& الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ55.

7) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 57.

فبعث الله تعالى عليهم ناراً فأحرقتهم. ثمّ خلق هؤلاء الملائكة فقال: اسجدوا لآدم، قالوا: نعم، وكان إبليس من أولئك الذين لم يسجدوا"[1]. واورد ابن الأثير حجة الشيطان في الامتناع عن السجود: " فقال الله له: يا إبليس ما منعك ان تسجد إذ أمرتك؟ قال: انا خير منه لم أكن لأسجد لبشر خلقته من طين، فلم يسجد كبراً وبغياً وحسداً .. "[2].

جنة عدن ومعصية آدم:

ذكر سفر التكوين ان الله غرس الجنة على الأرض عند مكان يدعى عدن. وكان يرويها نهر ذا اربعة افرع هي: فيشون وجيحون وحداقل(دجلة)، والفرات(تك 2: 8).

وجاء بالتلمود ان للفردوس اربعة انهار: واحد من البلسلم وواحد من اللبن، وواحد من العسل، وواحد من الخمر. وجاء في اساطير اليهود ان الجنة سبعة اقسام " وكل منها مخصص لدرجة من درجات المتقين"[3].

وأنشد امية وصفا للجنة جانب فيه الوصف التوراتي لها، قال:

فذا عسل وذا لبن وخمـــــر	وقمح في منابته صريـــــــــم
ونخل ساقط الأكتاف عـــد	خلال أصوله رطب قميـــــــم
وتفاح ورمان ومـــــــــوز	وماء بارد عذب سليـــــــــم
وفيها لحم شاهدة ونحـــــر	وما فاهوا لهم فيها مقيــــــــم
وحور لا يرين الشمس فيها	على صور الدمى فيها سهوم
نواعم في الأرائك قاصـرات	فهن عقائل وهم قـــــــــروم
على سرر ترى متقابـــلات	الاثم النضارة والنعيـــــــــــم[4]

1)ابن الأثير، الكامل،جـ1،صـ 25 & الطبري،جـ1، صـ57.& المسعودي، أخبار الزمان، صـ 30.
2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 28.
3) لويس جوينزبرج، اساطير اليهود، ترجمة حسن حمدي ط 1، صـ 30.
4) المقدسي، البدء والتاريخ،جـ1، صـ203.

وذكرت التوراة ان آدم خالف امر الله واكل هو وحواء من الشجرة المنهى عنها. وذكرت كذلك ان الشيطان هو الذي اغوى حواء بالاكل من شجرة الحياة التى الت سببا لطردهما. وخاطب ابليس حواء على لسان الحية مشككاً في وصية الله فاستجابت له " .. فأخذت من ثمرها واكلت واعطت رجلها أيضاً معها فاكل. فانفتحت اعينهما وعلما انهما عريانان. فخاطا اوراق تين وصنعا لانفسهما مازر" (تك 3: 1).

وجاء في كتاب البدء والتاريخ ملخص للنص السابق على هذا النحو: "وفي نسخة التوراة ان الله نصب الفردوس في عدن. واسكنها آدم وانبت فيها من كل شجرة طيبة .. وقال ولا تأكل من شجرة ألفقه للخير والشر فانك يوم تأكل تموت موتاً "[1].

ووافق المؤرخون النص التوراتي في ذكر ابطال القصة، ودور الشيطان في تحريض آدم على الاكل من الشجرة [2]. واضافوا ان الشيطان طلب ان يدخل الجنة خلسة على ظهر حيوان، لكن الحيوانات ابت ذلك فيما عدا الحية التي قبلته[3].

وروى الطبري امر اوغواء حواء لآدم بالاكل من الثمرة بقوله: " .. فأخذت حواء فأكلت منها ثم ذهبت بها إلى آدم فقالت انظر إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها واطيب طعمها واحسن لونها. فأكل منها آدم فبدت لهما سواتهما "[4].

ونسب للشجرة المعنية ان " لها ثمر تأكله الملائكة يخلدهم. وهى الثمرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته" [5]. ولكن لم يرد في الكتاب المقدس ان الملائكة تقتات على الثمار لكونها ارواح لا تأكل ولا تشرب.

وبعد ان اكلا من الشجرة، شعرا بالعري، وفي ذلك قال ابن الاثير: " فبدت لهما سوءاتهما، وكان لباسهما الظفر، فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، قيل: كان ورق التين"[6].

---

1) المقدسي، البدء والتاريخ،جـ2، صـ84.
2) ابو الفدا، المختصر، صـ21 & الطبري، جـ1، صـ 72. المسعودي، أخبار الزمان، صـ 30.
3) ابن الأثير، الكامل، صـ30، 31 & ابو الفدا، المختصر، صـ21 & الطبري، جـ1، صـ 71.
4) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 72.
5) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 72
6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 31، 32.

ولم يستطيعا ان يظهرا امام الله من فرط الخجل فإختباءا في وسط شجر الجنة " فنادى الرب الإله آدم وقال له أين انت. فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لاني عريان فإختبأت. فقال من أعلمك انك عريان هل اكلت من الشجرة التي اوصيتك ان لا تاكل منها. فقال آدم المراة التي جعلتها معي هي اعطتني من الشجرة فاكلت. فقال الرب الإله للمراة ما هذا الذي فعلت فقالت المراة الحية غرتني فاكلت "(تك3).

وبينما يذكر النص التوراتي انهما اختباءا بين الاشجار، يقول الاخباريون " فدخل آدم في جوف الشجرة فناداه ربه يا آدم أين انت قال انا هنا يا رب قال ألا تخرج، قال أستحى منك يا رب " [1].

وعن محاجاة الله لآدم وحواء، قال الطبري: " لم أكلتها وقد نهيتك عنها قال يا رب أطعمتني حواء قال لحواء لم أطعمته ؟ قالت أمرتنى الحية، قال للحية لم أمرتها؟ قالت أمرنى إبليس قال ملعون مدحور "[2].

عقاب آدم وحواء:

" وقال للمراة تكثيراً اكثر اتعاب حبلك بالوجع تلدين اولادا .. وقال لآدم .. ملعونة الأرض بسببك بالتعب تاكل منها كل أيام حياتك. وشوكا وحسكا تنبت لك وتاكل عشب الحقل. بعرق وجهك تاكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها لانك تراب والى تراب تعود.. " (تك3).

ويقول المؤرخون – تصديقا على هذا – ان الشيطان والحية وادم وحواء قد تلقوا عقابا جماعيا واحدا هو الطرد من جنة السماء والهبوط إلى الأرض، وفقدان النعمة: " اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ آدم وابليس والحيّة، فأهبطهم إلى الأرض، وسلب الله آدم وحواء كلّ ما كانا فيه من النعمة والكرامة "[3].

ثم تلقى كل واحد منهم عقابا خاصا به وحده، فقيل لادم " ملعونة الأرض التى خلقت منها لعنة حتى تتحول ثمارها شوكا"[4]. وعوقبت حواء بالام الحمل والولادة "

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 73.& المقدسي، البدء والتاريخ،جـ2، صـ99.
2) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 73.
3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 32.
4) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 73. & المسعودي، أخبار الزمان، صـ 31.

فقال الله: فان لها عليّ ان أدميها في كل شهر وان أجعلها سفيهة، وقد كنت خلقتها حليمة، وان أجعلها تحمل كرهاً وتضع كرهاً وتشرف على الموت مراراً "[1].

وعن عقاب الحية، نقل موسى النبي قول الرب لها " ... على بطنك تسعين وترابا تاكلين كل أيام حياتك. واضع عداوة بينك وبين المراة وبين نسلك ونسلها هو يسحق راسك وانت تسحقين عقبه "(تك3 : 14).

واورد المؤرخون عقاب الحية متفقا مع ما ورد في الكتاب الا في القليل، فقال ابن الأثير: " وقال للحيّة: .. ملعونة انتِ لعنةً يتحوّل بها قوائمك في بطنك. ولا يكون لك رزق إلا التراب. انت عدوّة بني آدم، وهم أعداؤك. حيث لقيت واحداً منهم أخذت بعقبه وحيث لقيك شدخ رأسك "[2].

وسعى آدم وزوجه في ستر عورتيهما بورق التين؛ ولكن الله كساهما اقمصة من جلد الحيوان " فانفتحت اعينهما وعلما انهما عريانان فخاطا اوراق تين وصنعا لانفسهما مازر .. وصنع الرب الإله لآدم وامراته اقمصة من جلد والبسهما "(تك3: 21).

وفي ذلك يقول الطبري وابن الأثير: " فلما رأى الله تعالي عريّ آدم وحواء أمره ان يذبح كبشاً من الضان ... فأخذ كبشاً فذبحه واخذ صوفه، فغزلته حواء ونسجه آدم فعمل لنفسه جبّة ولحواء درعاً وخماراً فلبسا ذلك "[3].

طرد آدم وحواء من الجنة:

جاء في التكوين ان الجنة كانت في مكان ما على الأرض يدعى عدن؛ بينما ذكر المؤرخون أنها كانت في السماء، وان آدم وحواء وكذلك الحية والشيطان قد هبطوا منها إلى الأرض. واختلفوا في المكان الذي هبطوا عنده ما بين الهند[4] وشبه الجزيرة. واجمعت الاراء على انه اهبط على جبل عال يسمى تارة جبل نود وتارة

1) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 32. & الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 73.
2) ابن الأثير، الكامل، جـ1، ص32 &. الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، ص73.
3) ابن الأثير، الكامل، جـ1، ص34 &. الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، ص83.
4) سعيد بن بطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، صـ7 ، بيروت 1905.

أخرى ينعت بالجبل المقدس. وان هذا الجبل كان شاهق الارتفاع بحيث كان يتيح لآدم ان يستمع الى تسبيح الملائكة، كما يقول ابن الأثير والطبري في تاريخيهما[1].

وانشد ابن جهم في خلق آدم وفي معصيته وطرده من الجنة يقول:

يا سائلي عن إبتداء الخلـــق مسألة القاصد قصد الحـــــق
أخبرني قوم من الثقـــــات أولو علوم واولو هيئـــــــات
تفرعوا في طلب الآثـــــار وعرفوا موارد الأخبـــــــار
ودرسوا التوراة والإنجيـــــلا واحكموا التأويل والتنزيـــــلا
ان الذي يفعل ما يشـــــاء ومن له القدرة والبقـــــــاء
انشأ خلق آدم انشــــــاء وقد منه زوجه حـــــــواء
أسكنه وزوجه الجنانــــــا فكان من أمرهما ما كانــــــا
غرهما الشيطان فيما صنعــا فأهبطا منها إلى الأرض معـــا
فشقيا وورثا الشقــــــاء نسلهما والكد والعنــــــاء [2]

قايين وهابيل

جاء في التكوين ان حواء عندما وضعت بكرها قالت اقتنيت رجلا من عند الله فسمته قايين. وقال ابن الاثير: " واهل العلم مختلفون في إسم قابيل، فبعضهم يقول: قين، وبعضهم يقول: قائين، وبعضهم يقول: قاين، وبعضهم يقول: قابيل"[3].

وقالت التوراة: " وكان هابيل راعيا للغنم وكان قايين عاملا في الأرض. وحدث من بعد أيام ان قايين قدم من اثمار الأرض قربانا للرب. وقدم هابيل أيضاً من ابكار

---

1) " لما أهبط آدم على جبل نود كانت رجلاه تمسان الأرض ورأسه بالسماء يسمع تسبيح الملائكة، فكانت تهابه، فسألت الله ان ينقص من طوله فنقص طوله الى ستين ذراعاً، فحزن آدم لما فاته من الانس بأصوات الملائكة وتسبيحهم "– ابن الأثير، الكامل، جـ1، ص34.& الطبري، جـ1، صـ82.

2) المقدسي، البدء والتاريخ،جـ2، صـ85.

3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 37.

غنمه ومن سمانها فنظر الرب إلى هابيل وقربانه. ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر فاغتاظ قايين جداً وسقط وجهه... وحدث اذ كانا في الحقل ان قايين قام على هابيل اخيه وقتله" (تك4).

وقال الطبري ان ابني آدم " كان أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم. وانهما أُمرا ان يقربا قربانا. وان صاحب الغنم قرب أكرم غنمه واسمنها.. وان صاحب الحرث قرب شر حرثه .. وان الله عز وجل تقبل قربان صاحب الغنم ولم يتقبل قربان صاحب الحرث .. وكان الرجل إذا قرب قربانا فرضيه الله عز وجل أرسل إليه نارا فأكلته .. وان ابن آدم قال لأخيه أتمشى في الناس وقد علموا انك قربت قربانا فتقبل منك ورد على قربانى فلا والله لا ينظر الناس إلى واليك وانت خير منى فقال لاقتلنك فقال له أخوه ما ذنبي إنما يتقبل الله من المتقين"[1].

وذكر ابن بطريق – وغيره – ان سبب النزاع بين الاخوين كان الصراع حول الظفر باحدى الاختين، وهو لم يرد في سفر التكوين، قال:

" ووقع آدم على حواء فحملت وولدت غلاما وجارية(فتاة) فسمى الغلام قابيل وسمى الجارية ازرون. ثم حملت وولدت غلاما وجارية فسمى الغلام هابيل وسمى الجارية اوين.. فلما كبرا الغلامان قال قاين لحواء: انا آخذ اختي ويأخذ هابيل اخته. لان ازرون كانت احسن من اوين. فلما سمع آدم هذا الكلام شق عليه جداً وقال: هذا خلاف الوصية ان تأخذ اختك التي ولدت معك.. فبينما هما طالعان إلى رأس الجبل اذ دخل الشيطان في قاين ان يقتل اخاه هابيل من اجل ازرون اخته. ومن اجل هذا لم يقبل الله قربان قاين"[2].

واتفقت اقوالهم مع رواية موسى النبي في ذكر ابني ادم وهما قايين وهابيل، وان هابيل كان الضحية، وانه كان راعيا للغنم. وان القاتل كان يشتغل بفلاحة الأرض. وذكر التقدمة، وقبول الله لتقدمة هابيل. وذكر الوسيلة التي كانت تشير إلى قبول الله للتقدمة من خلال النار التي كانت تنزل فتأكلها. وذكر لعنة الله للقاتل. وما ذُكر

---

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 96. & المسعودي، أخبار الزمان، صـ 32، 33.

2) سعيد بن بطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، صـ7. & المسعودي، مروج الذهب، صـ26 & ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 38 & ابو الفدا، المختصر، صـ 22 & الطبري، جـ1، صـ94، 95.

بخلاف ذلك من ان السبب غير المباشر كان الصراع على احدى الاختين فهو لم يرد في رواية موسى النبي.

وذكر المسعودي اختلاف الاراء حول المكان الذي وقعت فيه اول جريمة اغتيال في تاريخ البشر: " ويقال: انه اغتاله في برية قاع، ويُقال: ان ذلك كان ببلاد دمشق من أرض الشام، وكان قتله شَدْخاً بحجر "[1].

عتاب الله لقايين وعقابه:

" فقال الرب لقايين أين هابيل اخوك فقال لا أعلم احارس انا لأخي. فقال ماذا فعلت صوت دم اخيك صارخ الي من الأرض. فالآن ملعون انت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم اخيك من يدك. متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها تائها وهاربا تكون في الأرض. فقال قايين للرب ذنبي اعظم من ان يحتمل.. "(تك 4).

وجاءت اقوال المؤرخين متفقة مع ما سبق، فذكر الطبري القصة ناسبا اياها إلى التوراة بقوله:

" ويزعم أهل التوراة ان قينا حين قتل أخاه هابيل قال الله له أين أخوك هابيل؟ قال ما أدرى ما كنت عليه رقيبا. فقال الله له ان صوت دم أخيك ليناديني من الأرض. الآن انت ملعون من الأرض التى فتحت فاها فتلقت دم أخيك من يدك. فإذا انت عملت في الأرض فإنها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فزعا تائها في الأرض. فقال قين عظمت خطيئتي من ان تغفرها. قد أخرجتني اليوم عن وجه الأرض من قدامك واكون فزعا تائها في الأرض. وكل من لقيني قتلني. فقال الله عز وجل ليس ذلك كذلك فلا يكون. كل من قتل قتيلا يجزى بواحد. ولكن من قتل قينا يجزى سبعة وجعل الله في قين آية لئلا يقتله كل من وجده وخرج قين من قدام الله عز وجل من شرقي عدن الجنة "[2]. وورد في تاريخ ابن بطريق ان لامك قتل جده قايين عن غير عمد [3].

1) المسعودي، مروج الذهب، صـ26.

2) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 95 & ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 38.

3) سعيد بن بطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت 1905، صـ8.

الفصل الثالث

مرحلة ما قبل الطوفان

نسل شيث:

يعد سفر التكوين المصدر الأول الذي ذكر الشجرة البشرية من آدم وحتى نوح وابنائه. وقد عرفنا منه انه بعد مصرع هابيل البار ولم يكن له ولد ان انحصر تاريخ بني آدم في نسل قايين، وفي نسل شيث الذي ولدته حواء بعد ذلك (تك 4 : 25). وهو ما صدق عليه ابو الفدا: " وبعد قتل هابيل ولد لآدم شيث .. والى شيث تنتهي انساب بني آدم كلهم" [1].

وذكر ابو الفدا[2] نسل شيث كما ورد في سفر التكوين(تك5)؛ لكنه أضاف مائة سنة الى عمر آدم وشيث وانوش وقينان واخنوخ عند ولادة بكر كل منهم. كما انه أضاف ست سنوات لعمر لامك عند ولادة إبنه نوح.

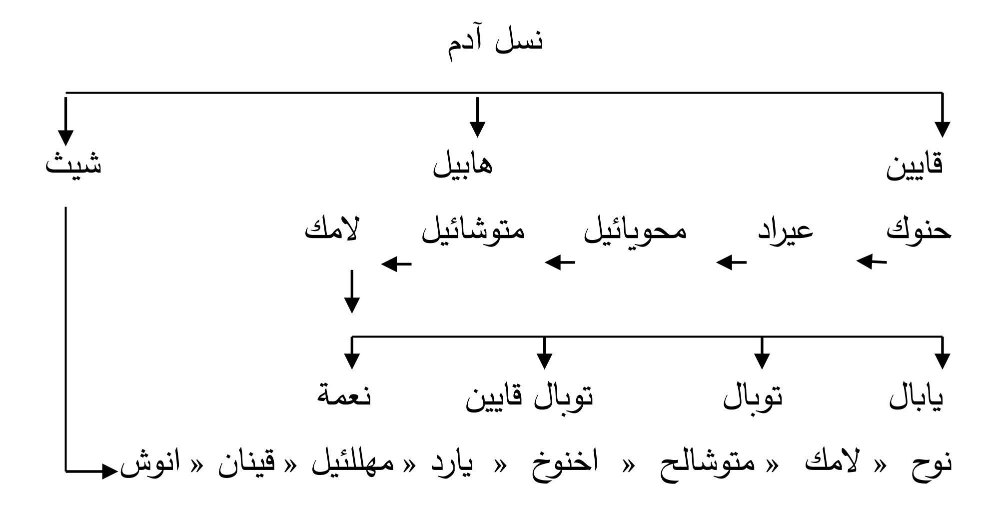
وذكر الطبري[3] اسم زوجة شيث وهو لم يرد في التوراة. كما انه نسب للتوراة ان شيثاً ولد أنوش وله من العمر ستمائة سنة وخمس سنين؛ بينما ورد في سفر التكوين انه كان ابن مائة وخمس سنين فقط. وهو ما ذكره الطبري، في قول اخر.

---

1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ22.

2) " ولما صار لشيث من العمر مائتان وخمس سنين، ولد له أنوش .. ولما صار لأنوش من العمر مائة وتسعون سنة، ولد له قينان .. ولما صار لقينان مائة وسبعون سنة، ولد له مهلائيل، .. ولما صار لمهلائيل من العمر مائة وخمس وستون سنة ولد له يرد .. ولما صار ليرد مائة واثنتان وستون سنة، ولد له خنوخ(اخنوخ) .. ولما صار لخنوخ مائة وخمس وستون سنة من العمر، ولد له متوشلح .. ولما صار لمتوشلح(متوشالح) من العمر مائة وسبع وستون سنة، ولد له لامخ، ويقال له لامك ولمك يضاً.. ولما صار للامخ من العمر مائة وثمان وثمانون سنة ولد له نوح .. واما خنوخ، وهو إدريس، فانه رفع لما صار له من العمر ثلاثمائة وخمس وستون سنة، رفعه الله إلى السماء .. " ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ22، 23.

3) " وولد لشيث أنوش بعد ان مضى من عمره ستمائة سنة وخمس سنين فيما يزعم أهل التوراة .. نكح شيث بن آدم أخته حزورة ابنة آدم فولدت له يانش بن شيث ونعمة إبنه شيث وشيث يومئذ ابن مائة سنة وخمس سنين" – الطبري، جـ1، صـ110- 118& ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 47.



نسل قايين:

" وعرف قايين امراته فحبلت وولدت حنوك وكان يبني مدينة فدعا إسم المدينة كإسم إبنه حنوك. وولد لحنوك عيراد وعيراد ولد محويائيل ومحويائيل ولد متوشائيل ومتوشائيل ولد لامك. واتخذ لامك لنفسه امرأتين إسم الواحدة عادة واسم الأخرى صلة. فولدت عادة يابال الذي كان ابا لساكني الخيام ورعاة المواشي. واسم اخيه يوبال الذي كان ابا لكل ضارب بالعود والمزمار. وصلة أيضاً ولدت توبال قايين الضارب كل الة من نحاس وحديد واخت توبال قايين نعمة "(تك4).

وذكر الطبري[1] نسل قايين كما ورد بالتكوين مع بعض الإختلاف كما في نطق الأسماء. وذكر يابال ابن لامك من عادة بإسم تولين وذكره ابن الأثير بإسم

1)ا" ان قينا (قايين)نكح أخته أشوث(؟) بنت آدم فولدت له رجلا وامرأة: حنوخ(حنوك) بن قين، وعدن بنت قين؛ فنكح حنوخ بن قين أخته عدن بنت قين فولدت له ثلاثة نفر وامرأة: عيرد(عيراد) بن خنوخ ومحويل(محويائيل) بن خنوخ وابو شيل(متوشائيل) بن خنوخ ومويليث(؟) بنت حنوخ. فنكح أبو شيل بن خنوخ موليث ابنة حنوخ فولدت لابو شيل رجلا إسمه لامك؛ فنكح لامك امرأتين إسم إحداهما عدا(عادة) واسم الأخرى صلا (صلة) فولدت له عدا تولين(يابال) ابن لامك فكان أول من سكن القباب واقتنى المال. وتوبيش(توبال) وكان أول من ضرب بالونج والصنج. وولدت رجلا

بولس. وقال انه أول من سكن القباب واقتنى المال. بينما ورد في التكوين انه كان ابا لساكني الخيام ورعاة المواشي. وذكر توبال بإسم توبيش. وقال انه اول من ضرب بالونج والصنج بينما ورد في التكوين انه كان ابا لكل ضارب بالعود والمزمار. وذكر انه كان ابنا للامك من عادة بينما جاء في التكوين انه كان ابنا له من صلة. كما ذكر توبال قايين، بإسم توبلقين ونسب له انه أول من عمل النحاس والحديد توافقا مع ما ورد عنه في التوراة انه كان ضاربا كل الة من نحاس وحديد. وقال ان حنوخ (حنوك) انجب عيرد(عيراد)ومحويل(محويائيل) وأبوشيل(متوشائيل) وبنتا تدعى موليث؛ بينما يذكر الوحي ان حنوك انجب عيراد، وعيراد ولد محويائيل، ومحويائيل ولد متوشائيل، ومتوشائيل ولد لامك.. وهو ما نسبه إلى أهل التوراة في قول اخر [1].

ثم ذكر سفر التكوين زواج ابناء المؤمنين ببنات الاشرار، واستعمل في ذلك تعبير ابناء الله كناية عن الأبرار وبنات الناس كناية عن الاشرار (تك6). ونسب ابن بطريق الأولاد لشيث والبنات لقايين: " وهلك بنو شيث بالزنا ببنات قاين فولدت بنات قاين اللعين من بني شيث الجبابرة [2]. وهو ما اورده الطبري في تاريخه[3].

نسل يارد:

ينتهي نسل يارد بذكر نوح، فهو نوح ابن لامك ابن متوشالح ابن اخنوخ ابن يارد (تك5).

وتحت عنوان (ذكر يرد) ذكر ابن الأثير [4] نسبه ونسله صحيحا كما نص عليه كتاب موسى. ولكن ما نسبه لأخنوخ لم يرد له ذكر في التوراة سوى انه رُفع الى السماء.

إسمه توبلقين(توبال قايين) فكان أول من عمل النحاس والحديد وكان أولادهم جبابرة وفراعنة .. "– لطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 113.

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 112.

2) سعيد بن بطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت 1905، صـ 8.

3) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 113.

4) ".. ثم نكح يرد .. وهو ابن مائة واثنتين وستين سنة، بركتا ابنة الدرمسيل .. فولدت له خنوخ، وهو إدريس النبيّ، فكان أول بني آدم أعطي النبوّة وخط بالقلم، واول من نظر في علوم النجوم والحساب، وحكماء اليونانيين يسمونه هرمس الحكيم .. وفي التوراة ان الله رفع إدريس بعد ثلاثمائة

وذكر ابن الأثير نسل أخنوخ كما ورد في سفر التكوين مع بعض الإختلاف بقوله:

" ثم نكح خنوخ(أخنوخ) بن يرد(يارد) هدانة .. فولدت له متوشلخ(متوشالح) .. فعاش بعدما ولد متوشلخ ثلاثمائة سنة، ثمّ رفع .. ثم نكح متوشلخ عربا ابنة عزازيل بن أنوشيل .. وهو ابن مائة سنة وسبع وثلاثين سنة، فولدت له لمك(لامك) .. وولد له بنون وبنات، فكان كلُّ ما عاش متوشلخ تسعمائة سنة وسبعاً وعشرين سنة ثم مات .. ونكح لمك بن متوشلخ قينوش ابنة براكيل بن محويل بن حنوخ بن قين، فولدت له نوح بن لمك .. وولد له بنون وبنات ثمّ مات، ونكح نوح بن لمك عزرة بنت براكيل .. وهو ابن خمسمائة سنة، فولدت له ولده ساماً وحاماً ويافث بني نوح "[1].

والى جانب الاتفاقات الكثيرة التي نلاحظها من دون عناء، نلاحظ كذلك ان ابن الأثير ذكر زوجة كل من أخنوخ ومتوشالح ولامك وهو لم يرد في الكتاب المقدس. كما ان أعمار الاشخاص جاءت مختلفة عما ورد في سفر التكوين. يضاف إلى ذلك اختلاف نطق الأسماء، وقد سبقت الإشارة إليه.

واعطى ابن بطريق إسما لإمرأة نوح لم يرد له ذكر في الكتاب المقدس، كما انه انفرد أيضاً بذكر اسماء زوجات ابناء نوح الثلاثة[2].

سنة وخمس وستين سنة من عمره "– ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 49، 50. & المسعودي، أخبار الزمان، صـ 35.

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 51، 52 .

2) " ولم يبق في الجبل المقدس الا نوح وحده وامراته اسمها هيكل ابنة ناموسا .. فاسم إمرأة سام صليت واسم إمرأة حام نحلت واسم إمرأة يافث اريسية " – سعيد بن بطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت 1905، صـ12.

نوح والطوفان:

" ورای الرب ان شر الإنسان قد كثر في الأرض وان كل تصور افكار قلبه إنما هو شرير كل يوم .. فقال الرب امحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لاني حزنت اني عملتهم. واما نوح فوجد نعمة في عيني الرب "(تك6).

وقال ابن الاثير: " فلما تمادى قوم نوح على كفرهم وعصيانهم، بعث الله إليهم نوحاً يحذّرهم بأسه ونقمته؛ ويدعوهم الى التوبة والرجوع إلى الحقّ، والعمل بما أمر الله تعالى. وارسل نوح، وهو ابن خمسين سنة، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً .. ثمّ أمره الله بصنعة الفلك فصنعها وركبها وهو ابن ستمائة سنة. وغرق من غرق ثمّ مكث من بعد السفينة ثلاثمائة سنة وخمسين سنة "[1].

وجاء قوله موافقا للتوراة فيما يتعلق بنوح كونه رجل بار اخلص لله من دون الناس. وذكره وسيلة عقاب الناس وهي الطوفان، ووسيلة نجاة نوح وهي الفلك. وايضاً نسبة السنوات الطويلة لأعمار الناس قبل الطوفان وان اختلف عددها عما ورد في سفر التكوين.

بناء الفلك:

" فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد اتت امامي لان الأرض امتلات ظلما منهم فها انا مهلكهم مع الأرض. اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر تجعل الفلك مساكن وتطليه من داخل ومن خارج بالقار. وهكذا تصنعه ثلاث مئة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعاً عرضه وثلاثين ذراعاً ارتفاعه . وتصنع كوا للفلك وتكمله إلى حد ذراع من فوق وتضع باب الفلك في جانبه مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله. فها انا ات بطوفان الماء على الأرض لاهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء كل ما في الأرض يموت. ولكن اقيم عهدي معك فتدخل الفلك انت وبنوك وامراتك ونساء بنيك معك " (تك6).

ووردت أخبار فلك نوح في مرويات المؤرخين مع الإختلاف كما في ذكر ابعاده وعدد الذين نجوا من الطوفان فيقول الطبري:

---

1) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 55& الطبري، تاريخ الامم، جـ1، صـ 122- 144.

" ان طول السفينة ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعاً وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً وبابها في عرضها " [1].

ووافق المسعودي في ذكر طولها وعرضها ولكنه خالف في تحديد الارتفاع فقال بسبعين ذراعاً "[2].

واضاف ابن الأثير[3] ان نوحا قد طلى الفلك بالقار كما جاء بالتوراة. اما قوله بانه استخدم الحديد في صنع الفلك إلى جانب الخشب فهو لم يرد في سفر التكوين، فضلا عن ان ظهور الحديد جاء متأخرا عن زمن نوح. كما اتفق الجميع على انه قد بنى الفلك ثلاث طبقات.

الناجون من الطوفان:

" فتدخل الفلك انت وبنوك وامراتك ونساء بنيك معك. ومن كل حي من كل ذي جسد إثنين من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك تكون ذكراً وانثى... وانت فخذ لنفسك من كل طعام يؤكل واجمعه عندك فيكون لك ولها طعاماً " (تك6).

واختلفت اعداد الناجين عند المسعودي[4] وابن الأثير[5] وابي الفداء[6] ما بين ستة، وسبعة، وثمانية، وثمانين نفسا. ومثلهما ما ذكره الطبري في تاريخه، وهو اقدم منهم عهدا: " ان نوحا حمل معه بنيه الثلاثة وثلاث نسوة لبنيه وامرأة نوح فهم ثمانية.. وقال آخرون بل كانوا سبعة انفس .. وقال آخرون كانوا عشرة سوى نسائهم

---

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 124.

2) المسعودي، أخبار الزمان، صـ 37.

3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 56.

4)"ونزل نوح من السفيتة ومعه أولاده الثلاثة،وهم: سام، وحام، ويافث، وكَنّاته الثلاث أزواج أولاده، واربعون رجلا، واربعون إمرأة "– المسعودي، مروج الذهب، صـ29 & أخبار الزمان، صـ37.

5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 56، 57.

6)" كان في السفنية ثمانون رجلاً، أحدهم جرهم، كلهم من بني شيث. وقال اخر: كانوا ثمانية انفس: نوح وامرأته وثلاثة بنوه ونساؤهم " وثالث قال: كانوا سبعة " – ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ24.

.. فأرسل الله تبارك وتعالى الطوفان لمضى ستمائة سنة من عمر نوح فيما ذكره أهل العلم من أهل الكتاب وغيرهم " [1].

واضاف قصة ادخال الحمار وتعلق إبليس بذنبه[2]، وهي قصة ليس لها وجود في الكتاب المقدس.

الطوفان:

" وحدث بعد السبعة الأيام ان مياه الطوفان صارت على الأرض. في سنة ست مئة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء .. وكان الطوفان اربعين يوما على الأرض وتكاثرت المياه ورفعت الفلك فارتفع عن الأرض .. خمس عشرة ذراعا في الارتفاع تعاظمت المياه فتغطت الجبال. فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض .. وتعاظمت المياه على الأرض مئة وخمسين يوما " (تك7).

ووافقت اقوال المؤرخين خبر التوراة عن الطوفان فقال أبو الفداء:

" وجعلت الفلك تجري بهم في موج كالجبال، وعلا الماء على رؤوس الجبال خمسة عشر ذراعاً، فهلك ما على وجه الأرض من حيوان ونبات، وكان بين ان أرسل الله الماء وبين ان غاض ستة أشهر وعشر ليال."[3].

نهاية الطوفان واستقرار السفينة:

"... وبعد مئة وخمسين يوما نقصت المياه. واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال اراراط " (تك 8).

---

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 130.

2) ".. واخر ما حمل الحمار فلما أدخل الحمار ودخل صدره تعلق إبليس لعنه الله بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول ويحك أدخل فينهض فلا يستطيع حتى قال نوح ويحك ادخل وان كان الشيطان معك قال كلمة زلت عن لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك على يا عدو الله قال ألم تقل أدخل وان كان الشيطان معك.. ". الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 126، 127.

3) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ24.& ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 57.

وذكر المسعودي ان السفينة بقيت في المياه مائة وخمسين يوما مثلما ورد في التكوين. وذكر كذلك امر الغراب والحمامة؛ ولكنه نسب لهما أشياء لم ترد في المتن التوراتي مثل دعاء الله على الغراب والحمامة، قال:

" وقيل ان السفينة اقامت في الماء خمسين ومائة يوم، وقال قوم من أهل الاثر أنها اقامت احد عشر شهرا.. ثم ارسل الغراب لينظر له فمضى ولم يعد إليه، فدعى عليه ان يكون مباعدا .. ثم ارسل الحمامة فرجعت وقد انصبغت رجلاها بالطين.. ثم ارسلها بعد أيام فرجعت وفي منقارها ورقة خضراء من الزيتون.." [1].

ونعلم من التوراة ان السفينة رست على جبل ارارط. وقال المسعودي والطبري انها حطت على " الجودى وهو جبل بالحضيض من أرض الموصل فاستقرت بعد ستة أشهر " [2].

وبينما ورد في التوراة ان عمر نوح عند بدء الطوفان كان ستمائة عام، الا ان الطبري ينسب لأهل التوراة أن الطوفان انتهى ولنوح من العمر ثلثمائة وثمانيا واربعين سنة[3]. ويقول ان سام ولد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة، بينما جاء في التكوين انه ولد قبل الطوفان بسنتين.

ووضع امية ابن ابي الصلت قصة نوح في قالب شعري، فقال منشداً:

منج ذي الخير من سفينة نـــــــوح	يوم بادت لبنان من أخراهـــــــا
فار تنوره وجاش بمـــــــــــاء	طم فوق الجبال حتى علاهـــــا
قيل للعبد سر فسار وباللـــــــــه	على الهول سيرها وسراهـــــــا
قيل فأهبط فقد تناهت بك الفلـــــك	على رأس شاهق مرساهـــــــــا
وارسلت الحمامة بعد سبـــــــــع	تزل على المهالك لا تهـــــاب
وتلمس هل ترى في الأرض عينـــا	به تيبس أو اضطـــــــــــراب
فجاءت بعدما ركضت بقطـــــــف	عليه الثلط والطين والكشـــاب[4]

1) المسعودي، أخبار الزمان، صـ 38.

2) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 128 & المسعودي، أخبار الزمان، صـ 37.

3) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ131.

4) المقدسي، البدء والتاريخ،جـ3، صـ25.

برج بابل:

" وكانت الأرض كلها لسانا واحدا ولغة واحدة. وحدث في ارتحالهم شرقا انهم وجدوا بقعة في ارض شنعار وسكنوا هناك.. وقالوا هلم نبن لانفسنا مدينة وبرجا راسه بالسماء ونصنع لانفسنا إسما لئلا نتبدد على وجه كل الأرض... فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض فكفوا عن بنيان المدينة "(تك11).

وقال أبو الفدا ان اولاد نوح " اجتمعوا على بناء حصن يتحرزون به خوفاً من مجيء الطوفان مرة ثانية. والذي وقع رأيهم عليه ان يبنوا صرحاً شامخاً تبلغ رأسه السماء .. فانتقم الله تعالى منهم، وبلبل ألسنتهم إلى لغات شتى. ولم يوافقهم عابر على ذلك، واستمر على طاعة الله تعالى. فبقاه الله تعالى على اللغة العبرانية، ولم ينقله عنها" [1].

وهو يتفق مع النص التوراتي في ذكر عقاب الله لبني نوح ببلبة الالسن. واما قوله ان عابر لم ينله ما نال الاخرين من امر البلبة فلم تذكره التوراة. فضلا عن ان عابر يرد في النص الكتابي متأخرا عن زمن بلبلة الالسن. اما اللغة العبرية فقد انحصرت في بني يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن تارح بن فالج بن عابر، ولم تشمل كل من تناسل من عابر، فقد خرجت من عابر اقطاب كثيرة لكل منهم لغته الخاصة.

1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ25، 26.

الفصل الرابع

مرحلة ما بعد الطوفان

بدا تاريخ الإنسانية الجديد بعد بالطوفان، بذكر نوح وبنيه: سام وحام ويافث (تك10). واعتمد المؤرخون على التوراة في ذكر نسل ابناء نوح، فنسبوا إلى حام الافارقة، ولكنهم خالفوها في الجمع بين العرب والفرس والروم، فنسبوهم جميعا إلى سام كما قال ابن جرير: " ان سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم "[1]. اما ابو الفدا فجاء قوله قريبا من التوراة، قال" ولما افترقت بنو نوح صار لولد سام العراق وفارس وما يلي ذلك إلى الهند، وصار لوالد حام الجنوب مما يلي مصر على النيل، وكذلك مغرباً إلى منتهى المغرب الأقصى، وصار لولد يافث مما يلي بحر الخزر، وكذلك مشرقاً إلى جهة الصين "[2]. وقال المقدسي: " فسكن حام الجنوب ومنه السودان. وسكن يافث الشمال ومنه الشقران. وسكن سام وسط الأرض ومنه العرب وفارس"[3].

نسل يافث: بالرجوع إلى سفر التكوين (تك5: 32 ،7 :11،11: 10) نستنتج ان ساماً ليس هو اول مواليد نوح. ومن (تك 9 : 24) نعلم ان حام هو الإبن الاصغر، فلهذا يكون يافث هو الاكبر. ومنه خرج " جومر وماجوج وماداي وياوان وتوبال وماشك وتيراس. وبنو جومر اشكناز وريفاث وتوجرمة. وبنو ياوان اليشة وترشيش وكتيم ودودانيم. من هؤلاء تفرقت جزائر الامم باراضيهم كل انسان كلسانه حسب قبائلهم بامممهم "(1أخبار1: 5).

ونزح ابناء يافث نزحوا إلى اسيا واوربا عن طريق البسفور والدردنيل والبحر الاسود وجبال القوقاز وبحر قزوين. وان من اشهر قبائلهم قبيلة التتون، وينقسمون إلى ثلاثة اقسام، الأول: الاسكندينافيون، وهم سكان النرويج والدانمارك، والثاني: هم الجرمان، والثالث: الأنجلوسكسونيون، وهم سكان انجلترا واسكتلندا. وقبيلة السلت،

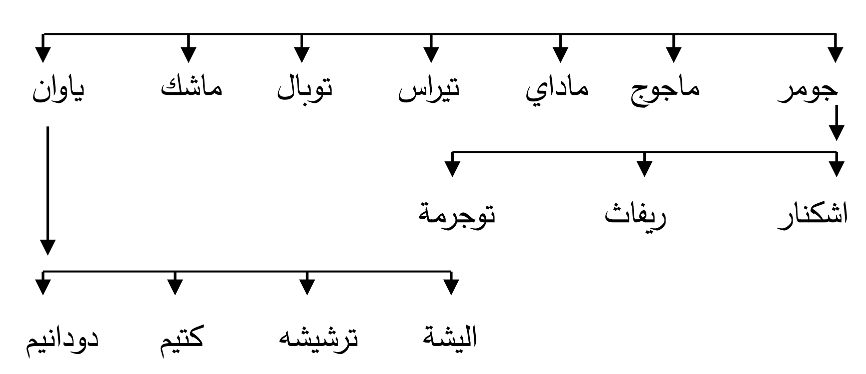
1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 139.

2) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ26.

3) المقدسي، البدء والتاريخ،جـ3، صـ26.& ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 61.

ومنهم الغال سكان فرنسا وبوهيميا وبافاريا وبعض اجزاء ايطاليا وانجلترا. وقبيلة اللاتين، ويمثلون معظم ايطاليا واسبانيا والبرتغال. وقبيلة اليونان، وهم سكان بلاد اليونان والالبان وبعض سكان جنوب ايطاليا. وقبيلة السلاف، وهم الصقالبة والروس والبشناق والصرب والبلغاريون والبونيون وغيرهم.

يافث



وذكر ابن الأثير عن الطبري، نسل يافث، وقد جاءت روايته موافقة لنص التوراة في ترتيب الأبناء المباشرين مع اختلاف نطق اسمائهم:

" واما يافث فمن ولده جامر(جومر) وموعع(لعلها ماجوج) ومورك(لعله ماداي) ويوان(ياوان) وفوبا(توبال) وماشج(ماشك) وتيرش(تيراس). فمن ولد جامر ملوك فارس في قول، ومن ولد تيرش الترك والخزر، ومن ولد ماشج الأشبان كانوا في القديم بأرض الروم قبل ان يقع بها من وقع من ولد العيص بن إسحاق وغيرهم، وقصد كلّ فريق من هؤلاء الثلاثة سام وحام ويافث أرضاً فسكنوها. ودفعوا غيرهم عنها(!)، ومن ولد يافث الروم، وهم بنو لنطى بن يوان بن نافث بن نوح "[1]. وليافث نسب المسعودي الافرنجة والصقالبة وياجوج(جوج) وماجوج والترك وغيرهم. واعتبر ان يافث هو الإبن الاصغر لنوح[2]، بينما هو اكبر ولده، ولأهمية نسل سام فقد تقدم ذكره في التوراة.

---

1) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 62، 63.& الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ142

2)" الإفرنجة والصقالبة والنوكبرد والأشبان ويأجوج ومأجوج والترك والخزر وبرجان واللان والجلالقة وغير ذلك .. ان جميع من ذكرنا من هؤلاء الأمم من ولد يافث بن نوح وهو الأصغر من ولد نوح " – المسعودي، مروج الذهب، صـ307 & المقدسي، البدء والتاريخ، جـ3، صـ 26.

نسل حام:

" وبنو حام كوش ومصرايم وفوط وكنعان. وبنو كوش سبا وحويلة وسبتة ورعمة وسبتكا وبنو رعمة شبا وددان. وكوش ولد نمرود الذي إبتدأ يكون جبارا في الأرض. الذي كان جبار صيد امام الرب لذلك يقال كنمرود جبار صيد امام الرب. وكان إبتداء مملكته بابل وارك واكد وكلنة في ارض شنعار. من تلك الأرض خرج اشور وبنى نينوى ورحوبوت عير وكالح. ورسن بين نينوى وكالح هي المدينة الكبيرة. ومصرايم ولد لوديم وعناميم ولهابيم ونفتوحيم. وفتروسيم وكسلوحيم الذين خرج منهم فلشتيم وكفتوريم. وكنعان ولد صيدون بكره وحثا. واليبوسي والأموري والجرجاشي. والحوي والعرقي والسيني. والاروادي والصماري والحماثي وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني " (تك 10).

وذكر الطبري ابناء حام كما وردت في سفر التكوين. وقال بأن القبط(المصريين) خرجوا من مصرايم، وان يافث هو ابو ماجوج: " واما حام بن نوح فولد له كوش ومصرايم وقوط(فوط) وكنعان. فمن ولد كوش نمرود المتجبر الذى كان ببابل وهو نمرود بن كوش بن حام. وصارت بقية ولد حام بالسواحل من المشرق والمغرب والنوبة والحبشة وفزان. قال ويقال ان مصرايم ولد القبط والبربر وان قوطا صار إلى أرض السند والهند فنزلها وان أهلها من ولده..."[1].

وذكر المسعودي لعنة كنعان، قال: " ودعا على ولده حام لأمر كان منه مع أبيه قد اشتهر. فقال ملعون حام، عبد عنيد يكون لإخوته. ثم قال: مبارك سام. ويكثر الله يافث، ويحل يافث في مسكن سام "[2].

ولم يكن ذلك سوى اعلان مسبق عن مستقبل ابناء يافث وحام وسام الذى رسموه بإرادتهم وبأفعالهم. فتعرضت بلاد كنعان لغزو الآشوريين، والبابليين، والفرس لعدة قرون. ثم خضعوا لبني يافث من المقدونيين والرومان لنحو الف عام متصلة بدأت منذ اواخر القرن الرابع قبل الميلاد وحتى منتصف القرن السابع بعده. وتحققت بذلك نبؤة نوح " ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم"(تك27:9). وكما سبق واشرت ان النبؤة ليست قضاءا الهياً وانما هي رؤية مسبقة لمستقبل هذه الشعوب التي استحقته بأفعالها، وخطته بإرادتها.

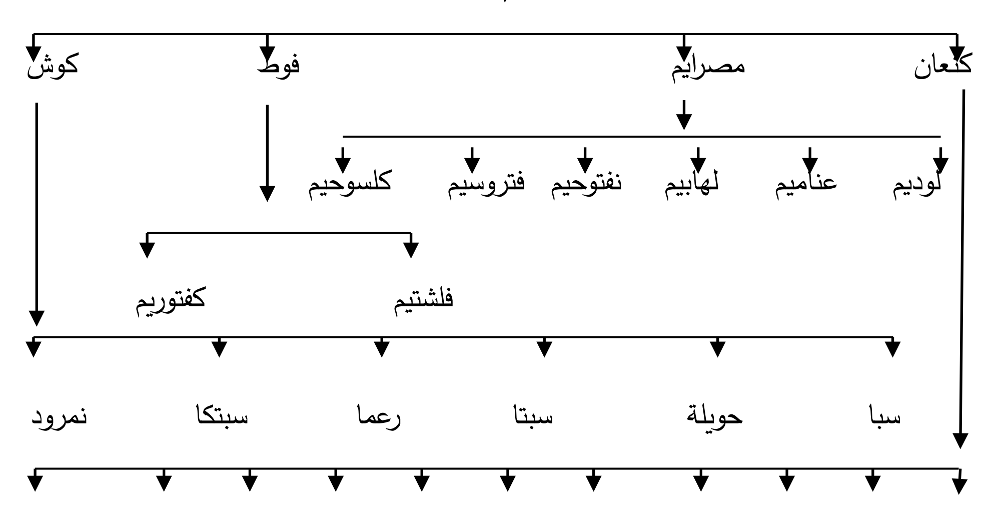
---

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ142. ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 63.

2) المسعودي، مروج الذهب، صـ30.

ومن كنعان خرج الصيدونيون والحثيون واليبوسيون والأموريون والجرجاشيون والحويون والعرقيون والسينيون والارواديون والصماويون والحماتيون. وهؤلاء سكنوا ما عرف بأرض كنعان.

وقال المسعودي باستقرار اغلب ابناء حام في القارة السوداء كما جاء في المصادر. واشار إلى استقرار كنعان في البلاد التي حملت إسمه[1]. واضاف بأن فوط بن حام سار إلى الهند والسند. ونسب الروم إلى العيص (عيسو حفيد الخليل)، اما الرومان فهم من ولد يافث. وغير ذلك الكثير مما يمكن الرجوع إليه في مروج الذهب.



نسل سام:

"بنو سام عيلام واشور وارفكشاد ولود وارام وبنو ارام عوص وحول وجاثر وماش وارفكشاد ولد شالح وشالح ولد عابر. ولعابر ولد ابنان إسم الواحد فالج لان في أيامه قسمت الأرض واسم اخيه يقطان. ويقطان ولد الموداد وشالف وحضرموت وتارح. وهدورام واوزال ودقلة. وتوبال وابيمايل وشبا. واوفير وحويلة ويوباب جميع هؤلاء بنو يقطان. وكان سكنهم من ميشا حينما تجيء نحو سفار جبل المشرق"(تك10).

1) ونزل ولد كنعان بن حام – وهم الأغلب من ولد كنعان – بلاد الشام، فهم الكنعانيون، وبهم تعرف تلك الديار، فقيل: بلاد كنعان – المسعودي، مروج الذهب، صـ393.

وذكر ابن الأثير ابناء سام: " .. أرفخشذ(ارفكشاد) واشوذ(اشور) ولاوذ(لود) وارم(ارام)، .. فمن ولد لاوذ بن سام فارس[1] وجرجان[2] وطسم(؟) وعميلق[3]، وهو أبو العماليق، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون، والفراعنة[4] بمصر.. وولد إرم(ارام) بن سام عوضاً[5] وغاثراً[6] وحويلاً(حول)، فولد عوض(عوص) غاثراً (جاثر) وعاداً وعبيلاً(عيبال)، وولد غائر بن إرم ثمود وجديساً[7]... قال هشام بن الكلبي: السند والهند بنو توقير(اوفير) بن يقطن(يقطان) بن غابر(عابر) بن شالخ (شالح) بن أرفخشذ (ارفكشاد) بن سام بن نوح، وجرهم من ولد يقطن بن غابر، وحضرموت ابن يقطن، ويقطن هو قحطان في قول من نسبه إلى غير إسماعيل "[8].

وذكر الطبري[9] نسل سام كما ورد في (تك10). كما انه ذكر عابر في مقدمة ابنائه، بينما ذكره في رواية اخرى كأبن لشالح حسبما ورد في التكوين. وفي نفس السياق نسب الفراعنة بمصر إلى ولد ارفكشاد، بينما نسبهم فيما سبق إلى حام وفق ما جاء في (تك10: 6). كما انه ذكر قينان الذي ورد إسمه في (لو3 : 36). وعلل اسقاط إسمه من سلسلة النسب لرداءة سيرته[10].ومن ولد يقطان المذكورين في (تك 10 و1اخ1) [11] ذكر الطبري حضرموت كما نسب إليه السند والهند[1] اللذان نسبهما من قبل الى قوط(فوط) ابن حام.

---

1) لعله اراد ريفاث ابن جومر ابن يافث، فلم يرد لـ لود نسل في سلسلة النسب التوراتية.

2) لعله يقصد الجرجاشي ابن كنعان ابن حام.

3) لعله يقصد عماليق ابن اليفاز ابن عيسو ابن إسحاق ابن إبراهيم.

4) الكنعانيون والفراعنة من حام وهم غير العماليق.

5) عوص اخو جاثر ابن ارام ابن سام ابن نوح.

6) لعله جاثر اخو عوص ابن ارام

7) لم يرد ذكر لـ عاد وثمود وجديس في سلسلة النسب، فهي حديثة العهد.

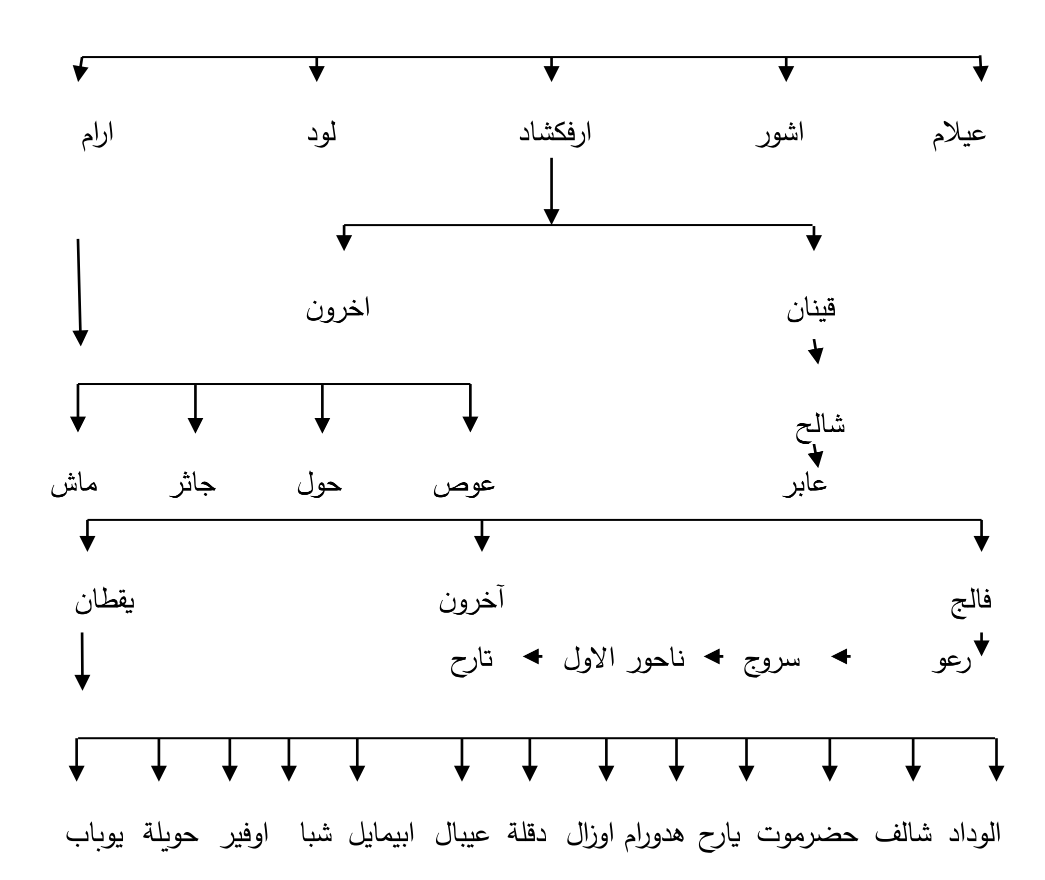
8) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ61، 62.

9)" فولد لسام عابر وعليم (عيلام) واشوذ(اشور) وارفخشد(ارفكشاد) ولاوذ(لود) وارم(ارام) .. " الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 141& المقدسي، البدء والتاريخ، جـ3، صـ27.

10)".. وولد لارفخشد بن سام إبنه قينان ولا ذكر له في التوراة وهو الذى قيل انه لم يستحق ان يذكر في الكتب المنزلة لانه كان ساحرا " – الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 141، 142.

11) " ويقطان ولد الموداد وشالف وحضرموت ويارح. وهدورام واوزال ودقلة. وعيبال وابيمايل وشبا. واوفير وحويلة ويوباب كل هؤلاء بنو يقطان " (تك10 : 20 – 23).

نسل سـام



وذكر المسعودي[2] نسل ارفكشاد ابن سام صحيحا كما جاء في بسفر التكوين.

---

1)" الهند والسند بنو نوقين بن يقطن بن عابر"– الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ143.

2)" وكان القيم بعد سام في الأرض ولده إرفخشذ .. ولما قبض الله إرفخشذ قام بعده ولده شالخ بن إرفخشذ .. ولما قبض الله شالخ قام بعده ولده عابر.. ولما قبض الله عابر قام بعده ولده فالغ .. ولما قبض الله فالغ قام بعده ولده رعو بن فالغ، .. ولما قبض الله رعو قام بعده ساروغ بن رعو.. ولما قبض الله ساروغ قام بعده ناحور بن ساروغ .. ولما قبض الله ناحور قام بعده ولده تارح، وهو آزر أبو إبراهيم الخليل " – المسعودي، مروج الذهب، صـ 31، 32.

الفصل الخامس

قصة إبراهيم

نسب ابراهيم :

" وهذه مواليد تارح: ولد تارح ابرام وناحور[1] وهاران. وولد هاران لوطا. ومات هاران قبل تارح أبيه في ارض ميلاده في اور الكلدانيين. واتخذ ابرام وناحور لانفسهما امرأتين إسم إمرأة ابرام ساراي واسم إمرأة ناحور ملكة بنت هاران أبي ملكة وابي يسكة. وكانت ساراي عاقرا ليس لها ولد. واخذ تارح ابرام إبنه ولوطا بن هاران ابن إبنه وساراي كنته إمرأة ابرام إبنه فخرجوا معا من اور الكلدانيين ليذهبوا إلى ارض كنعان فاتوا إلى حاران واقاموا هناك. وكانت أيام تارح مئتين وخمس سنين ومات تارح في حاران "(تك11).

وذكر ابو الفدا نسب إبراهيم صحيحا كما ورد في سفر التكوين، الا في نطق الأسماء، قال: " وهو إبراهيم بن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروغ بن رعو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح"[2].

وذكر المؤرخون نمرود[3] ابن كوش على انه كان معاصرا لإبراهيم وانه كان ملكا لتلك البلاد. واضافوا إلى ذلك ان نمرود ألقى بإبراهيم في النار ولكن الله نجاه.

---

1) تسمى على إسم جده، ومات فى أور، ودفن هناك. ويذكر يوسيفوس ان قبره كان موجوداً على عهده (تاريخ اليهود ك1 ف 6). واغلب الظن انه الإبن الأوسط لانه تزوج من ملكة إبنه أخيه هاران. وكان العرف يجيز للأخ الأصغر ان يتزوج بإبنة أخيه الأكبر وليس العكس.

2) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ27.

3) " .. فمكث نمرود أياما لا يشك إلا ان النار قد أكلت إبراهيم وفرغت منه. ثم ركب فمر بها وهى تحرق ما جمعوا لها من الحطب. فنظر إليها فرأى إبراهيم جالسا فيها إلى جنبه رجل مثله فرجع من مركبه ذلك فقال لقومه: لقد رأيت إبراهيم حيا في النار. ولقد شبه على. ابنوا لى صرحا يشرف بى على النار حتى أستثبت فبنوا له صرحا فأشرف عليه فاطلع منه إلى النار فرأى إبراهيم جالسا فيها ورأى الملك قاعدا إلى جنبه في مثل صورته فناداه نمرود يا إبراهيم كبير إلهك الذى بلغت قدرته وعزته ان حال بين ما أرى وبينك حتى لم تضرك يا إبراهيم هل تستطيع ان تخرج منها؟ قال نعم قال هل تخشى ان أقمت فيها ان تضرك؟ قال لا. قال فقم واخرج منها. فقام إبراهيم

وهي قصة شبيهة بقصة ألفتية الثلاثة الذين أمر نبوخذ نصر ملك بابل بأن يلقوا في النار لأنهم رفضوا السجود للتمثال (دا3).

وذكروا نجاة إبراهيم من النار وتكريم نمرود لاله إبراهيم، وهو ما يذكرنا بموقف ملك بابل من الفتية. وظهور ملاك الرب في وسط الاتون.

ووفقا للتوراة، فان نمرود هو ابن كوش ابن حام ابن نوح، فهو يمثل الجيل الثالث من نوح، اما إبراهيم فيأتي في الجيل الحادي عشر بعد نوح.

وذكر ابو الفدا ان سارة هي ابنة عمه هاران[1] ولكن هاران هو اخ غير شقيق لإبراهيم كما ورد في (تك20 :12) فقد قال لـ ابيمالك " هي اختي ابنة ابي غير أنها ليست ابنة امي فصارت لي زوجة ".

وينفرد ابن بطريق بذكر إسم ام إبراهيم واسم إمرأة أبيه التي ولدت سارة ولم يرد إسميهما في اي من أسفار الكتاب[2].

وقال المسعودي ان سارة هي ابنة بتوايل (بتوئيل)عم إبراهيم: " هي ابنة بتوايل بن ناحور، وهي ابنة عم إبراهيم "[3]. بينما لم تذكر سلسلة النسب التوراتية اخا لتارح يدعى ناحور بل ابنا له وقد سمي على اسم جده. كما ان بتوايل(بتوئيل) هو اخو سارة وليس ابوها. اما ابنته فهي رفقة التي تزوجها إسحاق ابن إبراهيم. وهو ما يذكره المسعودي في السياق التالي " وتزوج إسحاق بعد إبراهيم برفقا ابنة بتوايل؛ فولدت له العيص ويعقوب في بطن واحد "[4].

يمشى فيها حتى خرج منها. فلما خرج إليه قال يا إبراهيم من الرجل الذى رأيت معك في مثل صورتك قاعدا إلى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله إلى ربى ليكون معى فيها ليؤنسني وجعلها على بردا وسلاما فقال نمرود فيما حدثت يا إبراهيم انى مقرب إلى إلهك قربانا لما رأيت من عزته وقدرته"– الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 170.& ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ27.

1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ27.& المسعودي، مروج الذهب، صـ33.

2) لان تارح ابو إبراهيم لما ماتت يونا ام إبراهيم تزوج إمرأة أخرى اسمها تهويت فولدت له سارة وتزوجها إبراهيم. ومن قبل ذلك كان إبراهيم يقول انها اختي ابنة ابي وليست ابنة امي " – سعيد بن بطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت 1905، صـ21.

3) المسعودي، مروج الذهب، صـ 33.

4) المسعودي، مروج الذهب، صـ34.

رحلات إبراهيم:

".. فأخذ ابرام ساراي امراته ولوطا ابن اخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران وخرجوا ليذهبوا إلى ارض كنعان فاتوا إلى ارض كنعان. واجتاز ابرام في الأرض إلى مكان شكيم[1] إلى بلوطة مورة وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض.. ثم ارتحل ابرام ارتحالا متواليا نحو الجنوب "(تك 12).

وذكر الطبري المحطة الأولى لهجرته وهي حاران، كما ذكر هجرته إلى مصر دون الاشارة الى ارض كنعان: " ثم خرج إبراهيم مهاجرا إلى ربه. وخرج معه لوط مهاجرا. وتزوج سارة ابنة عمه. فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران. فمكث بها ما شاء الله ان يمكث. ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من ألفراعنة الأولى"[2].

وفي مصر، انكر زواجه من سارة خشية ان يقتله احد ويظفر بها " فحدث لما دخل ابرام إلى مصر ان المصريين راوا المراة أنها حسنة جداً. وراها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأخذت المراة إلى بيت فرعون. فصنع إلى ابرام خيرا بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء واتن وجمال. فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي إمرأة ابرام. فدعا فرعون ابرام وقال ما هذا الذي صنعت بي لماذا لم تخبرني أنها امراتك. لماذا قلت هي اختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي والآن هوذا امراتك خذها واذهب. فاوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وامراته وكل ما كان له "(تك 12).

وذكر ابن الأثير هجرة إبراهيم إلى مصر، واعطى فرعون مضيف إبراهيم إسما لم يرد في اسماء الفراعنة لا في ثبت سقارة، ولا في ثبت الكرنك، ولا في ثبت ابيدوس، ولا في بردية تورين، ولا في حجر بالرموا، ولا في التاريخ الماخوذ عن مانيتون. ولا على اي اثر من اثارها المكتشفة حتى الان[3].

---

1) تقع في تل بلاطة قرب نابلس الحديثة.

2) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ171.

3) " فخرج مهاجراً حتي قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الأولى كان اسمه سنان بن علوان بين عبيد " – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 77& ابو الفدا، المختصر، صـ27.

وصدق ابو الفدا على ما ورد في سفري التكوين واعمال الرسل بشأن ضم فرعون لسارة إلى حريمه لجمالها. وكيف ان الله ضربه فاطلقها، وان فرعون وهب إبراهيم هاجر كجارية:

" فذكر جمال سارة لفرعون – وهو طوليس المذكور – فأحضر سارة وسأل إبراهيم عنها فقال: هذه أختي، يعني في الإسلام. فهم فرعون المذكور فأيبس الله يديه ورجليه. فلما تخلى عنها، أطلقه الله تعالى. ثم هم بها فجرى له كذلك. فأطلق سارة وقال: لا ينبغي لهذه ان تخدم نفسها، ووهبها هاجر جارية لها. فأخذتها وجاءت إلى إبراهيم، ثم سار إبراهيم من مصر إلى الشام، واقام بين الرملة وايلياء"[1].

وبعد عودته اضطر الى الدخول في حرب ضد ملوك شنعار وعيلام لكي ينقذ لوطا الذي اسروه عند غزوهم لبلاد كنعان (تك 14).

وبعد ذلك ذهب ابراهيم الى جرار وكان عليها ابيمالك. وهناك انكر للمرة الثانية زواجه من سارة فضمها ابيمالك الى حريمه فاقعده الرب عن الاقتراب منها. ولما تيقن من حقيقة الامر، فانه ردها الى بعلها. ومنحه عطايا جزيلة الى جانب حرية العيش في ارضه(تك 20).

وقال الطبري ان الجبار(ابيمالك) سأل ابراهيم ان يحضر له سارة لما علم انها اخته " فلما دخلت عليه فرآها أهوى إليها يتناولها فأُخذ أخذاً شديداً فقال ادعى الله ولا أضرك فدعت له .. فارسل فدعا أدنى حجابه فقال انك لم تأتني بانسان ولكنك أتيتني بشيطان أخرجها واعطاها هاجر"[2].

وتزوج ابراهيم من هاجر نزولا على رغبة سارة لتأتيه بما ضن به مستودعها فولدت له إسماعيل، وهو ابن ست وثمانين سنة (تك17). وروي ذلك ابو الفدا في تاريخه[3].

وفي ايجاز ذكر المقدسي قصة إبراهيم، كما وردت في التوراة مع بعض الاختلافات[1].

---

1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ27.

2) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ172.

3) " ووقع إبراهيم على هاجر، فولدت له إسماعيل.. وكانت ولادة إسماعيل لمضي ست وثمانين سنة من عمر إبراهيم "– ابو الفدا، المختصر، صـ27.& ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 78.

البشرى بإسحاق:

" وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار. فرفع عينيه ونظر واذا ثلاثة رجال واقفون لديه فلما نظر ركض لاستقبالهم .. فاسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال اسرعي بثلاث كيلات دقيقا سميذا اعجني واصنعي خبز ملة. ثم ركض إبراهيم إلى البقر واخذ عجلا رخصا وجيدا واعطاه للغلام فاسرع ليعمله. ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم .. وقالوا له أين سارة امراتك فقال ها هي في الخيمة. فقال اني ارجع اليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امراتك ابن وكانت سارة سامعة في باب الخيمة وهو وراءه .. فضحكت سارة في باطنها قائلة ابعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ. فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة افبالحقيقة الد وانا قد شخت.."(تك 18).

وذكر ابن الاثير حسن استضافة ابراهيم لضيوفه، قال: ".. فلمّا نزلوا على إبراهيم .. فرح بهم ورأى ضيفاً لم ير مثلهم حسناً وجمالاً .. فخرج إلى أهله فجاء بعجل سمين قد حنّذه، أي انضجه، فقرّبه إليهم، فأمسكوا أيديهم عنه .."[2].

وروى الطبري قصة البشرى بإسحاق مشيرا إلى ردة فعل سارة. وقد جاءت أخباره مختلفة بعض الشئ عما ورد في سفر التكوين، قال: " فلما نزل به أضيافه .. بشروه بغلام حليم عن أمر الله تعالى إياهم بتبشيره. فقال إبراهيم إذ بشر به هو إذا لله ذبيح فلما ولد الغلام وبلغ السعي قيل له أوف بنذرك الذى نذرت لله .. قال جبرائيل عليه

---

1) " وامره بالهجرة من أرض بابل إلى الشام فرارا بدينه .. فخرج إلى حران ومعه ابن أخيه لوط بن هاران .. ثم خرجوا من حران إلى أرض فلسطين ومر بحدود مصر وفرعونها يومئذ صاروف بن صاروف أخو الضحاك .. ويقال هو سنان بن علوان أخو الضحاك فهّم بأن يغصب إبراهيم امرأته سارة فتعوذ منه وقال انها أختي أراد به أخوة الديانة والتشابه .. فأطلق عنها بعد ما أظهره الله من الآيات الموجبة له تخلية سبيلها فأعطاها نعماً ومالا وجارية .. فعاد إبراهيم إلى أرض فلسطين فسكنها وكثرت ماشيته ونعمه وغلمانه وابتاع مزرعة حبرون وفيها قبره وقبر إسحاق ويعقوب وسارة ورفقا وليا.. فقالت سارة لإبراهيم اني أراك لا يولد لك فخذ هذه الجارية تقع عليها لعلنا نصيب منها ولدا فحملت بإسماعيل .. وحملت سارة بإسحاق بعد عشر سنين من مولد اسمعيل.. ولما ماتت سارة تزوج إبراهيم إمرأة من الكنعانيين يقال لها قطورا .. وعاش فيما روى مائة وخمسا وسبعين سنة "– المقدسي، البدء والتاريخ، جـ3، صـ52.

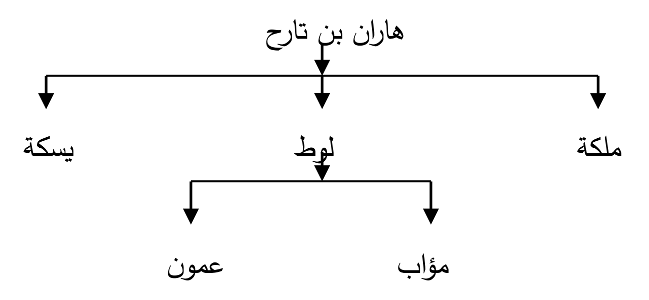
2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 91، 92.

السلام لسارة ابشرى بولد إسمه إسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فضربت جبهتها عجبا .. "[1].

قصة لوط:

اورد ابو الفدا نسب لوط بقوله: " أما لوط فهو ابن أخي إبراهيم الخليل، وهو لوط بن هاران بن آزر، آزر هو تارح .. وكان لوط ممن آمن بعمه إبراهيم، وهاجر معه إلى مصر، وعاد إلى الشام"[2].

ورد في سفر التكوين ان لوطاً وابراهيم افترقا بسبب كثرة املاكهما وضيق الأرض واختصام الرعاة " .. فاختار لوط لنفسه كل دائرة الاردن وارتحل لوط شرقا فاعتزل الواحد عن الاخر. ابرام سكن في ارض كنعان ولوط سكن في مدن الدائرة ونقل خيامه إلى سدوم. وكان أهل سدوم اشرارا وخطاة لدى الرب جداً " (تك 13).



وذكر الطبري الامر كما رواه موسى النبي، قال: " فلما كثر مال إبراهيم ومواشيه احتاج إلى السعة في المسكن والمرعى وكان مسكنه ما بين برية مدين فيما قيل والحجاز إلى أرض الشأم. وكان ابن أخيه لوط نازلا معه فقاسم ماله لوطا فأعطى لوطا شطره فيما قيل وخيره مسكنا يسكنه ومنزلا ينزله غير المنزل الذى هو به نازل فاختار لوط ناحية الاردن فصار إليها واقام إبراهيم عليه السلام بمكانه" [3].

وروى موسى النبي قصة هلاك سدوم وتناهي الفحشاء بين اهليهما حتى امستا مضربا للامثال في الشر والعقاب: " .. فنادوا لوطا وقالوا له أين الرجلان اللذان دخلا اليك الليلة اخرجهما إلينا لنعرفهما. فخرج إليهم لوط إلى الباب واغلق الباب

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ191.
2) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ29.
3) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ217.

وراءه. وقال لا تفعلوا شرا يا اخوتي.. واما الرجال الذين على باب البيت فضرباهم بالعمى من الصغير إلى الكبير فعجزوا عن ان يجدوا الباب "(تك19).

وذكر الطبري[1] وابو الفدا وابن الاثير فساد أهل سدوم وارسال الله الملائكة لاهلاك المدينة واهلها، قال ابن الاثير: " فكان قطعهم السبيل انهم كانوا يأخذون المسافر إذا مر بهم ويعملون به ذلك العمل الخبيث، وهو اللّواطة .. فبعث الله، لما أراد هلاكهم ونصر رسوله، جبرائيل وملكين آخرين معه أحدهما ميكائيل والآخر إسرافيل" [2].

وذكر موسى النبي شفاعة إبراهيم في أهل سدوم الذين عظمت خطيئتهم:

" .. فتقدم إبراهيم وقال افتهلك البار مع الاثيم. عسى ان يكون خمسون بارا في المدينة .. أديان كل الأرض لا يصنع عدلا. فقال الرب ان وجدت في سدوم خمسين بارا في المدينة فاني اصفح عن المكان كله من اجلهم. فاجاب إبراهيم وقال اني قد شرعت اكلم المولى وانا تراب ورماد. ربما نقص الخمسون بارا خمسة اتهلك كل المدينة بالخمسة فقال لا أهلك ان وجدت هناك خمسة واربعين... فقال لا يسخط المولى فاتكلم هذه المرة فقط عسى ان يوجد هناك عشرة فقال لا أهلك من اجل العشرة "(تك 19).

وتحدث المؤرخون عن شفاعة إبراهيم في قوم لوط وفق ما جاء في النص السابق. وانتهى بهلاكهم ونجاة لوط واسرته فيما خلا زوجته، قال ابو الفدا :

" وكان الملائكة قد أعلموا إبراهيم الخليل بما أمرهم الله تعالى به من الخسف بقوم لوط، فسأل إبراهيم جبريل فيهم، وقال له: أرأيت ان كان فيهم خمسون من المسلمين؟ فقال جبريل: ان كان فيهم خمسون لا نعذبهم، فقال إبراهيم: واربعون؟ قال: واربعون، قال إبراهيم وثلاثون؟ قال: وثلاثون، وكذلك حتى قال إبراهيم: وعشرة؟ فقال جبريل: وعشرة.."[3].

ثم امر الملاكان لوطا ان يخرج بأهله " فخرج لوط وكلم اصهاره الآخذين بناته وقال قوموا اخرجوا من هذا المكان لان الرب مهلك المدينة فكان كمازح في اعين اصهاره. ولما طلع ألفجر كان الملاكان يعجلان لوطا قائلين قم خذ امراتك وابنتيك

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 206 ، 207.

2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 91، 92.

3) ابو الفدا، المختصر، صـ29.& الطبري، جـ1، صـ209 & ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 92.

الموجودتين لئلا تهلك باثم المدينة .. واذ اشرقت الشمس على الأرض دخل لوط إلى صوغر. فامطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من عند الرب من السماء. وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الأرض. ونظرت امراته من وراءه فصارت عمود ملح. وبكر إبراهيم في الغد إلى المكان الذي وقف فيه امام الرب. وتطلع نحو سدوم وعمورة ونحو كل ارض الدائرة ونظر واذا دخان الأرض يصعد كدخان الاتون "(تك19).

وذكر المقدسي[1] في تاريخه، موجزا لقصة لوط، وجاء الكثير مما ذكره موافقا لما ورد في القصة التوراتية فذكر مرافقته لإبراهيم واستقراره في اخصب بقاع الاردن وذكر كذلك شرور أهل سدوم وعمورة وما جرى لهما من قبل الله.

وذكر ابن الأثير[2] أيضاً كل جوانب القصة كما وردت في سفر التكوين مع بعض الإختلافات في طريقة العرض. فأشار إلى فساد القوم، وسعيهم للايقاع بالوافدين، وضربهم بالعماء، وهلاكهم وانقلاب مدنهم، ونجاة لوط فيما خلا زوجته.

وقرض امية ابن ابي الصلت في قصة لوط وخراب سدوم شعرا قال فيه:

ثم لوطا اخو سدوم اتاهـــــــا	اذ اتاها برشدها وهُداهـــــــا
راودوه عن ضيفه ثم قالـــــــوا	قد نهيناك ان تقيم قراهـــــــا
عرَّض الشيخ عند ذاك بنـــــات	كظباء بأجرُع ترعاهـــــــــا
غضِب القوم عند ذاك وقالـــوا	أيها الشيخ خُطبةً نأباهـــــــا
اجمع القوم امرُهم وعجـــــــوز	خيب الله سعيها ورجاهـــــــا
ارسل الله عنذذاك عذابـــــــا	جعل الأرض سُفلها اعلاهـــــا[3]

طرد هاجر:

جاء بالتكوين ان سارة طلبت من ابراهيم ان يخلي سبيل هاجر وابنها " فقبح الكلام جداً في عيني إبراهيم لسبب إبنه. فقال الله لإبراهيم لا يقبح في عينيك من

1) المقدسي، البدء والتاريخ،جـ3، صـ58.
2) ابن الأثير، الكامل، مج 1، صـ 92، 93. انظر كذلك الطبري، تاريخ الامم، جـ1، صـ212.
3) لويس شيخو، شعراء النصرانية، بيروت 1926، صـ230.& المقدسي، البدء، جـ3، صـ59.

اجل الغلام ومن اجل جاريتك في كل ما تقول لك سارة إسمع لقولها لأنه بإسحاق يدعى لك نسل. وابن الجارية أيضاً ساجعله امة لأنه نسلك. فبكر إبراهيم صباحا واخذ خبزا وقربة ماء واعطاهما لهاجر واضعا اياهما على كتفها والولد وصرفها فمضت وتاهت في برية بئر سبع "(تك21).

وعلى الرغم من ان الله سمح بأن تفارق هاجر وابنها بيت ابراهيم – كنوع من العتق – الا ان عنايته لم تفارقهما كما جاء في كلام الله لابراهيم وكما اثبتت الايام والسنين. ويرى جورجي زيدان ان من اسماعيل خرج عرب الشمال الذين استوطنوا في تهامة، والحجاز ونجد، وعند مشارف الشام والعراق[1].

وروى ابو الفدا قصة طرد اسماعيل وامه بقوله: " ثم غارت سارة من هاجر وابنها إسماعيل وقالت: ابن الأمة لا يرث مع ابني. وطلبت من إبراهيم ان يخرجهما عنها، فأخذ إبراهيم هاجر وابنها إسماعيل وسار بهما إلى الحجاز، وتركهما بمكة، وبقي إسماعيل بها، وتزوج من جرهم إمرأة "[2].

واسهب الكتاب في ذكر ما تعرضت له هاجر من عناء بحثا عن الماء في البرية الموحشة. ولما ضاق بها الامر اخذت في البكاء على ابنها الذي اوشك الظمأ ان يودي بحياته، فأتاها صوت من السماء قائلاً " قومي احملي الغلام وشدي يدك به لاني ساجعله امة عظيمة. وفتح الله عينيها فابصرت بئر ماء فذهبت وملات القربة ماء وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس. وسكن في برية فاران واخذت له امه زوجة من ارض مصر "(تك21).

وذكر ابن الأثير الامر بقوله: " وقيل: ان الذي انبع الماء جبرائيل، فانه نزل إلى هاجر وهي تسعى في الوادي فسمعت حسّه فقالت: قد أسمعتني فأغثني فقد هلكتُ انا ومن معي، فجاء بها إلى موضع زمزم فضرب بقدمه ففارت عيناً"[3]. وبينما يرد في (تك21:21) ان إسماعيل تزوج بمصرية الا ان ابن الأثير وابي الفدا[4] يقولان بأنه تزوج امراءة من جرهم.

---

1) جورجي زيدان، تاريخ العرب قبل الاسلام، صـ222.
2) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ27، 28.
3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 79.
4)" وتزوج إسماعيل إمرأة من جرهم، ورزق منها اثني عشر ولداً .." – ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ30.& ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 79.

تجربة إبراهيم:

امتحان الله لإبراهيم في إبنه الوحيد، وقال له: " خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلى ارض المُرَيَّا واصعده هناك محرقة .. فبكر إبراهيم صباحا وشد على حماره واخذ إثنين من غلمانه معه واسحاق إبنه .. فقال إبراهيم لغلاميه اجلسا انتما ههنا مع الحمار واما انا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع اليكما. فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ووضعه على إسحاق إبنه واخذ بيده النار والسكين فذهبا كلاهما معا. وكلم إسحاق إبراهيم اباه وقال يا ابي فقال هانذا يا ابني فقال هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة. فقال إبراهيم الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني فذهبا كلاهما معا. فلما أتيا إلى الموضع الذي قال له الله بنى هناك إبراهيم المذبح ورتب الحطب وربط إسحاق إبنه ووضعه على المذبح فوق الحطب. ثم مد إبراهيم يده واخذ السكين ليذبح إبنه. فناداه ملاك الرب من السماء وقال .. لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئا لاني الآن علمت انك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني. فرفع إبراهيم عينيه ونظر واذا كبش وراءه ممسكا في الغابة بقرنيه فذهب إبراهيم واخذ الكبش واصعده محرقة عوضا عن إبنه .. "(تك22).

وروى المؤرخون[1] القصة بأشكال مختلفة وادخلوا الشيطان طرفا في التجربة الإبراهيمية، وقد خلت منه القصة التوراتية، ولهذا رايت ان اكتفي بنقل الرواية الاقرب للنص التوراتي، والتي قال فيها الطبري:

" فلما كبر اسحاق أرى إبراهيم في النوم فقيل له أوف بنذرك الذى نذرت ان رزقك الله غلاما من سارة ان تذبحه. فقال لاسحاق انطلق نقرب قربانا إلى الله. واخذ سكينا وحبلا ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام: يا أبت أين قربانك؟ قال يا بنى انى أرى في المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى؟ قال: يا أبت افعل.. التفت فإذا بكبش فأخذه وخلى عن إبنه فأكب على إبنه يقبله ويقول يا بنى اليوم وهبت لى " [2].

وروى المسعودي القصة في ايجاز، قال: " ثم أمر الله إبراهيم عليه السلام بذبح ولده، فبادر إلى طاعة ربه، وَتلَّهُ للجبين؟ فَفداه الله بِذبحٍ عظيم "[3]. وعرض ابن

1) انظر الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ186.& ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 84، 85.
2) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ191، 192.
3) المسعودي، مروج الذهب، صـ 34.

الاثير الخلاف حول الذبيح قال: " واختلف السلف من المسلمين في الذّبيح .. ذهب عمر بن الخطاب وعليّ والعبّاس بن عبد المطلب وابنه عبد الله، رضي الله عنهم، فيما رواه عنه عكرمة وعبد الله بن مسعود وكعب وابن سابط وابن أبي الهذيل ومسروق الى ان الذبيح إسحاق، عليه السلام .." [1].

وانتشرت القصة بين عرب الجاهلية فراحوا يقصونها نثرا ويقرضونها شعرا كما رأينا عند امية بن ابي الصلت، وهو من اشهر شعراء الجاهلية، الذي انشد في امر الذبيح المفدى على احسن ما يدر الشعراء من معينهم:

ولإبراهيم الموَفّي بالنـــــــــذرِ	احتساباً وحاملِ الاجـــــــــزالِ
بكره لم يكن ليصبر عنـــــه	او يراه في معشرٍ اقْتـــــــــالِ
اَبُني اني نذرتك للــــــــــه	شحيطاً فاصبر فِدًى لك حالـــي
واشدُد الصَّفد لا احيد عــــن	السكين حيد الاسير ذي الاغـلال
وله مُديةٌ تخَايَلُ في اللحـــم	جُذامٌ حَنّيةٌ كالهــــــــــــلال
بينما يخلع السرابيلَ عنـــــه	فكَّهُ ربه بكبشٍ جُــــــــــلالِ
فخذنْ ذا فارسل ابنك انـــــي	للذي قد فعلتما غير قــــــــالِ[2]

وفاة سارة:

ماتت سارة ولها من العمر مائة وسبع وعشرون سنة، وان كنا لا ندري اكانت مقدار السنة شمسية ام قمرية وهل كان عدد أيامها مثل عدد أيامها عندنا ام لا. واعمار البشر لا تغني كثيراً فيما نأخذه عن تاريخ الاسلاف من المواعظ والاعتبار.

" وكانت حياة سارة مئة وسبعا وعشرين سنة سني حياة سارة. وماتت سارة في قرية اربع التي هي حبرون في ارض.. وبعد ذلك دفن إبراهيم سارة امراته في مغارة حقل المكفيلة امام ممرا التي هي حبرون في ارض كنعان "(تك 23).

---

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 83.& ابو الفدا، المختصر، صـ28.

2) لويس شيخو، شعراء النصرانية، صـ230.& المقدسي، البدء والتاريخ، جـ3، صـ65.

وجاءت رواية ابن الأثير اقرب من غيرها إلى رواية التوراة حتى انه ذكر سنة وفاتها، ومكان مثواها في قرية أربع العماليقي:

" لا يدفع أحد من أهل العلم ان سارة توفيّت بالشام ولها مائة وسبع وعشرون سنة، وقيل: انها كانت بقرية الجبابرة من أرض كنعان "[1].

وفاة إبراهيم:

" وهذه أيام سني حياة إبراهيم التي عاشها مئة وخمس وسبعون سنة. واسلم إبراهيم روحه ومات بشيبة صالحة شيخا وشبعان أياما وانضم إلى قومه. ودفنه إسحاق واسماعيل ابناه في مغارة المكفيلة في حقل عفرون بن صوحر الحثي الذي امام ممرا " (تك 25).

وذكر الطبري خبر وفاة إبراهيم:

" ولما مات إبراهيم عليه السلام وكان موته وهو ابن مائتي سنة وقيل ابن مائة وخمس وسبعين سنة دفن عند قبر سارة في مزرعة جيرون(عفرون)" [2].

---

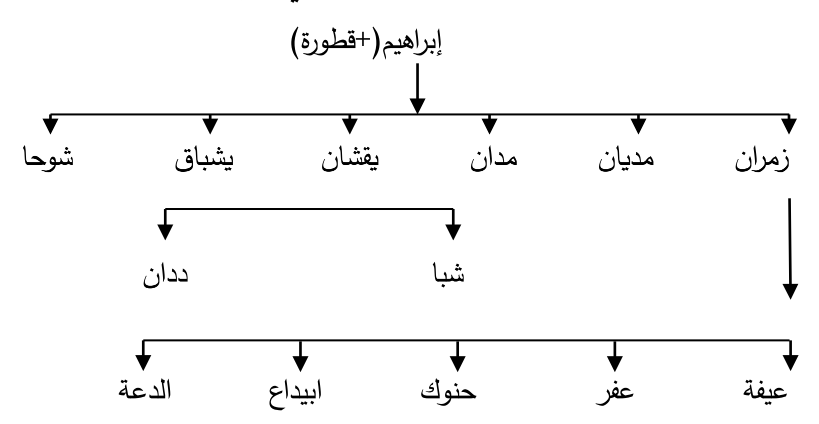
1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 93.& ابو الفدا، المختصر، صـ 28.

2) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ219.

الفصل السادس

نسل إبراهيم

انجب إبراهيم اسماعيل من هاجر ثم اسحاق من ساره. وبعد موت ساره تزوج من قطورة وانجب منها ستة ابناء هم " زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا. وولد يقشان شبا وددان وكان بنو ددان اشوريم ولطوشيم ولاميم. وبنو مديان عيفة وعفر وحنوك وابيداع والدعة جميع هؤلاء بنو قطورة. واعطى إبراهيم إسحاق كل ما كان له. واما بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم فاعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحاق إبنه شرقا إلى ارض المشرق وهو بعد حي " (تك 25).

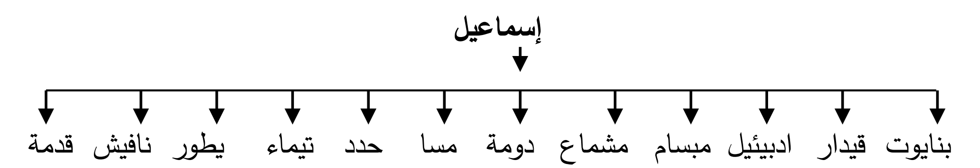


واتفق ما ذكره الطبري[1] وابن الأثير والمسعودي مع ما ورد بشأن زوجات إبراهيم وابنائه، ولكنهم أضافوا أشياء لم ترد في سفر التكوين مثل ذكرهم لإسم زوجة رابعة له. فقال ابن الأثير

".. فلمّا ماتت سارة تزوج بعدها قطوراً ابنة يقطن إمرأة من الكنعانيين فولدت له ستّة نفر: نفشان (يقشان) ومران(زمران) ومديان ومدن(مدان) ونشق (يشباق) وسرح(شوحا)، وكان جميع أولاد إبراهيم مع إسماعيل واسحاق ثمانية نفر. وكان إسماعيل بكره. وقيل في عدد أولاده غير ذلك. فالبربر من ولد نفشان، واهل مدين

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ217.

قوم شعيب من ولد مديان .. وقيل: تزوج بعد قطورا إمرأة أخرى إسمها حجون ابنة اهير"[1]. واما المسعودي فقد ذكر أسماء ابناء ابراهيم من قطوره بكثير من الاختلاف عما ورد في التوراة وعما ذكره الطبري[2].



" وهذه اسماء بني إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم نبايوت بكر إسماعيل وقيدار وادبئيل ومبسام. ومشماع ودومة ومسا. وحدار وتيما ويطور ونافيش وقدمة .. وهذه سنو حياة إسماعيل مئة وسبع وثلاثون سنة. وسكنوا من حويلة إلى شور التي امام مصر حينما تجيء نحو اشور امام جميع اخوته نزل "(تك25).

وذكر ابن الاثير ابناء إسماعيل ولكن باختلاف النطق، قال:

" فولدت لإسماعيل إثني عشر رجلاً: نابت (نبايوت) وقيدار واذيل(ادبئيل) وميشا(مبسام) ومسمع (مشماع) ورما (دومة) وماش(مسا) واذر(حدار) وقطورا (يطور) وقافس (نافيش) وطميا (تيما) وقيدمان(قدمة). وكان عمر إسماعيل فيما يزعمون سبعاً وثلاثين ومائة سنة. ومن نابت وقيدار ابني إسماعيل نشر الله العرب. وارسله الله تعالى إلى العماليق وقبائل اليمن. وقد ينطق أولاد إسماعيل بغير الألفاظ التي ذكرت .. ودفن عند قبر أمّه هاجر بالحجر"[3].

واشتهر الإسماعيليون في العهد القديم، حيث كان تجار منهم يذهبون إلى مصر وهم يحملون بضائعهم ومنها الاعشاب الطبية والدهون العطرية مثل الكثيراء والبلسان واللاذن وغيرها مما يستعمله المصريون في الطب والتحنيط (تك 37: 25). ثم نراهم

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 94.

2)" وتوفيت سارة وتزوج إبراهيم بعد ذلك بقنطوراء، فولد منها ستة ذكور، وهم: مرق، ونفس، ومدن(مدان)، ومدين(مديان)، وسنان(؟)، وسرح، وتوفي إبراهيم بالشام، وكان عمره إلى ان قبضه الله عز وجل مائة سنة وخمساً وتسعين سنة " – المسعودي، مروج الذهب، صـ 34.

3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 95.& الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ220، 212& المسعودي، مروج الذهب، صـ44.

بعد ذلك بنحو خمسة قرون في سفر القضاة، تارة بإسم الإسماعيليين وتارة أخرى بإسم بني المشرق(قض6: 33، 7: 12، 8: 21).

ابناء إسماعيل بين سفر التكوين واخبار المؤرخين

سفر التكوين	الطبري	ابن الأثير	المسعودي
نبايوت	نابت	نابت	فائث
قيدار	قيدر	قيدار	قيدار
ادبئيل	ادبيل	اذيل	أربل
مبسام.	ميشا	ميشا	ميشا
مشماع	مسمع	مسمع	مسمع
دومة	دما	رما	دوما
مسا	ماس	ماش	دوام
حدار	ادد	آذر	حداد
تيما	طما	طميا	حيم
يطور	وطور	قطورا	قطورا
نافيش	نفيس	قافس	ماس
قدمة	قيدمان	قيدمان	ميم

وخرجت من قيدار اعقاب كثيرة حتى ولد عدنان. وجاء ذكر بني قيدار في سفر إشعياء النبي حيث تنبأ عما سيحل بهم من المصاعب (اش21: 16). كما تنبأ ارميا النبي (ار49 :28) عن غزو نبوخذ نصر لبلادهم. وقد روى المؤرخون العرب قصة هذه الغزوة فقال ابن الأثير" وسار بختنصر إلى معد فلقي جموع العرب فقاتلهم وهزمهم .. وسار إلى الحجاز فجمع عدنان العرب، والتقى هو وبختنصر في ذات عرق، فاقتتلوا قتالا شديدا .. واخذتهم السيوف، فنادوا بالويل. ونهى عدنان عن بختنصر، وبختنصر عن عدنان، وافترقا "[1].

1) ابن الأثير، الجزء الاول، صـ 117.

كما تعرضوا للغزو الاشوري وفقاً لما جاء في حوليات اسرحدون انه غزا بلاد العرب وانه اخضع عددا من ملوكهم: قيس ملك ندل، واكبر ملك البنط، وُمعِن ساق ملك مجلان، ويافع ملك ديخر، وخبس ملك قحطبة، وغيرهم "[1].

وكان الإسماعيليون يتمتعون بالجاه والثراء. وكانت لهم ماشية وابل وذهب وارجوان. وقد أشار سفر القضاة إلى هذا الثراء (8: 24). فكانوا يتاجرون مع بلدان الشرق والغرب برا وبحرا. وفي عهد يوليوس قيصر تمكنوا من دخول الحبشة والنوبة ومصر[2].

نسل إسحاق:

قال موسى النبي ان اسحاق لما بلغ من العمر اربعبن سنة " اتخذ لنفسه زوجة رفقة بنت بتوئيل الارامي اخت لابان الارامي من فدان ارام .. فقال لها الرب في بطنك امتان ومن احشائك يفترق شعبان شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير. فلما كملت أيامها لتلد اذا في بطنها توامان. فخرج الأول احمر كله كفروة شعر فدعوا إسمه عيسو. وبعد ذلك خرج اخوه ويده قابضة بعقب عيسو فدعي إسمه يعقوب وكان إسحاق ابن ستين سنة لما ولدتهما " (تك25).

وفي تاريخه ذكر الطبري الامر كما ورد في سفر التكوين. ولكن روايته جاءت مخالفة في بعض امور طفيفة منها انه استنطق العيص(عيسو) وهو جنين. وعنده أن إسم العيص من العصيان، قال:

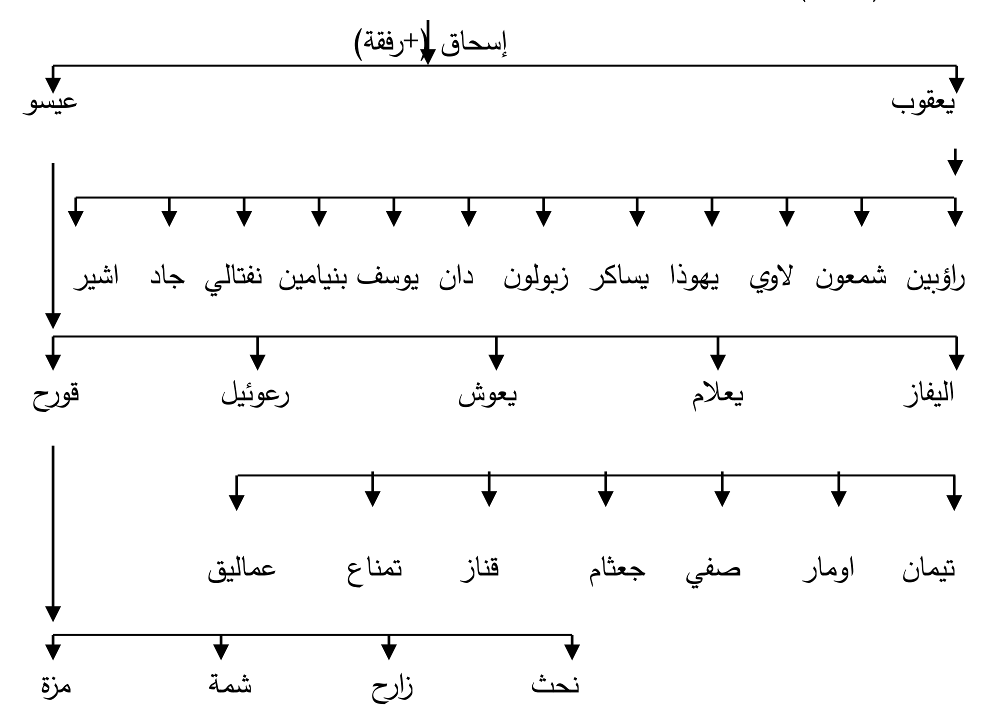
" تزوج اسحاق امرأه فحملت بغلامين في بطن فلما أرادت ان تضعهما اقتتل الغلامان في بطنها فأراد يعقوب ان يخرج قبل عيص فقال عيص والله لئن خرجت قبلى لاعترضن في بطن أمي ولاقتلنها فتأخر يعقوب فخرج عيص قبله واخذ يعقوب بعقب عيص فخرج فسمى عيصا لأنه عصى فخرج قبل يعقوب وسمى يعقوب لأنه خرج آخذا بعقب عيص. وكان يعقوب أكبرهما في البطن ولكن عيصا خرج قبله"[3]

1) جورجي زيدان، تاريخ العرب، صـ 130- 131 عن Closer Geo 115.

2) جورجي زيدان، تاريخ العرب قبل الاسلام، صـ 132 عن Closer Geo.

3) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ224.

وقال أبو الفدا[1] ان إسحاق تزوج ابنة عمه كما جاء بالتوراة، فهي رفقة حفيدة ناحور اخي إبراهيم؛ فهي من نسل عم إسحاق. وذكر الطبري[2] امرا ليس هناك ما يدعمه لا في التوراة ولا في كتب المؤرخين الغربيين، قال بأن الروم خرجت من العيص(عيسو).



وذكر المسعودي خبر زواج اسحاق من رفقة، وانجابهما ولدين، كما أشار إلى عمر اسحاق عند وفاته بقوله:

" وتزوج إسحاق بعد إبراهيم برفقا ابنة بتوايل؛ فولدت له العيص ويعقوب في بطن واحد.. وكان عمر إسحاق إلى ان قبضه الله مائة وخمساً وثمانين سنة، ودفن مع

1) " ثم ان إسحاق تزوج بنت عمه، فولدت له العيص ويعقوب، ويقال ليعقوب إسرائيل "– ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ30.

2) " ثم نكح عيص بن إسحاق ابنة عمه بسمة بنت اسماعيل بن إبراهيم فولدت له الروم بن عيص فكل بنى الاصفر من ولده "– الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ222.

أبيه الخليل، ومواضع قبورهم مشهورة، وذلك على ثمانية عشر ميلاً من بيت المقدس في مسجد هناك يعرف بمسجد إبراهيم ومراعيه " [1].

صراع الاخوان:

ذكر موسى النبي ان اسحاق لما بلغ به الكبر وكلت عيناه، دعا عيسو ابنه وقال له :

" تصيد لي صيدا. واصنع لي اطعمة كما احب واتني بها لاكل حتى تباركك نفسي قبل ان أموت... واما رفقة فكلمت يعقوب إبنها قائلة ... اذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جديين جيدين من المعزى فاصنعهما اطعمة لابيك كما يحب. فتحضرها إلى ابيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته. فقال يعقوب لرفقة امه هوذا عيسو اخي رجل اشعر وانا رجل املس. ربما يجسني ابي فاكون في عينيه كمتهاون واجلب على نفسي لعنة لا بركة. فقالت له امه لعنتك علي يا ابني إسمع لقولي فقط ... فتقدم يعقوب إلى إسحاق أبيه فجسه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو. ولم يعرفه لان يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو اخيه فباركه. وحدث عندما فرغ إسحاق من بركة يعقوب ويعقوب قد خرج من لدن إسحاق أبيه ان عيسو اخاه اتى من صيده. فصنع هو أيضاً اطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال لأبيه ليقم ابي ويأكل من صيد إبنه حتى تباركني نفسك. فقال له إسحاق ابوه من انت فقال انا ابنك بكرك عيسو. فارتعد إسحاق ارتعادا عظيما جداً وقال فمن هو الذي اصطاد صيدا واتى به الي فاكلت من الكل قبل ان تجيء وباركته نعم ويكون مباركا. فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جداً وقال لأبيه باركني انا أيضاً يا ابي. فقال قد جاء اخوك بمكر واخذ بركتك.. فحقد عيسو على يعقوب من اجل البركة التي باركه بها ابوه وقال عيسو في قلبه قربت أيام مناحة ابي فاقتل يعقوب اخي. فأخبرت رفقة بكلام عيسو إبنها الاكبر فارسلت ودعت يعقوب إبنها الاصغر وقالت له هوذا عيسو اخوك متسل من جهتك بأنه يقتلك. فالآن يا ابني إسمع لقولي وقم اهرب إلى اخي لابان إلى حاران. واقم عنده أياما قليلة حتى يرتد سخط اخيك. حتى يرتد غضب اخيك عنك وينسى ما صنعت به ثم ارسل فأخذك من هناك لماذا اعدم إثنيكما في يوم واحد "(تك 27).

---

1) المسعودي، مروج الذهب، صـ34.

وروى الاخباريون القصة بطريقة مختلفة، فقال ابن الأثير:

" وكان عيص(عيسو) أحبّهما إلي أبيه ويعقوب أحبّهما إلى أمه، وكان عيص صاحب صيد، فقال له اسحاق لما كبر وعمي: يا بنيّ أطعمني لحم صيد واقترب مني أدع لك بدعاء دعا لي به أبي. وكان عيص رجلاً أشعر. وكان يعقوب أجرد. وسمعت أمهما ذلك وقالت ليعقوب: يا بنيّ أذبح شاة واشوها والبس جلدها وقرّبها إلى أبيك وقل له: انا ابنك عيص. ففعل ذلك يعقوب. فلما جاء قال: يا أبتاه كلْ، قال: من انت؟ قال: انا ابنك عيص. فمسحه اسحاق فقال: المسّ مسّ عيص والريح ريح يعقوب. فقالت أمّه: انه عيص فكلْ فأكل ودعا له ان يجعل الله في ذرّيته الأنبياء والملوك. وقام يعقوب وجاء عيص، وكان في الصيد، فقال لأبيه: قد جئتك بالصيد الذي طلبت، فقال: يا بنيّ قد سبقك أخوك. فحلف عيص ليقتلنّ يعقوب، فقال: يا بنيّ قد بقيت لك دعوة، فدعا له ان يكون ذرّيّتُه عدد التراب وان لا يملكهم غيرهم. وهرب يعقوب خوفاً من أخيه إلى خاله "[1].

واكمل الطبري ما آل إليه حال يعقوب بعد هروبه من وجه اخيه عسو، وفي ايجاز شديد، فذكر وجهته إلى خاله لابان، وزواجه من راحيل وليئة وانجابه إثنى عشر ولدا وبنتا واحده، هي دينه. ثم عودته ولقائة باخيه عيسو بعد فراق طال أمده في حياة كليهما، بينما قصر جداً في رواية الطبري: " فخرج يعقوب هاربا منه إلى خاله لابان ببابل فوصله لابان وزوجه ابنتيه ليا وراحيل وانصرف بهما وبجاريتيهما واولاده الاسباط الإثنى عشر واختهم دينا إلى الشأم إلى منزل آبائه وتألف أخاه العيص حتى ترك له البلاد "[2].

واما سفر التكوين فقد ذكر هروب يعقوب إلى خاله وما جرى له في طريق ذهابه واثناء عودته مرورا بفترة تواجده عند خاله، وما دار خلالها من احداث تخللها زواجه بكبرى البنتين ثم بالصغرى ثم بزلفة وبلهة الجاريتين ..الخ:

" فدعا إسحاق يعقوب وباركه واوصاه وقال له لا تأخذ زوجة من بنات كنعان. قم اذهب إلى فدان ارام إلى بيت بتوئيل ابي امك. وخذ لنفسك زوجة من هناك من بنات لابان اخي امك. والله القدير يباركك ويجعلك مثمرا ويكثرك .. راى عيسو ان بنات

---

1) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 96 & الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ224 ، 225.
2) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ224.

كنعان شريرات في عيني إسحاق أبيه. فذهب عيسو إلى إسماعيل واخذ محلة بنت إسماعيل بن إبراهيم اخت نبايوت زوجة له على نسائه(تك 28).

وروى الطبري[1] القصة مع بعض الإختلاف عما ورد في التوراة مثل اختلاف الأسماء بعض الشئ، فوالد رفقة ورد تارة بإسم ناهر بن آزر، واخرى بإسم بتويل بن إلياس.

وذكر الطبري كذلك الرؤيا[2] التى راها يعقوب وهو في طريقه إلى إلى فدان ارام، قال: " .. فرأى فيما يرى النائم ان سلما منصوبا إلى باب من أبواب السماء عند رأسه والملائكة تنزل وتعرج فيه"[3]. ولقاء يعقوب براحيل عند البئر، يشبه لقاء موسى ببنات حميه يثرون، ولقاء إسحاق برفقة. وقد احتل بضع سطور في الاصحاح التاسع والعشرين من سفر التكوين[4] بينما لم يرد له خبر في صحف المؤرخين. اذ يقفذ بنا ابن الأثير إلى بيت لابان لنشهد على الفور زواجين كان الفارق بينهما اربعة عشر حولا [5].

واذا ما طالعنا كالمعهود القصة كما وردت في مصدرها الأول لا نجد من اختلاف الا فيما يطرأ على نقل نص ما من لسان إلى لسان في العهود السالفة. يقول الوحي على لسان موسى النبي:

" .. واحب يعقوب راحيل فقال اخدمك سبع سنين براحيل ابنتك الصغرى. فقال لابان ان اعطيك اياها احسن من ان اعطيها لرجل اخر اقم عندي. فخدم يعقوب براحيل سبع سنين وكانت في عينيه كأيام قليلة بسبب محبته لها .. فجمع لابان

---

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ222.

2) " فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران.. ورای حلما واذا سلم منصوبة على الأرض وراسها يمس السماء وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها... "(تك 28: 10 -19).

3) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ223.

4)".. فكان لما ابصر يعقوب راحيل بنت لابان خاله وغنم لابان خاله ان يعقوب تقدم ودحرج الحجر عن فم البئر وسقى غنم لابان خاله.. "(تك 29 : 10- 14).

5)" ونكح يعقوب بن إسحاق – وهو إسرائيل – ابنة خاله ليا(ليئة) بنت لبان(لابان) بن بتويل(بتوئيل) فولدت له روبيل(راوبين)، وكان أكبر ولده، وشمعون ولاوي ويهوذا وزبالون(زبولون) ولشحر، وقيل ويشحر(يساكر)، ثمّ توفّيت ليا فتزوج أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين، وهو بالعربية شداد، وولد له من سرّيتين أربعة نفر: دان ونفتالي وجاد واشر(اشير)، وكان ليعقوب إثنا عشر رجلاً " – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 95، 96.

جميع أهل المكان وصنع وليمة. وكان في المساء انه أخذ ليئة ابنته واتى بها إليه فدخل عليها.. فقال للابان ما هذا الذي صنعت بي اليس براحيل خدمت عندك فلماذا خدعتني. فقال لابان لا يفعل هكذا في مكاننا ان تعطى الصغيرة قبل البكر. اكمل اسبوع هذه فنعطيك تلك أيضاً بالخدمة التي تخدمني أيضاً سبع سنين اخر. ففعل يعقوب هكذا فاكمل اسبوع هذه فاعطاه راحيل ابنته زوجة له. " (تك29).

وجاءت رواية الطبري[1] متفقة في الكثير مع نص التوراة. وانجب يعقوب من ليئة ستة اولاد، ومن راحيل ابنين، واثنين من كل من زلفة وبلهة:

" بنو ليئة راوبين بكر يعقوب وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون. وابنا راحيل يوسف وبنيامين. وابنا بلهة جارية راحيل دان ونفتالي. وابنا زلفة جارية ليئة جاد واشير هؤلاء بنو يعقوب الذين ولدوا له في فدان ارام" (تك 35 : 22). وقد وردت اسماؤهم في مختصر ابي الفدا، ومروج المسعودي: " وكان لإسرائيل المذكور إثنا عشر ابناً وهم روبيل ثم شمعون ثم لاوي ثم يهوذا ثم يساخر ثم زبولون ثم يوسف ثم بنيامين ثم دان ثم نفتالي ثم كاذ ثم أشار (أشير) "[2].

وعزم يعقوب على ترك خاله والعودة إلى مسقط رأسه ببلاد كنعان، ولم يفلح خاله عن إثنائة عن عزمه، كما جاء بسفر التكوين لموسى النبي(تك31).

وروى ابن الأثير والطبري[3] تلك الاحداث في عجالة، فقال الأول: " واراد يعقوب الرجوع إلى بيت المقدس فأعطاه خاله قطيع غنم، فلمّا ارتحلوا لم يكن لهم نفقة، فقالت زوجة يعقوب ليوسف: اسرق صنماً من أصنام أبي نستنفق منه، فسرقت صنماً من أصنام أبيها "[4].

---

1) " وان يعقوب صار إلى خاله فخطب إليه ابنته راحيل .. فرعى له يعقوب سبع سنين فلما وفى له شرطه دفع إليه ابنته الكبرى ليا وادخلها عليه ليلا فلما أصبح وجد غير ما شرط فجاءه يعقوب وهو في نادى قومه فقال له غررتني وخدعتني واستحللت عملي سبع سنين ودلست على غير امرأتي فقال له خاله يا ابن أختى أردت ان تدخل على خالك العار والسبة وهو خالك ووالدك ومتى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى فهلم فاخدمنى سبع حجج أخرى فأزوجك أختها وكان الناس يومئذ يجمعون بين الاختين إلى ان بعث موسى عليه السلام وانزل عليه التوراة فرعى له سبعا فدفع إليه راحيل"–الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ223.

2) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 1، صـ 112 & المسعودي، مروج الذهب، صـ34.

3) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ225.

4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 96.

لقاء الأخوان:

وبعد فراق طال امده التقى الشقيقان وقد ازال الزمن ما كان في نفس عيسو من كراهية تجاه اخيه الاصغر الذي سرق منه البركة، وعندما رآه ركض للقائه " وعانقه ووقع على عنقه وقبله وبكيا... فرجع عيسو ذلك اليوم في طريقه إلى سعير. واما يعقوب فارتحل إلى سكوت وبنى لنفسه بيتا وصنع لمواشيه مظلات لذلك دعا إسم المكان سكوت. ثم اتى يعقوب سالما إلى مدينة شكيم التي في ارض كنعان حين جاء من فدان ارام ونزل امام المدينة. وابتاع قطعة الحقل التي نصب فيها خيمته من يد بني حمور ابي شكيم بمئة قسيطة. واقام هناك مذبحا ودعاه ايل اله إسرائيل" (تك 33).

وفي ايجاز شديد أشار الطبري الى اللقاء المرتقب بين الشقيقين والذي بعث الطمانينة في نفس يعقوب بعد الخيفة والتوجس،" فانصرف يعقوب وولده هؤلاء وامرأتيه المذكورتين إلى منزل أبيه من فلسطين على خوف شديد من أخيه العيص فلم ير منه إلا خيرا "[1].

وحدث بعد ذلك ان مات إسحاق، فارسل يعقوب إلى اخيه عيسو ليشارك في مراسيم تأبين أبيهما،" وكانت أيام إسحاق مئة وثمانين سنة. فاسلم إسحاق روحه ومات وانضم إلى قومه شيخا وشبعان أياما ودفنه عيسو ويعقوب ابناه "(تك 36).

وذكر المسعودي[2] خبر الوفاة مضيفا خمس سنوات الى عمر اسحاق على عمره الوراد في سفر التكوين(تك36).

نسل عيسو:

عندما كان عيسو في بيت أبيه اقترن ببنتين من بنات الحثيين، هما يهوديت وبسمة[3]. ولما ارتحل إلى الجنوب الشرقي واستقر به المقام في جبل سعير وكان يسكنه قبلا الحوريون، فانه اتخذ من النساء عدا وتمناع واهوليبامة وانجب منهن [1].

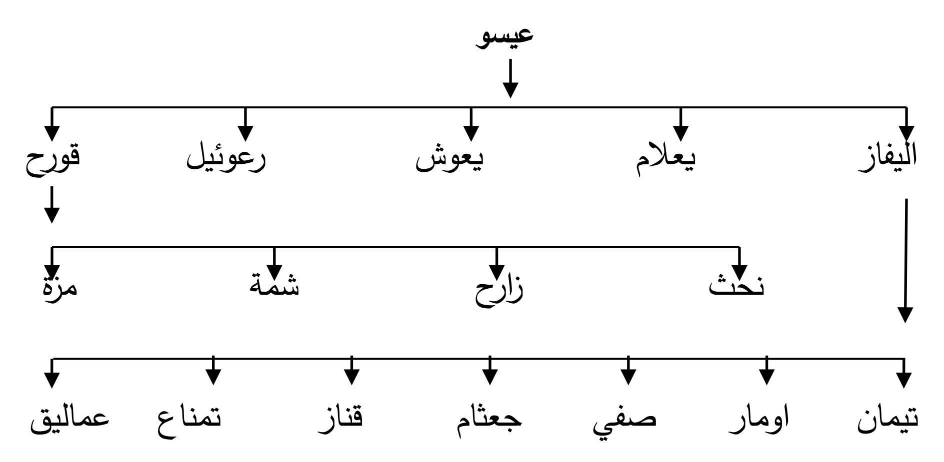
---

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ223.

2) وكان عمر إسحاق إلى ان قبضه الله مائة وخمساً وثمانين سنة، ودفن مع أبيه الخليل، ومواضع قبورهم مشهورة، وذلك على ثمانية عشر ميلاً من بيت المقدس في مسجد هناك يعرف بمسجد إبراهيم ومراعيه " – المسعودي، مروج الذهب، صـ 34.

3)" ولما كان عيسو ابن اربعين سنة اتخذ زوجة يهوديت ابنة بيري الحثي وبسمة ابنة ايلون الحثي. فكانتا مرارة نفس لإسحاق ورفقة " (تك 26)

وذكر المؤرخون بسمة زوجة ونسبوا لها الروم، وهو لم يرد في الكتاب، فقال الطبري: " ثمّ نكح عيص بن إسحاق نسمة بنت عمه إسماعيل فولدت له الروم بن عيص، وكلّ بني الأصفر "[2]. اما الكتاب فنسب الى بسمة ولد واحد هو رعوئيل[3]. ولا علاقة له بالروم.



1)" هذه اسماء بني عيسو اليفاز ابن عدا إمرأة عيسو ورعوئيل ابن بسمة إمرأة عيسو. وكان بنو اليفاز تيمان واومار وصفوا وجعثام وقناز. وكانت تمناع سرية لاليفاز بن عيسو فولدت لاليفاز عماليق هؤلاء بنو عدا إمرأة عيسو. وهؤلاء بنو رعوئيل نحث وزارح وشمة ومزة هؤلاء كانوا بني بسمة إمرأة عيسو. وهؤلاء كانوا بني اهوليبامة بنت عنى بنت صبعون إمرأة عيسو ولدت لعيسو يعوش ويعلام وقورح "(تك 35).

2) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 224& المقدسي، البدء والتاريخ،جـ3، صـ63.

3) " اخذ عيسو نساءه من بنات كنعان عدا بنت ايلون الحثي واهوليبامة بنت عنى بنت صبعون الحوي. وبسمة بنت اسماعيل اخت نبايوت. فولدت عدا لعيسو اليفاز وولدت بسمة رعوئيل " (تك 36).

الفصل السابع

قصة يوسف

ترك رحيل راحيل اثرا عميقا في نفس يعقوب. وقد انعكس ذلك على ولديه منها وهما يوسف وبنيامين. ثم ما لبث يوسف ان احتل المكانة العظمى في قلب أبيه مما اثار غيظ اخوته وحنقهم عليه و" ابغضوه ولم يستطيعوا ان يكلموه بسلام. وحلم يوسف حلما واخبر اخوته فازدادوا أيضاً بغضا له. فقال لهم إسمعوا هذا الحلم الذي حلمت. فها نحن حازمون حزما في الحقل واذا حزمتي قامت وانتصبت فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتي. فقال له اخوته العلك تملك علينا ملكا ام تتسلط علينا تسلطا وازدادوا أيضاً بغضا له من اجل احلامه ومن اجل كلامه. ثم حلم أيضاً حلما اخر وقصه على اخوته فقال اني قد حلمت حلما أيضاً واذا الشمس والقمر واحد عشر كوكبا ساجدة لي. وقصه على أبيه وعلى اخوته فانتهره ابوه وقال له ما هذا الحلم الذي حلمت هل نأتي انا وامك واخوتك لنسجد لك إلى الأرض. فحسده اخوته واما ابوه فحفظ الامر "(تك 37).

وروى ابن الأثير القصة مع بعض الإختلافات، منها ان اخوته عرفوا خبر الحلم من زوجة يعقوب، بينما نعلم من سفر التكوين ان يوسف قص الحلم على اخوته، وهاك ما ذكره ابن الأثير:

" فلمّا رأى إخوة يوسف محبّة أبيهم له واقباله عليه حسدوه وعظم عندهم. ثمّ ان يوسف رأى في منامه كأن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر تسجد له، فقصها على أبيه، وكان عمره حينئذٍ إثنتي عشرة سنة .. وسمعت إمرأة يعقوب ما قال يوسف لأبيه فقال لها يعقوب: اكتمي ما قال يوسف ولا تخبرين أولادك. قالت: نعم، فلمّا أقبل أولاد يعقوب من الرعي أخبرتهم بالرّؤيا، فازدادوا حسداً وكراهةً له وقالوا: ما عني بالشمس غير أبينا، ولا بالقمر غيرك، ولا بالكواكب غيرنا، ان ابن راحيل يريد ان يتملك علينا ويقول انا سيدّكم. وتآمروا بينهم ان يفرّقوا بينه وبني أبيه "[1].

---

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 104، 105.

واسهب المؤرخون[1] في وصف ما حدث من بني يعقوب نحو اخيهم حتى تم بيعه لتجار الرقيق. وقد جاءت روايتهم متفقة في الكثير مع ما ذكره موسى النبي[2]؛ ولكن لم تخل جميع الروايات من اشياء لم ترد في الاصل التوراتي كالقول بأنهم

---

1) " فلمّا برزوا الى البريّة أظهروا له العداوة وجعله بعض إخوته يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه، فجعل لا يرى منهم رحيماً، فضربوه حتى كادوا يقتلونه، وجعل يصيح: يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بابنك بنو الإماء. فلمّا كادوا يقتلونه قال لهم يهوذا: أليس قد أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه؟ فانطلقوا به الى الجبّ فأوثقوه كتافاً ونزعوا قميصه والقوه فيه، فقال: يا إخوتاه ردّوا عليّ قميصي أتوارى به في الجبّ فقالوا: ادعُ الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً تؤنسك، قال: اني لم أرَ شيئاً، فدّلوه في الجبّ، فلما بلغ نصفه ألقوه وارادوا ان يموت، وكان في البئر ماء، فسقط فيه ثمّ زوى إلى صخرة فأقام عليها، ثمّ نادوه فظنّ انهم قد رحموه فأجابهم، فأرادوا ان يرضخوه بالحجارة فمنعهم يهوذا... وجاء يهوذا بطعام ليوسف فلم يره في الجبّ فنظر فرآه عند مالك في المنزل فأخبر إخوته بذلك، فأتوا مالكاً وقالوا: هذا عبد ابق منّا، وخافهم يوسف فلم يذكر حاله واشتروه من إخوته بثمن بخس؛ قيل عشرون درهماً، وقيل لأربعون درهماً، وذهبوا به الى مصر " – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 106، 107.& الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 223.

2) " فقال إسرائيل ليوسف اليس اخوتك يرعون عند شكيم تعال فارسلك إليهم فقال له هانذا .. فذهب يوسف وراء اخوته فوجدهم في دوثان. فلما ابصروه من بعيد قبلما اقترب إليهم احتالوا له ليميتوه. فقال بعضهم لبعض هوذا هذا صاحب الاحلام قادم. فالآن هلم نقتله ونطرحه في احدى الابار ونقول وحش رديء اكله فنرى ماذا تكون احلامه. فسمع راوبين وانقذه من ايديهم وقال لا نقتله. وقال لهم راوبين لا تسفكوا دما اطرحوه في هذه البئر التي في البرية ولا تمدوا إليه يدا لكي ينقذه من ايديهم ليرده إلى أبيه. فكان لما جاء يوسف إلى اخوته انهم خلعوا عن يوسف قميصه القميص الملون الذي عليه. واخذوه وطرحوه في البئر واما البئر فكانت فارغة ليس فيها ماء. ثم جلسوا ليأكلوا طعاماً فرفعوا عيونهم ونظروا واذا قافلة إسمعيليين مقبلة من جلعاد وجمالهم حاملة كثيراء وبلسانا ولاذنا ذاهبين لينزلوا بها إلى مصر. فقال يهوذا لاخوته ما الفائدة ان نقتل اخانا ونخفي دمه. تعالوا فنبيعه للإسمعيليين ولا تكن ايدينا عليه لأنه اخونا ولحمنا فسمع له اخوته. واجتاز رجال مديانيون تجار فسحبوا يوسف واصعدوه من البئر وباعوا يوسف للإسمعيليين بعشرين من الفضة فاتوا بيوسف إلى مصر. ورجع راوبين إلى البئر واذا يوسف ليس في البئر فمزق ثيابه. ثم رجع إلى اخوته وقال الولد ليس موجودا وانا إلى أين اذهب. فأخذوا قميص يوسف وذبحوا تيسا من المعزى وغمسوا القميص في الدم. وارسلوا القميص الملون واحضروه إلى أبيهم .. فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحا على حقويه وناح على إبنه أياما كثيرة. .. واما المديانيون فباعوه في مصر لفوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط "(تك 37 : 12 – 36).

اصطحبوا يوسف معهم إلى البرية، بينما في التوراة ان ابوه بعث به إليهم يحمل لهم الطعام بينما كانوا يحملون له المكيدة؛ وان اخوته ضربوه قبل ان يلقوه في البئر، وان البئر كان به ماء؛ وان فرعون كان من عماليق، واسمه الريان بن الوليد، وان الذي اشتراه يسمى العزيز.

وفي مصر آل يوسف إلى بيت فوطيفار رئيس الشرط:

" واما يوسف فانزل إلى مصر واشتراه فوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط رجل مصري من يد الإسمعيليين الذين انزلوه إلى هناك. وكان الرب مع يوسف فكان رجلا ناجحا وكان في بيت سيده المصري. ورای سيده ان الرب معه وان كل ما يصنع كان الرب ينجحه بيده. فوجد يوسف نعمة في عينيه وخدمه فوكله على بيته ودفع إلى يده كل ما كان له. وكان من حين وكله على بيته وعلى كل ما كان له ان الرب بارك بيت المصري بسبب يوسف وكانت بركة الرب على كل ما كان له في البيت وفي الحقل. فترك كل ما كان له في يد يوسف ولم يكن معه يعرف شيئا الا الخبز الذي يأكل وكان يوسف حسن الصورة وحسن المنظر "(تك 39).

وقال الطبري[1]، ناسبا الخبر إلى أهل التوراة ان يوسف قدم إلى مصر وهو ابن السبعة عشر ربيعا كما جاء في (تك37). وان فرعون استوزره عندما كان له ثلاثون سنة؛ وانه مات وله من العمر مائة وعشر سنين وفق ما جاء في (تك50)

وروى موسى النبي[2] تجربة يوسف مع إمرأة سيده، وانها اغتنمت فرصة غياب زوجها فطلبت من يوسف ان يضطجع معها ولكنه رفض. ومع تكرار الطلب لم تلقى

---

1)" وذكر بعض أهل التوراة ان في التوراة ان الذى كان من أمر يوسف واخوته والمصير به إلى مصر وهو ابن سبع عشرة سنة يومئذ وانه أقام في منزل العزيز الذى اشتراه ثلاث عشرة سنة وانه لما تمت له ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر الوليد بن الريان وانه مات يوم مات وهو ابن مائة سنة وعشر سنين" – الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ235.

2) " وحدث بعد هذه الأمور ان إمرأة سيده رفعت عينيها إلى يوسف وقالت اضطجع معي. فابى ... فامسكته بثوبه قائلة اضطجع معي فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج إلى خارج. وكان لما رات انه ترك ثوبه في يدها وهرب إلى خارج. أنها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة انظروا قد جاء إلينا برجل عبراني ليداعبنا دخل الي ليضطجع معي فصرخت بصوت عظيم. وكان لما سمع اني رفعت صوتي وصرخت انه ترك ثوبه بجانبي وهرب وخرج إلى خارج. فوضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى بيته. فكلمته بمثل هذا الكلام .. فأخذ يوسف سيده ووضعه في بيت السجن المكان الذي كان اسرى الملك محبوسين فيه "(تك 39).

منه سوى الرفض واصفا ذلك بأنه " الشر العظيم". وقد دفعها الغيظ الى ان لفقت له تهمة التحرش بها، مما افضى به الى السجن. وهذا يؤكد انحطاط اخلاقها وانعدام مرؤتها وعدم وفائها لزوجها. لم تكن تحتفظ بقليل من الشفقة والرحمة تجاه الفتى المخلص في عمله والخادم الامين لسيده. وانما كان غرضها فقط ان تطفئ شهوتها.

وقد اشتهرت هذه القصة في التراث الديني اليهودي والمسيحي والاسلامي، فقد وردت في الاصحاحات من السابع والثلاثين الى الخمسين من سفر التكوين. واحتلت مساحة كبيرة في الكتب اليهودية غير النبوية. كما وردت في سورة كاملة من القران الكريم هي سورة يوسف. وحظيت باهتمام المؤرخين فذكروها جميعا بكل تفاصيها سواء التي وردت في التوراة وفي كتب التراث اليهودي، او التي لم ترد فيهما. ولذلك فعند مقارنة ما ذكروه بكتاب موسى نجد القصة بكاملها مع بعض الاختلاف بالزيادة او بالنقصان. فروى ابو الفدا[1] تجربة يوسف مع امراءة فوطيفار كما رواها موسى ولكنه اعطى لها اسما هو راعيل – على وزن راحيل – بينما ذكرتها مصادر اخرى باسم زليخة. وذكر الطبري[2] اعترافها بالذنب، وهو لم يرد في القصة التوراتية التي تقول بأنه بسببها تم دفع يوسف الى السجن، " ولكن الرب كان مع يوسف وبسط إليه لطفا وجعل نعمة له في عيني رئيس بيت السجن... ومهما صنع كان الرب ينجحه " (تك 39).

وشاءت عناية الله وضع نهاية لسجن يوسف، وجاء الوقت الذي يكافأ فيه على صبره وامانته وتمسكة بدين ابائه، عندما حلم كل من رئيس السقاة ورئيس الجبازين حلماً، فقال الاول: " كنت في حلمي واذا كرمة امامي. وفي الكرمة ثلاثة قضبان وهي اذ افرخت طلع زهرها وانضجت عناقيدها عنبا. وكانت كاس فرعون في يدي

---

1)" ولما اشترى العزيز يوسف هوته امرأته، وكان إسمها راعيل، وراودته عن نفسها، فأبى وهرب منها، ولحقته من خلفه، وامسكته بقميصه، فانقد قميصه، ووصل أمرهما إلى زوجها العزيز وابن عمها تبيان فظهر لهما براءة يوسف، وان راعيل هي التي راودته، ثم بعد ذلك ما زالت تشكو إلى زوجها من يوسف، وتقول: انه يقول للناس: انني راودته عن نفسه، وقد فضحني بين الناس، فحبسه زوجها، ودام في السجن سبع سنين "– ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ32.

2) " لما جمع الملك النسوة فسألهن هل راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت إمرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين .. فقال يوسف للملك اجعلني على خزائن الأرض .. فولاه فيما يذكرون عمل اطفير وعزل اطفير عما كان عليه"– الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ243 & ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 109.

فأخذت العنب وعصرته في كاس فرعون واعطيت الكاس في يد فرعون. فقال له يوسف هذا تعبيره الثلاثة القضبان هي ثلاثة أيام. في ثلاثة أيام أيضاً يرفع فرعون راسك ويردك إلى مقامك فتعطي كاس فرعون في يده كالعادة الأولى حين كنت ساقيه. وانما اذا ذكرتني عندك حينما يصير لك خير تصنع الي احسانا وتذكرني لفرعون وتخرجني من هذا البيت... فلما راى رئيس الخبازين انه عبر جيدا قال ليوسف كنت انا أيضاً في حلمي واذا ثلاثة سلال حوارى على راسي. وفي السل الاعلى من جميع طعام فرعون من صنعة الخباز والطيور تاكله من السل عن راسي. فاجاب يوسف وقال هذا تعبيره الثلاثة السلال هي ثلاثة أيام. في ثلاثة أيام أيضاً يرفع فرعون راسك عنك ويعلقك على خشبة وتاكل الطيور لحمك عنك... ولكن لم يذكر رئيس السقاة يوسف بل نسيه " (تك40).

وتحدث ابن الأثير عن حياة يوسف في السجن، قال:

" فلما حُبس يوسف أُدخل معه السجن فتيان من أصحاب فرعون مصر، أحدهما صاحب طعامه، والآخر صاحب شرابه.. فقال الخباز: اني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه وقال الآخر: اني أراني أعصر خمراً .. فقال: (أما أحدكما)، وهو الذي رأى انه يعصر الخمر، فيسقي ربّه خمراً، يعنى سيده الملك واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه .." [1].

وبعد سنتين من تلك الاحداث، راى فرعون رؤية، واذ سبع بقرات سمان اكلن سبع بقرات هزال. ثم نام فحلم ثانية ان سبع سنابل رقيقة ابتلعت سبع سمينات.

" فارسل ودعا جميع سحرة مصر وجميع حكمائها وقص عليهم فرعون حلمه فلم يكن من يعبره لفرعون. ثم كلم رئيس السقاة فرعون قائلا انا اتذكر اليوم خطاياي .. فارسل فرعون ودعا يوسف فاسرعوا به من السجن فحلق وابدل ثيابه ودخل على فرعون .. فقال يوسف لفرعون حلم فرعون واحد قد أخبر الله فرعون بما هو صانع .. هوذا سبع سنين قادمة شبعا عظيما في كل ارض مصر. ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعا فينسى كل الشبع في ارض مصر ويتلف الجوع الأرض. ولا يعرف الشبع في الأرض من اجل ذلك الجوع بعده لأنه يكون شديدا جداً. واما عن تكرار الحلم على فرعون مرتين فلان الامر مقرر من قبل الله والله مسرع ليصنعه.." (تك41).

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 109.

واعاد ابن الأثير صياغة القصة حسبما وصلت اليه باسلوبه؛ ولكنه اضاف اسم ملك مصر وقد اخذه من مصدر اخر غير التوراة.

" ثم ان الملك، وهو الريان بن الوليد بن الهروان بن اراشة بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح، رأى رؤيا هائلة. رأي سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف. ورأي سبع سنبلات خضر واخر يابسات. فجمع السحرة والكهنة والحازة والعافة فقصّها .. فأرسلوه إلى يوسف، فقصّ عليه الرّؤيا، فقال... فان البقرات السّمان السنون المخاصيب. والبقرات العجاف السنون المحول. وكذلك السنبلات الخضر واليابسات. فعاد نبو إلى الملك فأخبره. فعلم ان قول يوسف حقّ. فقال: (ائتوني به).. ثمّ اغتسل ولبس ثيابه وقصد الملك .. فسلّم خزائنه كلّها إليه بعد سنة وجعل القضاء إليه وحكمه نافذاً، وردّ إليه عمل قُطفير سيّده بعد ان هلك، وكان هلاكه في تلك الليالي "[1].

ولما استحسن فرعون كلام يوسف فانه لم ير بدا من ان يجعله الرجل الثاني في البلاد والمدبر الفعلي لشئونها:

" .. ثم قال فرعون ليوسف انظر قد جعلتك على كل ارض مصر... ودعا فرعون إسم يوسف صفنات فعنيح واعطاه اسنات بنت فوطي فارع كاهن اون زوجة فخرج يوسف على ارض مصر... واثمرت الأرض في سبع سني الشبع بحزم. فجمع كل طعام السبع سنين التي كانت في ارض مصر وجعل طعاماً في المدن طعام حقل المدينة الذي حواليها جعله فيها. وخزن يوسف قمحا كرمل البحر .. وولد ليوسف ابنان قبل ان تاتي سنة الجوع ولدتهما له اسنات بنت فوطي فارع كاهن اون. ودعا يوسف اسم البكر منسى.. ثم كملت سبع سني الشبع الذي كان في ارض مصر. وابتدأت سبع سني الجوع تأتي كما قال يوسف فكان جوع في جميع البلدان واما جميع ارض مصر فكان فيها خبز ... وجاءت كل الأرض إلى مصر إلى يوسف لتشتري قمحا لان الجوع كان شديدا في كل الأرض" (تك41).

وحكى ابو الفدا ما ال إليه حال يوسف بشئ من الإختلاف على هذا النحو:

" ثم أخرجه فرعون مصر بسبب تعبير الرؤيا التي أريها، ثم لما مات العزيز الذي كان اشترى يوسف، جعل فرعون يوسف موضعه على خزائنه كلها، وجعل القضاء إليه، وحكمه نافذاً، ودعا يوسف الريان فرعون مصر المذكور إلى الإيمان، فآمن به،

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 110، 111.

وبقي كذلك إلى ان مات الريان المذكور، وملك بعده مصر قابوس بن مصعب من العمالقة أيضاً، ولم يؤمن"[1].

وبينما يذكر موسى النبي ان يوسف تزوج بابنة فوطي فارع كاهن اون الا ان ابن الأثير يذكر انه تزوج بإمرأة سيده التي سبق وراودته عن نفسها[2].

ولما كانت مصر هي الملاذ الامن للشعوب المحيطة بها منذ اقدم العصور في كثير من الخطوب التي يمرون بها، لذلك فلما اتت المجاعة على بلاد كنعان، دفع يعقوب ببعض ابنائه للمجئ إلى مصر ليبتاعوا منها قمحا:

" فنزل عشرة من اخوة يوسف ليشتروا قمحا من مصر. واما بنيامين اخو يوسف فلم يرسله يعقوب مع اخوته لأنه قال لعله تصيبه اذية .. وعرف يوسف اخوته واما هم فلم يعرفوه. فتذكر يوسف الاحلام التي حلم عنهم وقال لهم جواسيس انتم لتروا عورة الأرض جئتم. فقالوا له لا يا سيدي بل عبيدك جاءوا ليشتروا طعاماً .. عبيدك إثنا عشر اخا نحن بنو رجل واحد في ارض كنعان وهوذا الصغير عند ابينا اليوم والواحد مفقود.. فجمعهم إلى حبس ثلاثة أيام. ثم قال لهم يوسف .. ان كنتم امناء فليحبس اخ واحد منكم في بيت حبسكم وانطلقوا انتم وخذوا قمحا لمجاعة بيوتكم. واحضروا اخاكم الصغير الي فيتحقق كلامكم ولا تموتوا ففعلوا هكذا. وقالوا بعضهم لبعض حقا اننا مذنبون إلى اخينا الذي رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع لذلك جاءت علينا هذه الضيقة.. وهم لم يعلموا ان يوسف فاهم لان الترجمان كان بينهم. فتحول عنهم وبكى ثم رجع إليهم وكلمهم واخذ منهم شمعون وقيده امام عيونهم. ثم امر يوسف ان تملا اوعيتهم قمحا وترد فضة كل واحد إلى عدله وان يعطوا زادا للطريق .. فجاءوا إلى يعقوب أبيهم إلى ارض كنعان واخبروه بكل ما اصابهم ... فقال لهم يعقوب اعدمتموني الأولاد يوسف مفقود وشمعون مفقود وبنيامين تأخذونه صار كل هذا علي. وكلم راوبين اباه قائلا اقتل ابني ان لم اجيء به اليك سلمه بيدي وانا ارده اليك. فقال لا ينزل ابني معكم لان اخاه قد مات وهو

1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ32.

2)" ثم ان الملك الريّان زوّج يوسف راعيل إمرأة سيّده، فلمّا دخل بها قال: أليس هذا خيراً مما كنت تريدين؟ فقالت: أيها الصدّيق لا تلمني فاني كنت إمرأة حسناء جميلة في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حسنك فغلبتني نفسي، ووجدها بكراً، فولدت له ولدين افرائيم ومنشا – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 112.

وحده باق فان اصابته اذية في الطريق التي تذهبون فيها تنزلون شيبتي بحزن إلى الهاوية ". (تك42).

وروى وابن الأثير وغيره خبر المجاعة ومجئ بني يعقوب ولقائهم باخيهم، وجات اخبارهما متفقة في كثير من التفاصيل الدقيقة التي جاءت في سفر التكوين، ومع ذلك لم تخل من بعض الخلاف، قال:

" فلمّا ولي يوسف خزائن أرضه ومضت السنون السبع المخصبات. وجمع فيها الطعام في سنبله، ودخلت السّنون المجدبة، وقحط النّاس واصابهم الجوع، واصاب بلاد يعقوب التي هو بها، بعث بنيه إلى مصر وامسك بنيامين أخا يوسف لأمّه. فلمّا دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون. وانما انكروه لبعد عهدهم منه ولتغير لبسته. فانه لبس ثياب الملوك. فلما نظر إليهم قال: أخبروني ما شأنكم، قالوا: نحن من الشام جئنا نمتار الطعام، قال: كذبتم، انتم عيون، فأخبروني خبركم، قالوا: نحن عشرة أولاد رجل واحد صدّيق. كنّا إثني عشر، وانه كان لنا أخ فخرج معنا إلى البرية فهلك، وكان أحبّنا إلى أبينا، قال: فإلى من سكن أبوكم بعده؟ قالوا: إلى أخ لنا أصغر منه، قال: فأتوني به انظر إليه فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي .. فاجعلوا بعضكم عندي رهينة حتى ترجعوا، فوضعوا شمعون، أصابته القرعة، وجهّزهم يوسف بجهازهم وقال لفتيانه: اجعلوا بضاعتهم، يعني ثمن الطعام، في رحالهم لعلّهم يرجعون"[1].

ولما فرغ القمح واشتد الجوع، طلب منهم ابوهم ان يذهبوا مرة اخرى الى مصر ليشتروا قمحاً، فاستأذن يهوذا ابيه في نزول بنيامين معهم، فوافق على مضض، ودعا لهم ان " فأخذ الرجال هذه الهدية واخذوا ضعف الفضة في اياديهم وبنيامين وقاموا ونزلوا إلى مصر .. فلما جاء يوسف إلى البيت احضروا إليه الهدية التي في اياديهم إلى البيت وسجدوا له إلى الأرض. فسال عن سلامتهم وقال اسالم ابوكم الشيخ الذي قلتم عنه احي هو بعد. فقالوا عبدك ابونا سالم هو حي بعد وخروا وسجدوا. فرفع عينيه ونظر بنيامين اخاه ابن امه وقال اهذا اخوكم الصغير الذي قلتم لي عنه ثم قال الله ينعم عليك يا ابني. واستعجل يوسف لان احشاءه حنت إلى اخيه وطلب مكانا ليبكي فدخل المخدع وبكى هناك. ثم غسل وجهه وخرج وتجلد وقال قدموا طعاماً " (تك 43).

1) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 112، 113.& الطبري، نفسه ، جـ1، صـ 244.

ويكمل كليم الله القصة (تك 44، 45) بأن يوسف لجأ الى ذات الحيلة التي استبقى بها شمعون، فأمر رجاله ان يضعوا فضة في عدل بنيامين لكي يستبقيه وليذكر اخوته بما فعلوه به من قبل عندما رجعوا لابيهم من دونه؛ ولكن غلبته عاطفته وكشف لهم عن نفسه، وطلب منهم ان يذهبوا ويحضروا ابيهم اليه ففعلوا.

وروى ابن الأثير[1] القصة بايجاز شديد عما ورد في سفر التكوين، ولكنه وضعها في سياق اخر ينطلق من نقر الصّواع.

وسمح فرعون ليعقوب وبنيه ان يستوطنوا ارض جاسان، فمكثوا بها لنحو اربعة قرون؛ سكت المؤرخون عن الإخبار بشئ مما وقع لبني يعقوب في مصر في الفترة ما بين موت يوسف ومولد موسى. وذلك لان كتاب موسى لم يخبر بذلك. وذكروا فقط خبر موت يعقوب ودفنه في ارض ابائه، فقال ابن الأثير:

" ولما مات يعقوب أوصي إلى يوسف ان يدفنه مع أبيه اسحاق، ففعل يوسف، فسار به إلى الشام فدفنه عند أبيه، ثمّ عاد إلى مصر واوصى يوسف ان يحمل من مصر ويدفن عند آبائه، فحمله موسى لما خرج ببني إسرائيل "[2]. وهو ما خطه موسى في سفره: " واوصاهم وقال لهم انا انضم إلى قومي ادفنوني عند ابائي في المغارة التي في حقل عفرون الحثي.. ولما فرغ يعقوب من توصية بنيه ضم رجليه إلى السرير واسلم الروح وانضم إلى قومه "(تك49).

وختم سفر التكوين بنبؤة يوسف عن خروجهم من مصر وطلبه ان ينقلوا عظامه ليدفنوها بجوار ابيه واجداده (تك 50). وهو ما اشار اليه ابو الفدا في مختصره [3].

---

1) " لما دخلوا على يوسف نقر الصّواع وقال: انه يخبرني انكم كنتم إثني عشر رجلاً وانكم بعتم أخاكم، فلمّا سمعه بنيامين سجد له وقال: سل صواعك هذا عن أخي أحيّ هو؟ فنقره ثم قال: هو حيّ وستراه، قال: فاصنع بي ما شئت فانه ان علم بي فسوف يستنقذني؛ قال: فدخل يوسف فبكى ثمّ توضّأ وخرج إليهم، قال: فلمّا حمّل يوسف إبل إخوته من الميرة جعل الإناء الذي يكيل به الطعام، وهوالصواع، وكان من فضّة، في رحل أخيه، وقيل: كان اناء يشرب فيه، ولم يشعر أخوه بذلك .. فلما استخرجت السرقة من رحل الغلام قال إخوته: يا بني راحيل لا يزال لنا منكم بلاء فقال بنيامين: بل بنو راحيل ما يزال لهم منكم بلاء وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم. فأخذ يوسف أخاه بحكم إخوته ".- ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 114.

2) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 118& الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ255.

3) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ32.

واتفق المؤرخون على ان يوسف بلغ من العمر مائة وعشر سنين، وينسب الطبري[1] ذلك إلى التوراة ولكنهم اختلفوا في سنة ميلاده وسنة مجيئه إلى مصر، ومدة فراقه ليعقوب أبيه[2].

1) وفى التوراة انه عاش مائة سنة وعشر سنين – الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ256.

2)" وولد ليعقوب يوسف لما كان ليعقوب من العمر إحدى وتسعون سنة، ولما صار ليوسف من العمر ثماني عشرة سنة كان فراقه ليعقوب.. وعاش يوسف مائة وعشر سنين .. ويكون وفاة يوسف قبل مولد موسى بأربع وستين سنة محققاً" – ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ31 & الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ255.

الفصل الثامن

قصة موسى

احتلت قصة خروج بني اسرائل من مصر مكانها في كتابات المؤرخين العرب، وقد اتفقت مع رواية التوراة في المجمل العام فذكروا اضطهاد فرعون لبني إسرائيل وامره بقتل الأولاد واستحياء الإناث. وذكروا نجاة موسى. واتفقوا إلى حد كبير على الوسيلة التي نجا بها من بطش فرعون. بل وذكروا امر القابلتين. ولم يستروا نبأ قتل موسى للمصري. وأشاعوا هروبه إلى ارض مديان(مدين في اللسان العربي)، وما كان من امره هناك وكيف التقى بصفورة واختها ابنتي كاهن المنطقة. وزواجه منها ومكوثه هناك اربعين سنة. ثم ظهور الله له وخطابه من العليقة وامره بالعودة إلى مصر لاخراج قومه، وغير ذلك من التفاصيل. ومع ذلك فقد وجدت بعض الإختلافات. وهذه الإختلافات تتبلور في ثلاثة جوانب فاولا اختلاف نطق الأسماء وهو جائز لاختلاف الالسن وفي القليل اختلافها. وثانيا أضافة أخبار لم ترد في القصة التوراتية. وثالثا الاعراض عن ذكر تفاصيل واخبار وردت في التوراة.

نسب موسى:

" وهذه اسماء بني لاوي بحسب مواليدهم جرشون وقهات .. وبنو قهات عمرام ويصهار وحبرون وعزيئيل.. واخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له فولدت له هرون وموسى " (خر6 : 16).

وذكر المسعودي وابو الفدا[1] نسبه صحيحا – مع الإختلاف اللفظي – حسبما ورد في الكتاب (تك46 : 11، خر6 : 18، عد3 : 19، 1أخ6 : 18).

1)" ولما صار لإبراهيم مائة سنة ولد له إسحاق، ولما صار لإسحاق ستون سنة ولد له يعقوب، ولما صار ليعقوب ست وثمانون سنة ولد له لاوي. ولما صار للاوي ست واربعون سنة ولد له قاهاث(قهات)، ولما صار لقاهاث ثلاث وستون سنة ولد له عمران(عمرام)، ولما صار لعمران سبعون سنة ولد له موسى عليه السلام، فيكون ولادة موسى لمضي أربع مائة وخمس وعشرين سنة من مولد إبراهيم، وعاش موسى مائة وعشرين سنة. فيكون ما بين ولادة إبراهيم ووفاة موسى خمسمائة وخمساً واربعين سنة "– ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ28. & المسعودي، مروج الذهب، صـ35.

بينما أضاف ابن الأثير[1] يصهر(يصهار) معتبرين اياه ابا لـ عمران (عمرام) بينما هو اخاه.

فرعون التسخير:

ذكر سفر التكوين ان السبب الذي جعل فرعون يأمر في التضييق على بني إسرائيل هو انه رأى ان عددهم أخذ في الازدياد ولذك كان يخشى مغبة انضمامهم لاي عدو قد يهاجم البلاد بين ليلة وضحاها، ولذلك اصدر الامر بوأد الذكور واستحياء الإناث:

".. فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم باثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس .. وكلم ملك مصر قابلتي العبرانيات اللتين إسم احداهما شفرة واسم الأخرى فوعة. وقال حينما تولدان العبرانيات وتنظرانهن على الكراسي ان كان ابنا فاقتلاه وان كان بنتا فتحيا. ولكن القابلتين خافتا الله ولم تفعلا كما كلمهما ملك مصر بل استحيتا الأولاد. فدعا ملك مصر القابلتين وقال لهما لماذا فعلتما هذا الامر واستحييتما الأولاد. فقالت القابلتان لفرعون ان النساء العبرانيات لسن كالمصريات فانهن قويات يلدن قبل ان تاتيهن القابلة. فاحسن الله إلى القابلتين ونما الشعب وكثر جداً. وكان اذ خافت القابلتان الله انه صنع لهما بيوتا. ثم امر فرعون جميع شعبه قائلا كل ابن يولد تطرحونه في النهر لكن كل بنت تستحيونها "(خر1).

وروى المؤرخون خبر اضطهاد فرعون لبني إسرائيل. وخبر دعوة موسى النبي وما كان بينهما من سجال. وجاءت أخبارهم متفقة في المجمل العام مع ما ورد في المصدر الأول لها وهو سفر الخروج، ولكنها خالفت في بعض التفاصيل الجزئية مثل ذكر إسم فرعوني الاطهاد والخروج: قابوس والوليد وهما لم يردا في قائمة الملوك الفراعنة كما لم يرد إسم فرعون في قصة الخروج التوراتية، قال الطبري: " لم يزل بنو إسرائيل تحت يد الفراعنة وهم على بقايا من دينهم .. حتى كان فرعون موسى .. واسمه فيما ذكر (الوليد بن مصعب) ، وكان سيء الملكة على بني إسرائيل يعذبهم ويجعلهم خولاً ويسومهم سوء العذاب .. فأمر ان لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح ويترك الجواري. وقيل: انه لما تقارب زمان موسى أتى

1) " قيل: هو موسى بن عمران بن يصهر(يصهار) بن قاهث (قهات) بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم.. وام موسى يوخابد(يوكابد)، واسم امرأته صفوراً (صفورة) بنت شعيب النبيّ(يثرون) "– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 130.

منجمو فرعون وحزاته إليه فقالوا: أعلم انا نجد في علمنا ان مولوداً من بني إسرائيل قد أظلّك زمانه الذي يولد فيه يسلبك ملكك ويغلبك على سلطانك ويبدل دينك، فأمر بقتل كلّ مولود يولد في بني إسرائيل "[1].

وخالفت الرواية السابقة سفر الخروج في القول بأن احد مواليد بني اسرائيل سوف يسلب فرعون الملك. وهو ما يذكرنا بما ورد بشأن ولادة السيد المسيح عندما جاء مجوس من المشرق واخبروا هيرودس الكبير بأنهم رأوا اية ميلاد ملك عظيم في مملكته فخاف على عرشه وامر بقتل اطفال بيت لحم.

ولادة موسى وانقاذه:

" وذهب رجل من بيت لاوي واخذ بنت لاوي. فحبلت المراة وولدت ابنا ولما راته انه حسن خباته ثلاثة اشهر. ولما لم يمكنها ان تخبئه بعد أخذت له سفطا من البردي وطلته بالحمر والزفت ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر. ووقفت اخته من بعيد لتعرف ماذا يفعل به. فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر فرات السفط بين الحلفاء فارسلت امتها واخذته. ولما فتحته رات الولد واذا هو صبي يبكي فرقت له وقالت هذا من اولاد العبرانيين. فقالت اخته لابنة فرعون هل اذهب وادعو لك إمرأة مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد. فقالت لها ابنة فرعون اذهبي فذهبت الفتاة ودعت ام الولد. فقالت لها ابنة فرعون اذهبي بهذا الولد وارضعيه لي وانا اعطي اجرتك فأخذت المراة الولد وارضعته. ولما كبر الولد جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابنا ودعت إسمه موسى وقالت اني انتشلته من الماء. وحدث في تلك الأيام لما كبر موسى انه خرج إلى اخوته لينظر في اثقالهم فراى رجلا مصريا يضرب رجلا عبرانيا من اخوته. فالتفت إلى هنا وهناك وراى ان ليس احد فقتل المصري وطمره في الرمل. ثم خرج في اليوم الثاني واذا رجلان عبرانيان يتخاصمان فقال للمذنب لماذا تضرب صاحبك. فقال من جعلك رئيسا وقاضيا علينا امفتكر انت بقتلي كما قتلت المصري فخاف موسى وقال حقا قد عرف الامر. فسمع فرعون هذا الامر فطلب ان يقتل موسى فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في ارض مديان وجلس عند البئر " (خر2).

---

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 272.

وذكر ابو الفدا[1] الامر مطنبا، اما الطبري فقد اورده مسهبا، قال:

" فلما وضعته أرضعته ثم دعت له نجارا فجعل له تابوتا وجعل مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه والقته في اليم (وقالت لاخته قصيه) .. فخرج جواري آسية إمرأة فرعون يغتسلن فوجدن التابوت فادخلنه إلى آسية وظنوا ان فيه مالا فلما نظرت إليه آسية وقعت عليه رحمتها واحبته .. فأرادوا له المرضعات فلم يأخذ من أحد من النساء وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع فأبى ان يأخذ .. ولما جاءت أمه أخذ منها ثديها فكادت ان تقول هو ابني فعصمها الله .. وانما سمى موسى لأنهم وجدوه في ماء وشجر والماء بالقبطية مو والشجر شا .. فكبر موسى فكان يركب مراكب فرعون ويلبس ما يلبس وكان إنما يدعى موسى ابن فرعون "[2].

ووافق قول الطبري ما جاء بالخروج في ذكر حادثة اخفاء موسى في النهر داخل وعاء، وان قال بأنه وضع في صندوق بينما في الخروج نقرأ عن صفط. وقد كانت عادة من يعيش بمصر استخدام نبات البردي الجاف في صناعة السلال والقوارب لانها تطفو على الماء. كما ذكروا ان زوجة فرعون هي التي تبنته بينما ورد في الخروج أنها ابنة فرعون وليس زوجته. كما وافق القول بان امه هي التي ال إليها امر حضانته. وبينما يذكر الطبري ان كلمة موسى تعني ماء وشجر، يرى اخرون انها مركبة من مقطعين (مو) اي ماء و(سا) اي ابن، فهو ابن الماء.

هروب موسى إلى مديان (مدين):

سكت الوحي – كما سكت المؤرخون تبعا لذلك – عن ذكر ما دار من احداث في حياة موسى النبي منذ نجاته وهو طفل رضيع حتى بلوغه سن الاربعين:

" وحدث في تلك الأيام لما كبر موسى انه خرج إلى اخوته لينظر في اثقالهم فراى رجلا مصريا يضرب رجلا عبرانيا من اخوته. فالتفت إلى هنا وهناك وراى ان ليس احد فقتل المصري وطمره في الرمل. ثم خرج في اليوم الثاني واذا رجلان عبرانيان يتخاصمان فقال للمذنب لماذا تضرب صاحبك. فقال من جعلك رئيسا وقاضيا علينا امفتكر انت بقتلي كما قتلت المصري فخاف موسى وقال حقا قد عرف

1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ33، 35.

2) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ273 & ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 132.

الامر. فسمع فرعون هذا الامر فطلب ان يقتل موسى فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في ارض مديان وجلس عند البئر"(خر2).

وذكر ابو الفدا وغيره جريرة موسى وهروبه، قال:

" فبينما هو يمشي في بعض الأيام إذ وجد إسرائيلياً وقبطياً يختصمان، فوكز القبطي فقتله، ثم اشتهر ذلك، وخاف موسى من فرعون، فهرب وقصد نحو مدين، واتصل بشعيب وزوجه ابنته واسمها صفورة، واقام يرعى غنم شعيب عشر سنين "[1].

وفي مديان التقى موسى بيثرون الكاهن الذي ذكره الطبري كحبر[2]. وقال ابن الاثير انه كان نبيا عند أهل مدين؛ بينما اختلفت الاراء حول نسبه[3].

وذكر موسى ما جرى له هناك بصيغة الغائب، قال:

" وكان لكاهن مديان سبع بنات فأتين واستقين وملان الاجران ليسقين غنم أبيهن. فاتى الرعاة وطردوهن فنهض موسى وانجدهن وسقى غنمهن. فلما أتين إلى رعوئيل أبيهن قال ما بالكن اسرعتن في المجيء اليوم. فقلن رجل مصري انقذنا من ايدي الرعاة وانه استقى لنا أيضاً وسقى الغنم. فقال لبناته واين هو لماذا تركتن الرجل ادعونه ليأكل طعاماً. فارتضى موسى ان يسكن مع الرجل فاعطى موسى صفورة ابنته. فولدت ابنا فدعا إسمه جرشوم لأنه قال كنت نزيلا في ارض غريبة. وحدث في تلك الأيام الكثيرة ان ملك مصر مات وتنهد بنو إسرائيل من العبودية " (خر2).

وذكر ابن الأثير قصة موسى مع يثرون وبنتيه، قال:

" ولما ورد ماء مدين – قصد الماء – وجد عليه أمّةً من الناس يسقون، ووجد من دونهم امرأتين .. تحبسان غنمهما، وهما ابنتا شعيب النبي، وقيل: ابنتا يثرون، وهو ابن أخي شعيب، فلما رآهما موسى سألهما: ما خطبكما؟ قالتا: لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير... فرحمهما موسى فأتى البئر فاقتلع صخرة عليها كان النفر

---

1) ابو الفدا، المختصر، صـ33.& ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ133- 135.& الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ275.

2)" وصفورة وامرأة موسى صفورة ابنة يترون كاهن مدين والكاهن حبر- الطبري، جـ1، صـ 281.

3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 119.

من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها فسقى لهما غنمهما، فرجعتا سريعاً.. فلما رجعت الجاريتان إلى أبيهما سريعاً سألهما فأخبرتاه، فأعاد إحداهما إلى موسى تستدعيه، فأتته وقالت له: ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا.. فقام معها .. وازدادت رغبة شعيب في موسى فزوّجه ابنته التي أحضرته، واسمها صفورا "[1].

ظهور الله لموسى:

" واما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب. وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة فنظر واذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق. فقال موسى اميل الآن لانظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة. فلما راى الرب انه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى فقال هانذا. فقال لا تقترب إلى ههنا اخلع حذائك من رجليك لان الموضع الذي انت واقف عليه ارض مقدسة " خر3.

وروى ابن الأثير وابو الفدا امر النار الإلهية ولكنهما أضافا أشياء لم ترد في قصة الخروج مثل خروجه في فصل الشتاء وان امراته كانت حاملا، وما إلى ذلك:

" ثم سار موسى بأهله في زمن الشتاء واخطأ الطريق، وكانت امرأته حاملاً، فأخذها الطلق في ليلة شاتية، فأخرج زنده ليقدح، فلم يظهر له نار، واعيا مما يقدح، فرفعت له نار .. فلما دنا منه رأى نوراً ممتداً من السماء إلى شجرة عظمية من العوسج، وقيل من العناب، فتحير وخاف ورجع، فنودي منها.. ولما سمع الصوت استانس وعاد، فلما أتاها نودي من جانب الطور الأيمن من الشجرة: ان يا موسى اني انا الله رب العالمين .. " [2].

دعوة الله لموسى:

" ثم قال انا اله ابيك اله إبراهيم واله إسحاق واله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف ان ينظر إلى الله... فالآن هلم فارسلك إلى فرعون وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر.. فاجاب موسى وقال ولكن ها هم لا يصدقونني ولا يسمعون لقولي بل

---

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 134، 135.

2) ابو الفدا، المختصر، صـ33.& ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 136، 137.

يقولون لم يظهر لك الرب. فقال له الرب ما هذه في يدك فقال عصا. فقال اطرحها إلى الأرض فطرحها إلى الأرض فصارت حية فهرب موسى منها. ثم قال الرب لموسى مد يدك وامسك بذنبها فمد يده وامسك به فصارت عصا في يده. لكي يصدقوا انه قد ظهر لك الرب اله ابائهم اله إبراهيم واله إسحاق واله يعقوب. ثم قال له الرب أيضاً ادخل يدك في عبك فادخل يده في عبه ثم اخرجها واذا يده برصاء مثل الثلج. ثم قال له رد يدك إلى عبك فرد يده إلى عبه ثم اخرجها من عبه واذا هي قد عادت مثل جسده " (خر 3، 4).

واختصر المؤرخون الحوار الذي طال بين موسى وربه بشأن المهمة التي أمره بتنفيذها، ويبدوا ان عصا المعجزات شحزت لب ابن الأثير[1] فنسب لها ما صدر عنها وما لم يصدر من عجائب ومعجزات خارقات. وقد ذكر تلك الآيات ولكن بغير الترتيب الوراد في التوراة، مثل اخراج الماء من الصخرة الصماء، وهو ما حدث في طريق عودته من مصر، كما انه نسب لها ما لم يرد في سفر الخروج من أنها كانت تضئ له الليل، وهو ما يذكرنا بعمود السحاب الذي كان يظلل للخارجين نهارا ليقيهم من اشعة الشمس الحارقة ويضئ لهم سواد الليل الحالك. كما ذكر امر اليد التي صارت برصاء[2] كبرهان اخر اظهره الله لكليمه حتى ينجلي له امر الدعوة الربانية.

لقاء موسى بأهله في مصر:

" وقال الرب لهرون اذهب إلى البرية لاستقبال موسى فذهب والتقاه في جبل الله وقبله. فأخبر موسى هرون بجميع كلام الرب الذي ارسله وبكل الايات التي اوصاه بها. ثم مضى موسى وهرون وجمعا جميع شيوخ بني إسرائيل. فتكلم هرون بجميع

1) " وكانت(اي العصا) تضيء لموسى في الليلة المظلمة، وكانت إذا أعوزه الماء أدلاها في البئر فينال الماء ويصير في رأسها شبه الدلو، وكان إذا اشتهى فاكهة غرسها في الأرض فنبتت لها أغصان تحمل الفاكهة لوقتها. قال له: ألقها يا موسى، فألقاها موسى، فإذا هي حيّة تسعى عظيمة الجثة في خفّة حركة الجان، .. وانما أمره الله بإلقاء العصا حتى إذا ألقاها عند فرعون لا يخاف منها " – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 136، 137.

2) " ثمّ قال له: (أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) النمل: 12، يعني برصاً، فأدخلها واخرجها بيضاء من غير سوء مثل الثلج لها نور، ثمّ ردّها فعادت كما كانت".– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 138.

الكلام الذي كلم الرب موسى به وصنع الايات امام عيون الشعب. فامن الشعب ولما سمعوا ان الرب افتقد بني إسرائيل وانه نظر مذلتهم خروا وسجدوا "(خر4).

وذكر ابن الأثير[1] الخبر، ولكنه ذكر أشياء لم ترد في قصة الخروج منها ان امه كانت على قيد الحياة؛ وانها كانت في استقباله. وكان لموسى انذاك ثمانون عاما، كما ذكر ان موسى اصطحب أهله معه من مدين (مديان) بينما نقرأ في قصة الخروج انه عند عودته عرج على مديان حيث كانت زوجته صفوره وابناه جرشوم واليعازر في استقباله.

وروى سفر الخروج اللقاء الأول بفرعون(خر5)، ثم ذكر الإنتصار الأول على سحرته:

" ... فدخل موسى وهرون إلى فرعون وفعلا هكذا كما امر الرب طرح هرون عصاه امام فرعون وامام عبيده فصارت ثعبانا. فدعا فرعون أيضاً الحكماء والسحرة ففعل عرافو مصر أيضاً بسحرهم كذلك. طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين ولكن عصا هرون ابتلعت عصيهم. فاشتد قلب فرعون فلم يسمع لهما كما تكلم الرب " (خر7).

وذكر ابو الفدا امر تفوق موسى على سحرة فرعون:

" ثم قال موسى: يا هارون ان الله أرسلنا إلى فرعون، فانطلق معي إليه، فقال هارون سمعاً وطاعة، فانطلقا إليه، واراه موسى عصاه ثعباناً فاغراً فاه حتى خاف منه فرعون، فأحدث في ثيابه. ثم أدخل يده في جيبه، واخرجها وهي بيضاء لها نور تكل منه الأبصار. فلم يستطع فرعون النظر إليها. ثم ردها إلى جيبه واخرجها فإذا هي على لونها الأول. ثم أحضر لهما فرعون السحرة، وعملوا الحيات، والقى موسى عصاه فتلقفت ذلك، وامن به السحرة فقتلهم فرعون عن آخرهم "[2].

واضاف المؤرخون اشياء لم ترد في سفر الخروج، فقال الطبري ان موسى وهارون ظلا عامين يغدوان ويروحان على باب فرعون حتى اذن لهما[3]. وبالغ ابن الأثير في وصف يد موسى حتى انه جعل النور يخرج منها ويضيئ البيوت من

1)".. فأقبل موسى إلى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلاً، فتضيّف على أمّه وهو لا يعرفهم ولا يعرفونه، فجاء هارون فسألها عنه، فأخبرته انه ضيف، فدعاه فأكل معه، وسأله هارون: من انت؟ قال: انا موسى.. فأمره بالمسير إلى فرعون"– ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 138.

2) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ33

3) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ285.

الداخل[1]. كما انه ادخل في القصة شخصا لم ترد له أشار من قريب او بعيد في رواية سفر الخروج، وقد اسماه حزقيل[2]، والإسم قريب من حزقيال النبي وهو جاء بعد موسى بنحو سبعة قرون.

وفي لقاء موسى وهارون بفرعون وما دار بينهم من احاديث نورد ابيات يعزوها المقدسي[3] إلى زيد بن عمرو بن نفيل ، بينما يضعها الأب لويس شيخو على لسان امية:

وانت الذي من فضل مَنٍّ ورحمـــة	بعثت إلى موسى رسولا ومناديــــــــا
فقلت له اذهب وهارون فادعـــــوا	إلى الله فرعون الذي كان طاغيـــــا
وقولا له اانت سويت هـــــــــذه	بلا وتد حتى اطمانتْ كما هيــــــا
وقولا له اانت رفَّعت هـــــــــذه	بلا عمد ارفق اذاً بك بانيــــــــــا
وقولا له اانت سويت وسطـــــــها	منيرا اذا ما جَّنه الليل هاديـــــــا
وقولا له من يرسل الشمس غُـــدوة	فيصبح ما مست من الأرض ضاحيــا
وقولا له من ينبت الحب في الثـرى	فيصبحَ منه البقل يهتز رابيـــــــا
ويخرج منه حَبُّه في رؤوســـــــــه	وفي ذاك ايات لمن كان واعيــــــــا[4]

الضربات العشر:

ونتيجة لقساوة قلب فرعون ورفضه الاذعان للامر الإلهي باطلاق موسى وشعبه على الرغم من الايات التي اجراها الرب على ايديهما امامه لذلك ضربه الرب بعشر ضربات[1] لم يستجب فرعون لواحدة منها.

---

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 139، 140.

2) ".. وكان حزقيل مؤمن آل فرعون يكتم إيمانه .. فلما رأى غلبة موسى السحرة أظهر إيمانه، وقيل: أظهر إيمانه قبل فقتل وصلب مع السحرة، وكان له إمرأة مؤمنة تكتم إيمانها أيضاً، وكانت ماشطة ابنة فرعون "– بن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 141.

3) المقدسي، البدء والتاريخ، جـ1 صـ57.

4) لويس شيخو، شعراء النصرانية، بيروت 1926، صـ231.

وذكر المقدسي[2] العجائب التي اجراها الله على يد موسى النبي بما فيها الضربات التي اصابت آل فرعون. وعرض الطبري وابن الأثير لاكثر هذه الضربات، ولكنهما أضافا ضربة الطوفان وهي لم ترد في قصة موسى التوراتية: " فلمّا أبى فرعون وقومه إلا الثبات على الكفر، تابع الله عليه الآيات، فأرسل عليهم الطوفان، وهو المطر المتتابع، فغرق كلّ شيء لهم، فقالوا: يا موسى ادعُ ربّك يكشف عنّا هذا ونحن نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فكشفه الله عنهم ونبتت زروعهم، فقالوا: ما يسرّنا انا لم نمطر، فبعث الله عليهم الجراد فأكل زروعهم .. فأرسل الله عليهم الدبّا، وهو القمل، فأهلك الزروع والنبات أجمع، .. فأرسل الله عليهم الضفادع، وكانت تسقط في قدورهم واطعمتهم وملأت البيوت عليهم، فسألوا موسى ان يكشفه عنهم ليؤمنوا به، ففعل، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الدّم، فصارت مياه الفرعونيين دماً.. "[3].

كما ذكروا [4] أيضاً ان الله امر موسى ان يأمر بني إسرائيل بأن يستعيروا من المصريين ما يحتاجون إليه خلال رحلة خروجهم من مصر، وذلك نظير خدمتهم لهم بدون اجر وتسخيرهم واستعبادهم، وهو ما ورد في سفر الخروج(خر12).

فرعون يطارد بنى إسرائيل:

" فسعى المصريون وراءهم وادركوهم جميع خيل مركبات فرعون وفرسانه وجيشه وهم نازلون عند البحر عند فم الحيروث امام بعل صفون... فقال الرب لموسى ما لك تصرخ الي قل لبني إسرائيل ان يرحلوا. وارفع انت عصاك ومد يدك على البحر وشقه فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة .. ومد موسى يده على البحر

---

1)1- الدم(خر7 : 19- 22)، 2- الضفادع(خر 8 : 1- 7)، 3- غزو البعوض (خر 8 : 16- 19). 4- أسراب الذباب (خر 8 : 20- 24). 5- إهلاك المواشي(خر9 : 1- 6)، 6- ضربة الدمامل(خر9 : 8- 12)، 7- البرد(خر9 : 13- 26)، 8- الجراد (خر10 : 12- 15)، 9- الظلام الكثيف (خر10 : 21- 23)، 10- موت الأبكار(خر12 : 29- 35)..

2) المقدسي، البدء والتاريخ،جـ3، صـ93.

3) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 142، 143.& الطبري، تاريخ الامم، جـ1، صـ293 ، 294.

4) " وامر بني إسرائيل ان يستعيروا من حلي القبط ما أمكنهم، ففعلوا ذلك واخذوا شيئاً كثيراً "– ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 143& الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 295.

فاجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء. فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم. وتبعهم المصريون .. فمد موسى يده على البحر فرجع البحر عند اقفال الصبح إلى حاله الدائمة .. ونظر إسرائيل المصريين امواتا على شاطئ البحر ".

وذكر ابو الفدا هلاك فرعون، وهو لم يرد صراحة في سفر الخروج، قال:

" وسار موسى ببني إسرائيل، ثم ندم فرعون وسار بعسكره حتى لحقهم عند بحر القلزم، فضرب موسى بعصاه البحر، فانشق ودخل فيه هو وبنو إسرائيل، وتبعهم فرعون وجنوده، فانطبق البحر على فرعون وجنوده، وغرقوا عن آخرهم" [1].

واما المسعودي[2] فقد اوجز قصة الخروج ذاكرا عدد الرجال كما ورد في التوراة. وذكر الطبري[3] القصة وفق ما جاء في سفر الخروج ولكنه خالف في ذكر عدد فرسان جيش فرعون. ووضع ابن الأثير[4] للقصة حوارا مختلفا بعض الشئ في التفاصيل وان اتفقت عناصرها الاساسية.

ودعا الرب موسى ان يدعوا الشعب إلى التطهير الجسماني واجتناب المعاشرات الزوجية لثلاثة أيام تباعا لأنهم سيشهدون حدثا جللا، لم يشهدوه في حياتهم وهو تجلي الرب على الجبل. ثم تلقى موسى اول شريعة مكتوبة تأمر بعبادة الله وحده دون سواه، وتنهى عن عبادة الاصنام وتدعوا إلى تخصيص يوم في الاسبوع لعبادة الخالق. كما تأمر باكرام الوالدين، واجتناب الفحشاء والمنكر، والنهي عن السرقة وشهادة الزور وعدم النظر إلى ما للغير لا لامرأته ولا لممتلكاته:

" انا الرب الهك .. لا يكن لك الهة أخرى امامي. لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن .. اذكر يوم السبت لتقدسه. ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك. واما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك لا تصنع عملا ما ..

---

1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ33، 34.

2) " فأغرق الله عز وجل فرعون، وامره الله عز وجل بالخروج ببني إسرائيل إلى التِّيه، وكان عددهم ستمائة ألف بالغ دون من ليس ببالغ "– المسعودي، مروج الذهب، صـ36.

3) " خرج فرعون في طلب موسى على سبعين الفاً من دهم الخيل سوى ما في جنده من شهب الخيل "– الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 295.

4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 144.

اكرم اباك وامك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب الهك.لا تقتل. لا تزن.لا تسرق. لا تشهد على قريبك شهادة زور. لا تشته بيت قريبك لا تشته إمرأة قريبك ولا عبده ولا امته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك "(خر20).

وبينما يذكر سفر الخروج ان الله امر موسى ان يقتطع لوحين من الجبل فيتبادر إلى الذهن انهما من حجر كلسي او جرانيتي الا ان للمسعودي[1] يرى انهما من زمرد اخضر. واشار ابن الأثير إلى امر الوصايا والاستعداد التطهيري لتلقي رسالة الله، فجاء ما اورده متفقا في عموم الامر مخالفاً في التفاصيل:

" فلمّا أهلك الله فرعون وانجى بني إسرائيل قالوا: يا موسى ائتنا بالكتاب الذي وعدتنا، فسأل موسى ربّه ذلك، فأمره ان يصوم ثلاثين يوماً ويتطهّر ويطهّر ثيابه ويأتي إلى الجبل جبل طور سينا ليكلّمه ويعطيه الكتاب، فصام ثلاثين يوماً أوّلها أوّل ذي القعدة، وسار إلى الجبل واستخلف أخاه هارون على بني إسرائيل" [2].

وكان لما غاب موسى على الجبل " اجتمع الشعب على هرون وقالوا له قم اصنع لنا الهة تسير امامنا لان هذا موسى الرجل الذي اصعدنا من ارض مصر لا نعلم ماذا اصابه. فقال لهم هرون انزعوا اقراط الذهب التي في اذان نسائكم وبنيكم وبناتكم واتوني بها .. فأخذ ذلك من ايديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه الهتك يا إسرائيل التي اصعدتك من ارض مصر... فقال الرب لموسى اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذي اصعدته من ارض مصر. زاغوا سريعا عن الطريق الذي اوصيتهم به .. وكان عندما اقترب إلى المحلة انه ابصر العجل والرقص فحمي غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما في اسفل الجبل. ثم أخذ العجل الذي صنعوا واحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعما وذراه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل.... " (خر32).

وذكر ابن الأثير[3] الامر ولكن بعض ما اورده لم يرد في سفر الخروج. ومن قراءة النصين يمكن ادراك الفوارق بينهما من اضافة ورفع، كذكره للسامري، بينما

---

1) " وكانت الألواح التي انزلها الله على موسى بن عمران على جبل طور سيناء من زمرد أخضر فيها كتابة بالذهب... " – المسعودي، مروج الذهب، صـ36.

2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 145.

3) " .. فقال هارون: يا بني إسرائيل ان الغنائم لا تحل لكم والحلي الذي استعمرتموه من القبط غنيمة فاحفروا حفيرة والقوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيه رأيه، ففعلوا ذلك، وجاء السامري

نعلم من اخبار الملوك ان السامرة أنشأت في عهد عمري ملك اسرائيل، اي بعد موسى بنحو سبعة قرون.

وبعد انقضاء هذه الغمة، ان الله امر موسى ان يقتطع لوحين اخرين عوضا عن اللذان كسرهما من فرط غيظه على ما اتاه قومه من قبيح الفعل وفواحشه، فكتب عليهما الوصايا. واضاف ابن الأثير ان الله فرض عليهم الوصايا بعد تهديد بالجبل والبحر، وهذا لم يرد في الكتاب المقدس. بل انهم قبلوا الكلام في حينه وان اعرض اكثرهم عنه وخالفه بعد ذلك.

" وكان هناك عند الرب اربعين نهارا واربعين ليلة لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر. وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة في يد موسى عند نزوله من الجبل ان موسى لم يعلم ان جلد وجهه صار يلمع في كلامه معه. فنظر هرون وجميع بني إسرائيل موسى واذا جلد وجهه يلمع فخافوا ان يقتربوا إليه. فدعاهم موسى فرجع إليه هرون وجميع الرؤساء في الجماعة فكلمهم موسى. وبعد ذلك اقترب جميع بني إسرائيل فاوصاهم بكل ما تكلم به الرب معه في جبل سيناء "(خر34).

وذكر ابن الأثير ما اعترى وجه موسى من ضياء نور الرحمن الذي انعكس على وجه الكليم، فلم يستطع بنو إسرائيل النظر إليه ولا الحملقة فيه:

" ولما رجع موسى من المناجاة بقي أربعين يوماً لا يراه أحد إلاّ مات، وقيل: ما رآه إلاّ عمي، فجعل على وجهه ورأسه برنساً لئلا يُرى وجهه "[1]. بينما لم يرد في كتاب موسى ان احدا مات او اصابه العمى عندما نظر النور الالهي يشع من وجه الكليم.

بقبضة من التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبرائيل فألقاه فيه، فصار الحلي عجلاً جسداً له خوار، وقيل: ان الحلي أُلقي في النار فذاب فألقي السامري ذلك التراب فصار الحلي عجلاً جسداً له خوار ... وعاد موسى ولا يقدر أحد ان ينظر إليه .. فلمّا وصل إلى قومه ورأى عبادتهم العجل ألقى الألواح .. ثم أخذ العجل وبرده بالمبارد واحرقه وامر السامريّ فبال عليه وذراه في البحر فلمّا ألقى موسي الألواح ذهب ستّة أسباعها وبقي سبع، وطلب بنو إسرائيل التوبة فأبى الله ان يقبل توبتهم وقال لهم موسى: (يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلي بارئكم فاقتلوا انفسكم) البقرة: 54، فاقتتل الذين عبدوه والذين لم يعبدوه، فكان من قتل من الفريقين شهيداً، فقتل منهم سبعون الفاً "– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ145، 146.

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 148.

كما ذكر عدد أسفار التوراة الخمسة واشار إلى تابوت العهد:

" وانزل الله عز وجل على موسى عشر صحف، فاستتم مائة صحيفة، ثم انزل الله عليه التوراة بالعبرانية وفيها الأمر والنهي والتحريم والتحلْيل والسنن والأحكام، وذنك في خمسة أسفار، والسَفر يريدون به الصحيفة، وكان موسى قد ضرب التابوت الذي فيه السكينة من الذهب من ستماتة ألف مثقال وسبعمائة وخمسين مثقالاً " [1].

وشاء الرب ان يجوع الشعب كوسيلة يعرفون من خلالها ان الله وحده هو من بيده رزق الإنسان مأكله ومشربه، فتذمروا وقالوا :

" ليتنا متنا بيد الرب في ارض مصر اذ كنا جالسين عند قدور اللحم ناكل خبزا للشبع .. فكلم الرب موسى قائلا. سمعت تذمر بني إسرائيل كلمهم قائلا في العشية تاكلون لحما وفي الصباح تشبعون خبزا وتعلمون اني انا الرب الهكم. فكان في المساء ان السلوى صعدت وغطت المحلة وفي الصباح كان سقيط الندى حوالي المحلة. ولما ارتفع سقيط الندى اذا على وجه البرية شيء دقيق مثل قشور دقيق كالجليد على الأرض .. وكانوا يلتقطونه صباحا فصباحا كل واحد على حسب اكله واذا حميت الشمس كان يذوب "(خر61).

وكغيرها من الأمور التي وصلت إلى مسامع المؤرخين، قصة المن والسلوى التي رواها ابن الأثير بقوله:

" فقالوا له: فكيف لنا بالطعام؟ فانزل الله المنّ والسلوى، فأمّا المنّ فقيل هو كالصمغ وطعمه كالشهد يقع على الأشجار... وامّا السلوى فهو طائر يشبه السّماني، فقالوا: أين الشراب؟ فأمر موسي فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه إثنتا عشرة عيناً .. لكلّ سبط عين، فقالوا: أين الظلّ؟ فظلّل عليهم الغمام... ".

وبعد ذكر قصة المن والسلوى التي وردت في الاصاح السادس عشر من سفر الخروج، يخبرنا الاصحاح التالي عن انتقال الشعب من برية سين إلى رفيديم وهناك تذمروا على موسى لانقطاع الماء وضعفت ثقتهم بالرب. وبعد هذه الحادثة مباشرة، ترد قصة تعرضهم لهجوم عماليق الذين اندحروا امامهم (خر17).

---

1) المسعودي، مروج الذهب، صـ36& المقدسي، البدء والتاريخ،جـ3، صـ2 .

واشار المسعودي[1] الى تلك الواقعة، كما اشار الى حروب يشوع التي خاضها بعد انتقال موسى، في سياق واحد. كما اورد ابياتا تذكر انتصار بني اسرائيل على عماليق، وهو ينسبها إلى عوف بن سعد الجرهمي:

ألم تران الْعَمْلَقي ابن هوبـــــــرٍ   بأيْلَةَ أمسى لَحْمُهُ قد تمزَّعـــــــا
تداعت عليه من يهود حَجافـــــل   ثمانين ألفاً حاسرين ودرًعـــــــا
فأمست عداداً للعماليق بعــــــده   على الأرض مشياً مصعدين وفُزَّعا

وذكرت حادثة السلوى مفصلة في سفر العدد(ص11).

ثم انتخب موسى سبعين رجلا من خيرة الرجال ليعينوه على حكم الشعب المتمرد. وقد ذكر القصة ابن الأثير مع كثير من الإختلاف، قال:

" ثمّ ان موسى اختار من قومه سبعين رجلاً من أخيارهم وقال لهم: انطلقوا معي إلى الله فتوبوا مما صنعتم وصوموا وتطهروا .. فلمّا دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتي تغشَّى الجبل كلّه ودخل فيه موسى وقال للقوم: ادنوا، فدنوا حتى دخلوا في الغمام، فوقعوا سجوداً، فسمعوه وهو يكلّم موسى .. فقالوا لموسى: (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً) البقرة: 55 فأخذتهم الصّاعقة فماتوا جميعاً، فقام موسى يناشد الله تعالى .. ولم يزل يتضرّع حتى ردّ الله إليهم أرواحهم فعاشوا .. فقالوا: ياموسى انت تدعو الله فلا تسأله شيئاً إلا أعطاكه، فادعه يجعلنا انبياء، فدعا الله فجعلهم انبياء. وقيل: أمرُ السبعين كان قبل ان يتوب الله على بني إسرائيل، فلمّا مضوا للميقات واعتذروا قَبِل توبتهم وامرهم ان يقتل بعضهم بعضاً، والله أعلم "[2].

ونفهم مما ورد في عد11 ان الله امر موسى بجمع السبعين رجلا ليساعدوه في حكم الشعب الذي كثرت شكواه وتذمره. وانه عفى عنه بعد توبته وشفاعة موسى.

---

1)" وسار ملك الشام وهو السميدع بن هوبر بن مالك إلى يوشع بن نون؛ فكانت بينهم حروب إلى ان قتله يوشع، واحتوى على جميع ملكه، والحق به غيره من الجبابرة والعماليق، وشَنَّ الغارات بأرض الشامِ، وكانت مدة يوشع بن نون في بني إسرائيل بعد وفاة موسى بن عمران تسعاً وعشرين سنة.. وقيل: ان يوشع بن نون كان بدء محاربته لملك العماليق وهو السميدع ببلاد أيْلَةَ نحو مدين – المسعودي، مروج الذهب، صـ37.

2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 147.

ولكن ابن الأثير خلط بين هذه الحادثة وحادثة العجل. وخالف ما جاء بسفر العدد في عدة امور منها ان الرجال السبعين لم يطلبوا من موسى ان يصيرهم انبياءً، كما انه لم يقل بأن الرجال السبعين هم الذين اخطأوا بل الشعب. ولم يذكر ان الله اماتهم ثم احياهم ..الخ

البقرة الحمراء:

يبدو ان الله اراد ان يحرر الخارجين من مصر مما علق بوجدانهم من مظاهر العبادات الوثنية مثل عبادتهم لحتحور البقرة المقدسة لهذا نراه هنا يأمر بتقديم بقرة حمراء:

" وكلم الرب موسى وهرون قائلا. هذه فريضة الشريعة التي امر بها الرب قائلا كلم بني إسرائيل ان يأخذوا اليك بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها ولم يعل عليها نير. فتعطونها لالعازار الكاهن فتخرج إلى خارج المحلة وتذبح قدامه... "(عد19).

وذكر ابن الأثير قصة البقرة بشكل مغاير لما جاء بسفر العدد، قال:

" ثم ان رجلاً من بني إسرائيل قتل ابن عمّ له ولم يكن له وارث غيره ليرث ماله وحمله والقاه بموضع آخر، ثمّ أصبح يطلب دمه عند موسى من بعض بني إسرائيل، فجحدوا، فسأل موسى ربّه، فأمرهم ان يذبحوا بقرة .. وطلبوها فلم يجدوا إلا بقرة ذلك الرجل البارّ بأمّه، فاشتروها، فغالى بها حتى أخذ ملء جلدها ذهباً، فذبحوها وضربوا القتيل بلسانها، وقيل: بغيره، فحيي وقام وقال: قتلني فلان، ثم مات "[1].

تمرد قورح وعقابه:

اخذت الكبرياء قورح وداثان وابيرام فأردوا ان يشاطروا موسى عمله النبوي، فقال لهم موسى: " افعلوا هذا خذوا لكم مجامر قورح وكل جماعته. واجعلوا فيها نارا وضعوا عليها بخورا امام الرب غدا فالرجل الذي يختاره الرب هو المقدس كفاكم يا بني لاوي ... فلما فرغ من التكلم بكل هذا الكلام انشقت الأرض التي تحتهم. وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع كل الاموال.. وخرجت نار من عند الرب واكلت المئتين والخمسين رجلا الذين قربوا البخور "(عد16).

---

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 148.

وذكر المؤرخون قصة قورح (قارون) وتمرده على موسى وقالوا بأن سبب تمرده نتج عن كثرة غناه. وذكروا نهايته وفق ما جاء في القصة التوراتية، قال ابو الفدا:

" وكان قارون ابن عم موسى .. فتكبر قارون بسبب كثرة ماله على موسى، واتفق مع بني إسرائيل على قذفه والخروج عن طاعته، واحضر إمرأة بغياً .. وجعل لها جعلاً وامرها بقذف موسى بنفسها، واتفق معها على ذلك. ثم أتى موسى فقال: ان قومك قد اجتمعوا، فخرج إليهم موسى وقال: من سرق قطعناه، ومن افترى جلدناه، ومن زنى رجمناه. فقال له قارون: وان كنت انت؟ قال موسى: نعم وان كنت انا. قال: فان بني إسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة. قال موسى: فادعوها فان قالت فهو كما قالت. فلما جاءت، قال لها موسى: أقسمت عليك بالذي انزل التوراة إلا صدقت، أانا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ قالت: لا، كذبوا، ولكن جعلوا لي جعلاً على ان أقذفك، فأوحى الله تعالى إلى موسى مر الأرض بما شئت تطعك، فقال: يا أرض خذيهم، فجعل قارون يقول: يا موسى ارحمني، وموسى يقول: يا أرض خذيهم، فابتلعتهم الأرض ثم خسف بهم، وبدار قارون[1].

ولم يشر المؤرخون الى مصادر الثروة الهائلة التي نسبوها الى قارون، هل جمعها في مصر ام في سيناء. ولماذا تركه فرعون ليستحوذ على ثروة فاحشة بينما كان يسوم قومه الذل والهوان ؟

سقوط أريحا:

" ثم كلم الرب موسى قائلا. ارسل رجالا ليتجسسوا ارض كنعان التي انا معطيها لبني إسرائيل رجلا واحدا لكل سبط من ابائه ترسلون كل واحد رئيس فيهم .. فصعدوا وتجسسوا الأرض .. واتوا الى حبرون وكان هناك اخيمان وشيشاي وتلماي بنو عناق ... ثم رجعوا من تجسس الأرض بعد اربعين يوما. فساروا حتى اتوا الى موسى وهرون وكل جماعة بني إسرائيل الى برية فاران الى .. واخبروه وقالوا قد ذهبنا الى الأرض التي ارسلتنا إليها وحقا أنها تفيض لبنا وعسلا وهذا ثمرها. غير ان الشعب الساكن في الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جداً.. لكن كالب انصت الشعب الى موسى وقال اننا نصعد ونمتلكها لاننا قادرون عليها. واما الرجال الذين صعدوا

1) ابو الفدا، المختصر، صـ34.& ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 156، 157.

معه فقالوا لا نقدر ان نصعد الى الشعب لأنهم اشد منا.. وقد رأينا هناك الجبابرة بني عناق من الجبابرة فكنا في اعيننا كالجراد وهكذا كنا في اعينهم (عد13).

واشار ابن الأثير الى هذه الامور؛ ولكنه اضاف ان عوج ابن بالاق لاقاهم واستخار زوجته في امرهم فاشارت عليه ان يطلقهم فاطلقهم،" فلمّا خرجوا قال بعضهم لبعض: انكم ان أخبرتم بني إسرائيل بخبر هؤلاء لا يقدموا عليهم، فاكتموا الأمر عنهم؛ وتعاهدوا على ذلك ورجعوا، فنكث عشرة منهم العهد واخبروا بما رأوا، وكتم رجلان منهم، وهما: يوشع بن نون وكالب بن يوفنّا ختن موسى، ولم يخبروا إلاّ موسى وهارون، فلمّا سمع بنو إسرائيل الخبر عن الجبّارين امتنعوا عن المسير إليهم، فقال لهم موسى: (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين، قالوا: ياموسي ان فيها قوماً جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها، فان يخرجوا منها فانا داخلون، قال رجلان) وهما يوشع وكالب (من الذين يخافون انعم الله عليهما: ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فانكم غالبون) المائدة: 21 – 23، (قالوا: يا موسى انا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها، فاذهب انت وربك فقاتلا، انا ها هنا قاعدون) المائدة: 24"[1].

قصة بلعام:

ولما رأى بالاق زعيم الأموريين تقدم العبرانيين بقيادة موسى النبي ويشوع بن نون انه استدعى رجلا عارفا بالله هو بلعام ابن بعور فطلب منه ان يدعو بالشر على بني إسرائيل فانبأه بعكس ما اشتهى:

" ولما راى بالاق بن صفور جميع ما فعل إسرائيل بالأموريين. فزع مواب من الشعب جداً لأنه كثير.. فارسل رسلا الى بلعام بن بعور الى فتور التي على النهر في ارض بني شعبه ليدعوه قائلا هوذا شعب قد خرج من مصر هوذا قد غشى وجه الأرض وهو مقيم مقابلي. فالآن تعال والعن لي هذا الشعب.. فقال الله لبلعام لا تذهب معهم ولا تلعن الشعب لأنه مبارك. فقام بلعام صباحا وقال لرؤساء بالاق انطلقوا الى ارضكم لان الرب ابى ان يسمح لي بالذهاب معكم. .. فعاد بالاق وارسل أيضاً رؤساء اكثر واعظم من اولئك .. فاجاب بلعام وقال لعبيد بالاق ولو اعطاني

---

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 149.

بالاق ملء بيته فضة وذهبا لا اقدر ان اتجاوز قول الرب الهي لاعمل صغيرا او كبيرا.. ".

واصطحب المؤابيون بلعام معهم وفي طريقه استوقف الملاك اتان بلعام فضربها بلعام فاستنطقها الملاك حتى انكرت عليه ضربها ".. ثم كشف الرب عن عيني بلعام فابصر ملاك الرب واقفا في الطريق وسيفه مسلول في يده فخر ساجدا على وجهه.. فقال ملاك الرب لبلعام اذهب مع الرجال وانما تتكلم بالكلام الذي اكلمك به فقط فانطلق بلعام مع رؤساء بالاق .. وفي الصباح أخذ بالاق بلعام واصعده الى مرتفعات بعل فراى من هناك اقصى الشعب .. ورفع بلعام عينيه وراى إسرائيل حالا حسب اسباطه فكان عليه روح الله. فنطق بمثله وقال وحي بلعام بن بعور.. الله اخرجه من مصر له مثل سرعة الرئم يأكل امما مضايقيه ويقضم عظامهم ويحطم سهامه .. مباركك مبارك ولاعنك ملعون .. فاشتعل غضب بالاق على بلعام وصفق بيديه وقال بالاق لبلعام لتشتم اعدائي دعوتك وهوذا انت قد باركتهم الآن ثلاث دفعات.. "(عد22– 24).

ودون الطبري في تاريخه جوانب القصة كما وردت في سفر العدد مع اختلاف طفيف نشأ عن ايجازه لما أسهب في ذكره موسى النبي:

" .. فلما نزل موسى ببنى إسرائيل ذلك المنزل أتى قوم بلعم إلى بلعم فقالوا له يا بلعم هذا موسى بن عمران في بنى إسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بنى إسرائيل ويسكنها انا قومك ليس لنا منزل وانت رجل مجاب الدعوة فاخرج فادع الله عليهم فقال ويلكم نبى الله معه الملائكة والمؤمنون كيف أذهب أدعو عليهم .. فلم يزالوا به يرفقونه ويتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن فركب حمارة له متوجها إلى الجبل الذى يطلعه على عسكر بنى إسرائيل وهو جبل حسان فما سار عليها غير قليل حتى ربضت به فنزل عنها فضربها حتى إذا أذلقها قامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به فضربها حتى إذا اذلقها اذن الله لها فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعم أين تذهب ألا ترى الملائكة أمامى تردني عن وجهى هذا أتذهب إلى نبى الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم ينزع عنها يضربها فخلى الله سبيلها حين فعل بها ذلك فانطلقت حتى إذا اشرفت به على جبل حسبان على عسكر موسى وبنى إسرائيل جعل يدعو عليهم فلا يدعو عليهم بشئ الا صرف الله لسانه إلى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف لسانه إلى بنى إسرائيل فقال له قومه أتدرى يا بلعم ما تصنع

إنما تدعو لهم وتدعو علينا قال فهذا ما لا أملك هذا شئ قد غلب الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره "[1].

ونعلم مما ورد في (2بط 2 : 15، يه1 : 11) ان بلعام اخبر بالاق بالوسيلة التي تجعل الرب يتخلى عن بني يعقوب وهو ان يسوق إليهم النساء فيقعون في خطيئة الزنى، وهو ما جاء في سفر الرؤيا صراحة:

"ولكن عندي عليك قليل ان عندك هناك قوما متمسكين بتعليم بلعام الذي كان يعلم بالاق ان يلقي معثرة امام بني إسرائيل ان يأكلوا ما ذبح للاوثان ويزنوا " (رؤ2).

وبالفعل وقع كثيرون من بني إسرائيل في المعصية وزنوا بالمؤابيات في شطيم وعبدوا اصنامهم " فقال موسى لقضاة إسرائيل اقتلوا كل واحد قومه المتعلقين ببعل فغور واذا رجل من بني إسرائيل جاء وقدم الى اخوته المديانية امام عيني موسى واعين كل جماعة بني إسرائيل وهم باكون لدى باب خيمة الاجتماع. فلما راى ذلك فينحاس بن العازار بن هرون الكاهن قام من وسط الجماعة واخذ رمحا بيده. ودخل وراء الرجل الإسرائيلي الى القبة وطعن كليهما الرجل الإسرائيلي والمراة في بطنها فامتنع الوبا عن بني إسرائيل.. وكان إسم الرجل الإسرائيلي المقتول الذي قتل مع المديانية زمري بن سالو رئيس بيت اب من الشمعونيين. واسم المراة المديانية المقتولة كزبي بنت صور هو رئيس قبائل بيت اب في مديان "(عد 25).

وذكر الطبري الحيلة التي أشار بها على المؤابيين، قال:

" جملوا النساء واعطوهن السلع ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعنها فيه ومروهن فلا تمنع إمرأة نفسها من رجل أرادها فانه ان زنى رجل واحد منهم كفيتموهم ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت إمرأة من الكنعانيين إسمها كسبى ابنة صور رأس امته .. برجل من عظماء بنى إسرائيل وهو زمرى بن شلوم رأس سبط شمعون.. فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها .. ثم دخل بها قبته فوقع عليها.. وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى .. فأخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج بهما ..."[2].

---

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ307، 308.

2) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 308، 309.

وفاة هارون وموسى:

ولما دنت ساعته انبأ الرب موسى بوفاته، فرقد هارون وهو على الجبل المسمى بجبل هور، هناك اثوى القوم جثمانه وقلد موسى العازار وظيفة أبيه الكهنوتية، والبسه ثيابه (عد 20).

وفي الوقت الذي نرى فيه موت هارون يتم في هدوء وتسليم لارادة الله نرى في تاريخ ابي الفداء ان موته ينجم عنه مشكلة خطيرة فلندعه يرويها كما وصلت إليه:

" ثم أوحى الله تعالى إلى موسى اني متوف هارون، فأت به إلى جبل كذا وكذا، فانطلقا نحوه؛ فإذا هما بسرير، فناما عليه، واخذ هارون الموت ورفع إلى السماء، ورجع موسى إلى بني إسرائيل، فقالوا له: انت قتلت هارون لحبنا إياه. قال موسى: ويحكم، أفتروني أقتل أخي. فلما أكثروا عليه، سأل الله فانزل السرير، وعليه هارون، وقال لهم اني مت ولم يقتلني موسى".

واعلم الرب موسى أيضاً بدنو اجله، واراه ارض الموعد من بعيد لأنه حرم من دخولها لأنه كان قد شارك الشعب تذمره في مريبة قادش (تث 32):

" وصعد موسى من عربات مواب الى جبل نبو الى راس الفسجة الذي قبالة اريحا فاراه الرب جميع الأرض من جلعاد الى دان. وجميع نفتالي وارض افرايم ومنسى وجميع ارض يهوذا الى البحر الغربي. والجنوب والدائرة بقعة اريحا مدينة النخل الى صوغر. وقال له الرب هذه هي الأرض التي اقسمت لإبراهيم واسحاق ويعقوب قائلا لنسلك اعطيها قد اريتك اياها بعينيك ولكنك الى هناك لا تعبر. فمات هناك موسى عبد الرب في ارض مواب حسب قول الرب. ودفنه في الجواء في ارض مواب مقابل بيت فغور ولم يعرف انسان قبره الى هذا اليوم. وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات.. ويشوع بن نون كان قد امتلا روح حكمة اذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما اوصى الرب موسى " تث 34.

ويشير النص السابق الى حدود ارض الموعد والتي لم تخطئها عين موسى البالغ من العمر مائة وعشرين سنة. وهي ليست كما يدعي اليهود انها من النيل الى الفرات. فضلا عن ان النهر المشار اليه في (2مل 24 : 7) ليس هو نهر النيل وانما هو وادي العريش الذي كانت تغمره مياه الامطار شتاءاً وتذهب عنه صيفاً. وكان يسمى عند سكان تلك الجهة بنهر مصر. ومما يؤكد بطلان ذلك الزعم ان يشوع مات وكانت كل ارض الموعد قد دانت لهم، وقد رسم لهم حدودها واقر فيها

الاسباط. وكان البحر الكبير(البحر المتوسط) هو حدها الغرب، وليس الشمالي مما يؤكد انها خارج حدود الوادي وسيناء. كما انها دعيت بارض كنعان، وكنعان لم يخطو بقدمه في ارض مصر.

وذكر ابو الفدا قصة انتقال موسى النبي بما يشبه قصة صعود ايليا وامساك اليشع تلميذه بثيابه(1مل19):

" ثم توفي موسى، واختلف في صورة وفاته، قيل: كان هو ويوشع يتمشيان فظهرت غمامة سوداء، فخافها يوشع، واعتنق موسى، فانسل موسى من قماشه، وبقي يوشع معتنق الثياب. وعدم موسى. واتى يوشع بالقماش إلى بني إسرائيل. فقالوا انت قتلت موسى. ووكلوا به فسأل يوشع الله تعالى ان يبين براءته، فرأى كل رجل كان موكلا عليه في منامه ان يوشع لم يقتل موسى. فانا رفعناه إلينا. فتركوه. وقيل: بل تنبأ يوشع واوحى الله تعالى إليه، وبقي موسى يسأله، فلم يخبره، فعظم ذلك على موسى، وسأل الله الموت فمات، وقيل غير ذلك " [1]. وذكر الطبري[2] عمر موسى لما حضرته الوفاة اذ تمت له مائة وعشرين سنة.

---

1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ34.

2) " فكان ما بين مولد موسى إلى وفاته في التيه مائة وعشرين سنة "– الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 271.

الفصل التاسع

عصر القضاة

خلافة يشوع

قبيل دنو اجله، اقام موسى النبي يشوع ابن نون خليفة له على بني إسرائيل (عد 27)، وكان عليه ان يعبر الى غرب الاردن، فانشق النهر امام العابرين، فانتخب يشوع اثنى عشر رجلا، رجلا من كل سبط، وقال لهم

".. اعبروا امام تابوت الرب الهكم الى وسط الاردن وارفعوا كل رجل حجرا واحدا على كتفه حسب عدد اسباط بني إسرائيل. لكي تكون هذه علامة في وسطكم اذا سال غدا بنوكم قائلين ما لكم وهذه الحجارة. تقولون لهم ان مياه الاردن قد انفلقت امام تابوت عهد الرب عند عبوره الاردن..." (يش1).

وبينما يحتل خبر خلافة يشوع وعبور نهر الاردن الفصول الاربعة الأولى من سفره، نجد المؤرخين يقفزون بنا الى حصار مدينة الجبارين والاستيلاء عليها. وبينما يختلف الرواة فيما اذا كان موسى قد عاصر فتح مدينة الجبارين ام لا. نرى الطبري[1] يستشهد بأهل الكتاب عن موت هارون وموسى، وقيام يشوع بتلك المهمة من دونهما.

ويروي يشوع ابن نون خبر سقوط اريحا[2] باعتباره شاهد عيان لتلك الواقة فيقول:

" فقال الرب ليشوع انظر قد دفعت بيدك اريحا وملكها جبابرة الباس. تدورون دائرة المدينة جميع رجال الحرب حول المدينة مرة واحدة هكذا تفعلون ستة أيام. وسبعة كهنة يحملون ابواق الهتاف السبعة امام التابوت وفي اليوم السابع تدورون دائرة المدينة سبع مرات والكهنة يضربون بالأبواق. ويكون عند إمتداد صوت قرن الهتاف عند استماعكم صوت البوق ان جميع الشعب يهتف هتافا عظيما فيسقط سور المدينة في مكانه.. "(يش6).

---

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ310 – 311& ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 153

(2) تقع اطلال المدينة القديمة في تل السلطان على بعد ميل من مدينة أريحا الحديثة.

وجاء كلام ابو الفدا في قصة سقوط اريحا موافقا لما ذكره بطلها على هذا النحو: " ونزل يوشع ببني إسرائيل على أريحا محاصراً لها، وصار في كل يوم يدور حولها مرة واحدة، وفي اليوم السابع أمر بني إسرائيل ان يطوفوا حول أريحا سبع مرات، وان يصوتوا بالقرون، فعند ما فعلوا ذلك هبطت الأسوار، ورسخت وتساوت الخنادق بها، ودخل بنو إسرائيل أريحا بالسيف، وقتلوا أهلها[1].

وردت في سفر يشوع أخبار حروبه مع القاطنين في ارض كنعان، من كنعاايين واموريين وغيرهم، وقد وصف المؤرخون العرب كل هذه الشعوب بالجبابرة. كما انهم ذكروا واقعة الاستيلاء على اريحا. ونسبوا لها احداثا كانت قد وقعت في غيرها مثل ذكر ابن الأثير[2] لحادثة وقوف الشمس في كبد السماء التي تمت عند جبعون ووادي ايلون، والتي سوف نذكرها لآحقاً. كما انه خلط بين حادثة الاستيلاء على اريحا، وحادثة لقاء بني إسرائيل بالمؤابيين التي سبقتها والتي شهدها موسى النبي بينما لم يشهد الاستيلاء على اريحا، فلقاء موسى بالمؤابيين كان في شرق الاردن اما سقوط اريحا فتم بعد عبورهم للنهر الى جهة الغرب. وذكرها أيضاً الطبري والمسعودي في تاريخيهما[3].

وواصل يشوع أخذ مدن الجنوب الواحدة تلو الأخرى بعضها اتته كرها والاخرى طواعية، وتفصيل ذلك انه بعد سقوط كل من اريحا وعاي، اقام ادوني ملك اورشليم حلفاً ضد جبعون يضم هوهام ملك حبرون وفرام ملك يرموت ويافيع ملك لخيش(تل الدوير) ودبير ملك عجلون، فطلب الجبعونيون مساعدة يشوع فدافع عنهم وحارب الحلفاء الخمسة فكانوا يتقهقرون عقب الهزائم المتتالية في جبعون وبيت حورون وعزيقة ومقيدة

" وبينما هم هاربون من امام إسرائيل وهم في منحدر بيت حورون رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء الى عزيقة فماتوا والذين ماتوا بحجارة البرد هم اكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل بالسيف .. حينئذ كلم يشوع الرب يوم اسلم الرب الأموريين

---

1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ36.

2)" ثم ان موسى قدّم يوشع الي أريحا في بني إسرائيل فدخلها وقتل بها الجبارين، وبقيت منهم بقيّة، وقد قاربت الشمس الغروب، فخشي ان يدركهم الليل فيعجزوه، فدعا الله تعالى ان يحبس عليهم الشمس، ففعل وحبسها حتى استأصلهم، ودخلها موسى فأقام بها ما شاء الله ان يقيم، وقبضه الله إليه لا يعلم بقبره أحد من الخلق.."– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 154.

3) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ309.& المسعودي، مروج الذهب، صـ36.

امام بني إسرائيل وقال امام عيون إسرائيل يا شمس دومي على جبعون ويا قمر على وادي ايلون. فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من اعدائه ثم رجع يشوع وجميع إسرائيل معه الى المحلة في الجلجال "(يش10).

وكان الحلفاء الخمسة قد فروا واختباوا في مغارة فاطبقوا عليهم وعلقوهم ثم قبروهم في المغارة عينها. وبعد ان فرغ من مقيدة سار الى لبنة ولخيش وجازر وعجلون وحبرون ودبير فالحق بهن الهزيمة تباعا.

وذكر الطبري[1] في تاريخه تلك الحوادث كما وردت في الاصحاح العاشر من سفر يشوع مع بعض الاختلافات.

وظل يشوع يسوس بني إسرائيل حتى بلغ به الكبر، فلما شعر بأن ساعته قد دنت، جمع كبار القوم " وقال لهم انا قد شخت تقدمت في الأيام .. فتشددوا جداً لتحفظوا وتعملوا كل المكتوب في سفر شريعة موسى حتى لا تحيدوا عنها يمينا او شمالا. حتى لا تدخلوا الى هؤلاء الشعوب اولئك الباقين معكم ولا تذكروا إسم الهتهم ولا تحلفوا بها ولا تعبدوها ولا تسجدوا لها.. ولكن اذا رجعتم ولصقتم ببقية هؤلاء الشعوب اولئك الباقين معكم وصاهرتموهم ودخلتم إليهم وهم اليكم. فاعلموا يقينا ان الرب الهكم لا يعود يطرد اولئك الشعوب من امامكم فيكونوا لكم فخا وشركا وسوطا على جوانبكم وشوكا في اعينكم حتى تبيدوا عن تلك الأرض الصالحة التي اعطاكم اياها الرب الهكم " (يش23).

وتعهد الشعب – وليتهم صدقوا – ان يسيروا في طريق الرب ولا يحيدوا عنه يمنة ولا يسرة، ولكن ما ان مضت الأيام حتى شطنوا عن سواء الطريق إلى اعوجه.

1) " ثم نهض بهم يوشع إلى ملك عايى وشعبه فارشدهم الله إلى حربه وامر يوشع ان يكمن لهم كمينا ففعل وغلب على عايى وصلب ملكها على خشبة واحرق المدينة ... ثم ارسل ملوك الارمانيين وكانوا خمسة بعضهم إلى بعض وجمعوا كلهم على جبعون فاستنجد أهل جبعون يوشع فانجدهم وهزموا أولئك الملوك حتى حذروهم إلى هبطة حوران ورماهم الله بأحجار البرد فكان من قتله البرد أكثر ممن قتله بنو إسرائيل بالسيف وسأل يوشع الشمس ان تقف والقمر ان يقوم حتى ينتقم من أعدائه قبل دخول السبت ففعلا ذلك وهرب الخمسة ملوك فاختفوا في غار فأمر يوشع بسد باب الغار حتى فرغ من الإنتقام من أعدائه ثم أمر بهم فأخرجوا فقتلهم وصلبهم ثم انزلهم من الخشب وطرحهم في الغار الذى كانوا فيه وتتبع سائر الملوك بالشام... "– الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ311 – 312& ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 155.

" .. ثم صرف يشوع الشعب كل واحد إلى ملكه وكان بعد هذا الكلام انه مات يشوع بن نون عبد الرب ابني مئة وعشر سنين. فدفنوه في تخم ملكه في تمنة سارح .. وعظام يوسف التي اصعدها بنو اسرائيل من مصر دفنوها في شكيم في قطعة الحقل التي اشتراها يعقوب من بني حمور ابي شكيم بمئة قسيطة فصارت لبني يوسف ملكا " (يش24).

وذكر ابو الفدا[1] اعتناءه بوضع رفات يوسف الى جوار ابائه في مغارة المكفيلة في شكيم(نابلس) كما ذكر خبر وفاة يشوع وعمره عند وفاته ومن خلفه في قيادة الشعب مع اختلاف طفيف.

عثنيئيل بن قناز:

يخبرنا سفر القضاة انه بعد موت يشوع ابن نون، تولى امر بني إسرائيل مجموعة من القضاة، ويستعرض السفر الحال المتردية التي وصلوا عندها. وما تعرضوا له نتيجة ذلك من خضوع لجيرانهم الاراميين بزعامة كوشان رشعتايم لمدة ثماني سنوات، كان الشعب خلالها قد عاني مرارة القهر والاذلال، وفي نهايتها تحرروا منهم على يد عثنيئيل بن قناز الذي دامت ولايته اربعين سنة كما جاء بسفر القضاة(قض3). وهو ما رواه من بعد المؤرخون ببعض الإختلاف. مع الاتفاق في المجمل العام، قال ابو الفدا:

" ودام بنو اسرائيل على ذلك سبع عشرة سنة، ثم طغوا وعصوا الله، فسلط الله عليهم كوشان ملك الجزيرة، قيل أنها جزيرة قبرس، وقيل بل كان كوشان المذكور ملك الأرمن، وكان من ولد العيص بن إسحاق، فاستولى على بني إسرائيل، واستعبدهم ثماني سنين، فاستغاثوا إلى الله تعالى... ثم قام فيهم بعد استيلاء كوشان عثنيال بن قناز من سبط يهوذا، وازال ما كان على بني إسرائيل لصاحب الجزيرة من

1) " وبعد فراغه من أريحا سار إلى نابلس، إلى المكان الذي بيع فيه يوسف، فدفن عظام يوسف هناك .. وملك يوشع الشام وفرق عماله فيه، واستمر يوشع يدبر بني إسرائيل نحو ثمان وعشرين سنة، ثم توفي يوشع، ودفن في كفر حارس وله من العمر مائة وعشر سنين"– ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ36.

القطيعة، واصلح حال بني إسرائيل. وكان عثنيال رجلا صالحاً واستمر يدبر أمر بني إسرائيل أربعين سنة وتوفي"[1].

اهود بن جيرا:

وما كاد يقضى عثنيئيل حتى رجعوا إلى ما كانوا عليه من المعاصى ومن ثم تعرضوا للتأديب على يد المؤابيين لمدة ثماني عشرة سنة تحرروا بعدها على يد اهود بن جيرا الاعسر:

" وعاد بنواسرائيل يعملون الشر في عيني الرب فشدد الرب عجلون ملك مواب على إسرائيل لأنهم عملوا الشر في عيني الرب. فجمع إليه بني عمون وعماليق وسار وضرب إسرائيل وامتلكوا مدينة النخل. فعبد بنواسرائيل عجلون ملك مواب ثماني عشرة سنة. وصرخ بنواسرائيل إلى الرب فاقام لهم الرب مخلصا اهود بن جيرا البنياميني رجلا اعسر .. واستراحت الأرض ثمانين سنة. وكان بعده شمجر بن عناة "(قض3).

وروي المؤرخون[2] الامر بحسب ما ورد إلى علمهم، مع بعض الإختلافات كنطق الأسماء وغيرها. وقد وضعوا ثمانين سنة لحكم اهود، بينما لم يرد ذلك صراحة في سفر القضاة. وما قيل هو ان الأرض استراحت ثمانين سنة، فهذه المدة تشمل فترة ولاية اهود وما تلاها ربما في غياب قضاة، وربما شملت ايضا فترة حكم خليفته شمجر بن عناة.

دبورة وباراق :

ثم خضعوا لـ يابين الكنعاني ملك حاصور لمدة عشرين سنة انتهت بالخلاص من سيطرة الكنعانيين على يد دبورة القاضية وباراق القائد" وعاد بنواسرائيل يعملون الشر في عيني الرب بعد موت اهود. فباعهم الرب بيد يابين ملك كنعان الذي ملك في

1) ابوالفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ36، 37.

2) " ثم سلط عليهم ملك يقال له عجلون فملكهم ثمانى عشرة سنة ثم تنقذهم منه فيما قيل رجل من سبط بنيامين يقال له اهود بن جيرا الاشل اليمنى فقام بأمرهم ثمانين سنة "–الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ328& ابوالفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ36، 37.

حاصور ورئيس جيشه سيسرا ... فصرخ بنو إسرائيل إلى الرب لأنه كان له تسع مئة مركبة من حديد وهو ضايق بني إسرائيل بشدة عشرين سنة... ودعا باراق زبولون ونفتالي إلى قادش وصعد ومعه عشرة الاف رجل وصعدت دبورة (القاضية) معه.. فاذل الله في ذلك اليوم يابين ملك كنعان امام بني إسرائيل" (قض4).

واوجز ابو الفدا القصة بقوله:

" ثم طغى بنو اسرائيل فأسلمهم الله تعالى في يد بعض ملوك الشام، واسمه يابين، فاستعبدهم عشرين سنة، .. ثم قام فيهم رجل من سبط نعتالي(نفتالي)، يقال له: باراق بن أبي نعم(ابينوعم)، وامرأة يقال لها دبورا، فقهر يابين، ودبرا أمور بني إسرائيل أربعين منه[1].

جدعون وابيمالك:

ثم خضعوا للمديانيين والعمالقة لمدة سبع سنوات حتى تم خلاصهم يد جدعون وقد احتلت اخبار جدعون وصراعه مع المديانيين والعمالقة مساحة كبيرة في سفر القضاة، بلغت من الاصحاحات ثلاثة، لهذا اكتفيت بنقل ما قل ودل:

" وعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين... واذا زرع إسرائيل كان يصعد المديانيون والعمالقة وبنو المشرق يصعدون عليهم. وينزلون عليهم ويتلفون غلة الأرض إلى مجيئك إلى غزة ولا يتركون لإسرائيل قوت الحياة ولا غنما ولا بقرا ولا حميرا... فظهر له ملاك الرب وقال له الرب معك يا جبار الباس. فقال له جدعون اسالك يا سيدي اذا كان الرب معنا فلماذا اصابتنا كل هذه .. فقال له الرب اني اكون معك وستضرب المديانيين كرجل واحد .. وكان بعد موت جدعون ان بني إسرائيل رجعوا وزنوا وراء البعليم وجعلوا لهم بعل بريث الها. ولم يذكر بنواسرائيل الرب الههم الذي انقذهم من يد جميع اعدائهم من حولهم. ولم يعملوا معروفا مع بيت يربعل جدعون نظير كل الخير الذي عمل مع إسرائيل" (قض6- 8).

وذكر الطبري وابو الفدا نذرا يسيرا، قال ابو الفدا:

---

1) ابوالفدا، المختصر، صـ37، 38 . & الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ328.

" ثم ان بني إسرائيل أخطأوا، وارتكبوا المعاصي لغير مدبر لهم من بني إسرائيل مدة سبع سنين، واستولى عليهم أعداؤهم من أهل مدين في تلك المدة،.. فاستغاثوا إلى الله فأقام فيهم كذعون(جدعون) بن يواش، فقتل أعداءهم واقام منار دينهم، واستمر فيهم كذلك أربعين سنة .." [1].

وعند موت جدعون، كان له ابن من جارية يدعى ابيمالك، وسبعون اخرين. فاقدم ابيمالك على فعلة نكراء تتجرد منها الأنعام، واستأجر السفهاء لقتل اخوته السبعين. وبايعه المنافقون بالملك في شكيم، ولم ينجوا من المذبحة سوى اخ صغير لما كبر اقتص لدماء اخوته. فبعد مرور سنوات ثلاث خطب يوثام في أهل شكيم يلومهم على تأييدهم لسافك الدماء، فثاروا على ابيمالك وقتلوه، فحق عليه القول الإلهي: الذين يأخذون بالسيف، بالسيف يهلكون.

ولمتابعة تلك الاحداث يمكن الرجوع الى الاصحاح التاسع من سفر القضاة (قض9). ولم يذكر المؤرخون[2]من قصة ابيمالك اكثر مما ذكروه عن جدعون أبيه.

تولع بن فواة ويائير الجلعادي:

بعد مصرع ابيمالك تولى الامر من بعده تولع بن فواة وهو" رجل من يساكر كان ساكنا في شامير في جبل افرايم. فقضى لإسرائيل ثلاثا وعشرين سنة ومات ودفن في شامير. ثم قام بعده يائير الجلعادي فقضى لإسرائيل إثنتين وعشرين سنة. وكان له ثلاثون ولدا يركبون على ثلاثين جحشا ولهم ثلاثون مدينة منهم يدعونها حووث يائير إلى هذا اليوم هي في ارض جلعاد. ومات يائير ودفن في قامون " (قض10).

وذكر الطبري[1] ذينك القاضيين؛ واما ابو الفدا فقد اكتفى بذكر يائير وحمل عليه نسب تولع – انه من سبط يساكر– كما انه أضاف إليه لقب الجرشي وهو لم يرد في سفر القضاة، قال:

---

1) ابوالفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ38& الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ328.

2) " ثم قام فيهم بعد كذعون(جدعون) إبنه أبيمالخ (ابيمالك) ثلاث سنين "– ابوالفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ 38.

" ثم قام فيهم بعد أبيمالخ (ابيمالك) المذكور رجل من سبط يشسوخر(يساكر)، يقال له يؤإير(يائير) الجرشي، إثنتين وعشرين سنة "[2].

يفتاح الجلعادي:

حارب المؤابيون والفلسطينيون بني إسرائيل الذين كانوا مخمورين بعبادة البعل وعشتاروت وباقي الهة الامم " فحطموا ورضضوا بني إسرائيل في تلك السنة ثماني عشرة سنة جميع بني إسرائيل الذين في عبر الاردن " وبعد ما ضاق بهم الامر لم يكن امامهم سوى العودة إلى الطريق القويم، فاقاموا عليهم يفتاح الجلعادي فحارب بهم بني عمون وانتصر عليهم، وكان قد نذر نذرا خائبا انه اذا مكنه الرب من بني عمون، انه سوف يضحي باول من يقابله من ابناء وطنه، وعند عودته مظفرا كانت ابنته الوحيدة في مقدمة المحتفين به " وكان لما راها انه مزق ثيابه وقال اه يا بنتي قد احزنتني حزنا وصرت بين مكدري لاني قد فتحت فمي الى الرب ولا يمكنني الرجوع. فقالت له يا ابي هل فتحت فاك الى الرب فافعل بي كما خرج من فيك بما ان الرب قد انتقم لك من اعدائك بني عمون .."(قض11).

وتردد اسم يفتاح على السنة المؤرخين فذكره ابو الفدا:

" ثم ان بني إسرائيل أخطأوا وارتكبوا المعاصي، فسلط الله تعالى عليهم بني عمون، وهم من ولد لوط، وكان ملك بني عمون إذ ذاك يقال له: أمونيطو، فاستولى على بني إسرائيل ثماني عشرة سنة، حتى خلصوا منه... ثم استغاث بنواسرائيل إلى الله تعالى، فأقام فيهم رجلا إسمه يفتح(يفتاح) الجرشي(يفتاح الجلعادي) من سبط منشا(منسى)، فكفاهم شر بني عمون، وقتل من بني عمون خلقاً كثيراً، ودبرهم ست سنين"[3]. كما ذكره الطبري في تاريخه ".

ثم ذكر سفر القضاة ثلاثة منهم، هم ابصان البيتلحمي وايلون الزبولوني وعبدون بن هليل الفرعتوني، حكموا على التوالي دون ذكر لتفاصيل او (قض12). وذكر

---

1) " ثم دبر أمرهم من بعد جد عون إبنه ابي ملك بن جدعون ثلاث سنين ثم دبرهم من بعد ابي ملك تولغ بن فوا بن خال ابي ملك وقيل انه ابن عمه ثلاثا وعشرين سنة. ثم دبر أمرهم بعد تولغ رجل من بنى إسرائيل يقال له يائير إثنتين وعشرين سنة " – الطبري، تاريخ الامم، جـ1، صـ328.

2) ابوالفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ 38، 39.

3) ابوالفدا، المختصر، صـ 38، 39.& الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ328 .

الطبري[1] ابصون بإسم بجشون، وايلون: الون، وعبدون: عكرون. كما ذكرهم ابو الفدا[2].

شمشون:

ارتد بنو إسرائيل – كعادتهم – عن طريق الرب، وساروا في طريق الشر الذي افضى بهم إلى الاستعباد لغيرهم لمدة اربعين سنة. بعدها تمت لهم النجاة على يد شمشون بن منوح. وقد اوتي قوة هائلة حتى انه تغلب على ثلاثين رجلا من اشدود، كما انه صرع اسدا في تمنة. ولكن كما كانت قوته في نذره وكانت سمة النذير اطلاق شعر الرأس فكانت نقطة ضعفه في إمرأة احبها فأغوته وافقدته علامة نذره وقوته؛ فبات ضعيفا مما اتاح لاعدائه ان يثلموا عينيه ويربطوه في اعمدة معبدهم. وظل على هذه الحال يبدي من التوبة والندم حتى استعاد علامة نذره واسترد قوته فهدم المعبد على من فيه.

وقد وردت قصة شمشون ابن منوح مفصلة في الاصحاحات من الثالث عشر وحتى السادس عشر من سفر القضاة. كما أنها انتقلت إلى المؤرخين العرب فذكرها الطبري وابو الفدا وابن الأثير وغيرهم. فعن نذر شمشون ومولده جاء بسفر القضاة:

" ثم عاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين اربعين سنة. وعد الرب منوح بابن وكان رجل من صرعة من عشيرة الدانيين إسمه منوح وامراته عاقر لم تلد. فتراءى ملاك الرب للمراة وقال لها ها انت عاقر لم تلدي ولكنك تحبلين وتلدين ابنا. والآن فاحذري ولا تشربي خمرا ولا مسكرا ولا تاكلي شيئا نجسا. فها انك تحبلين وتلدين ابنا ولا يعل موسى راسه لان الصبي يكون نذيرا لله من البطن .. فولدت المراة ابنا ودعت إسمه شمشون فكبر الصبي وباركه الرب " (قض13).

واقترن شمشون بواحدة من بنات الاعداء ولكنه فارقها بعد حين لأنها تآمرت عليه لصلح شعبها. وعرف بشدة بأسه حتى انه صرع اسدا (قض14). وفي مرة

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ328، 328.

2) " ثم قام فيهم من بعد بفتح رجل من سبط يهوذا إسمه أبصن سبع سنين .. ثم دبرهم بعد أبصن رجل إسمه آلون من سبط زبولون عشر سنين .. ثم دبرهم بعد آلون رجل إسمه عبدون بن هلال (هليل) من سبط أفرايم بن يوسف ثماني سنين " – ابوالفدا، المختصر، صـ39، 40.

أخرى قتل ثلاث مئة من بنات آوي. كما انتصر على اعدائه اكثر من مرة . وحدثنا السفر عن معجزة تردد صداها في صحف والمؤرخين، عندما عطش وكاد الظمأ يأتي عليه، فصرخ إلى الله فسقاه ماء رقراقا تدفق له من عين قهوري (قض15). حيث ارتوى ظمأه بماء لحي لكن نفسه تعطشت إلى ما لا يليق فكان تعلق قلبه بدليلة بداية نهايته المأسوية، وحق عليه قول الحكيم انه بسبب إمرأة زانية يفتقر المرء إلى رغيف خبز.

" فصعد إليها اقطاب الفلسطينيين وقالوا لها تملقيه .. فكشف لها كل قلبه وقال لها لم يعل موسى راسي لاني نذير الله من بطن امي فان حلقت تفارقني قوتي واضعف واصير كاحد الناس .. وانامته على ركبتيها ودعت رجلا وحلقت سبع خصل راسه وابتدأت باذلاله وفارقته قوته .. فأخذه الفلسطينيون وقلعوا عينيه ونزلوا به إلى غزة واوثقوه بسلاسل نحاس وكان يطحن في بيت السجن. وابتدأ شعر راسه ينبت بعد ان حلق... وقبض شمشون على العمودين المتوسطين اللذين كان البيت قائما عليهما واستند عليهما الواحد بيمينه واخر بيساره. وقال شمشون لتمت نفسي مع الفلسطينيين وانحنى بقوة فسقط البيت على الاقطاب وعلى كل الشعب الذي فيه فكان الموتى الذين اماتهم في موته اكثر من الذين اماتهم في حياته. فنزل اخوته وكل بيت أبيه وحملوه وصعدوا به ودفنوه بين صرعة واشتاول في قبر منوح أبيه وهو قضى لإسرائيل عشرين سنة(قض 16).

ونأتي الآن لما ذكره المؤرخون من تلك القصة التي راجت على السنة اهل الكتاب. فعن اصله ونسبه وما كان بين قومه وبين الفلسطينيين انذاك قال ابو الفدا موجزا في القول:

" ثم أخطأوا وعملوا بالمعاصي، فسلط الله أهل فلسطين، واستولوا عليهم أربعين سنة، .. فاستغاثوا إلى الله عز وجل فأقام فيهم رجلا إسمه شمشون ابن مانوح من سبط دان. وكان لشمشون المذكور قوة عظيمة، ويعرف بشمشون الجبار، فدافع أهل فلسطين ودبر بني إسرائيل عشرين سنة، ثم غلبه أهل فلسطين، واسروه، ودخل إلى كنيستهم، وكانت مركبة على أعمدة، فأمسك العواميد، وحركها بقوة، حتى وقعت الكنيسة، فقتلته، وقتلت من كان فيها من أهل فلسطين، وكان منهم جماعة من كبارهم "[1].

---

1) ابوالفدا، المختصر، صـ40.& الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ329.

اما الطبري[1] فقد اسهب فيما اسهب فيه سفر القضاة بشأن شمشون، كما اسهب ابن الأثير فيما نقله عن الطبري.

عالي الكاهن

لبث بنو إسرائيل فترة بدون قاض يقضي لهم. وانتشرت بينهم الفواحش وعم الفساد ثم قامت بينهم حرب أهلية وقع فيها الاف من القتلى. ثم اعتلى سدة القضاء رجل كاهن يدعى عالي قضى لهم اربعين سنة. وكان له ابنان هما حفني وفنحاس استغلا سلطة أبيهما ومكانته في أخذ ما للغير والتعدي على التقديمات وتدنيس بيت الرب بقبيح الافعال والمنكرات. وحاول عالي اقصاء ابنيه عما يأتيانه لكنهما لم يسمعا له:

" فقال لهم لماذا تعملون مثل هذه الأمور لاني إسمع باموركم الخبيثة من جميع هذا الشعب. لا يا بني لأنه ليس حسنا الخبر الذي إسمع تجعلون شعب الرب يتعدون. اذا اخطا انسان إلى انسان يدينه الله فان اخطا انسان إلى الرب فمن يصلي من اجله ولم يسمعوا لصوت أبيهم لان الرب شاء ان يميتهم" (1صم 2).

وذكر المؤرخون قصة عالي فقال ابو الفدا:

" ثم كانت فترة، وصار بنواسرائيل بغير مدبر منهم، عشر سنين، فيكون انقضاء مدة الفترة في أواخر سنة إثنتين واربعين واربع مائة لوفاة موسى. ثم قام فيهم رجل من ولد إيثامور(ايثامار) بن هارون بن عمران(عمرام) إسمه عالي الكاهن، .. وكان عالي المذكور رجلا صالحاً فدبر بني إسرائيل أربعين سنة، وكان عمره لما ولي ثمانياً وخمسين سنة، فيكون مدة عمره ثمانياً وتسعين سنة. وفي أول سنة من ولايته، ولد شمويل(صموئيل) النبي بقرية النبي على باب القدس، يقال لهما شيلو (شيلوه)، وفي السنة الثالثة والعشرين من ولاية عالي المذكور ولد داود النبي عليه السلام "[2]
كما ذكر الطبري اخبار واشار الى خطيئة ولديه[3].

---

1) الطبري، تاريخ الامم، جـ1، صـ 464، 465.& ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 284 ، 285.

2) ابوالفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ40.

3) " كان لعيلى(عالي) الذى ربى شمويل (صموئيل) ابنان شابان أحدثا في القربان شيئا لم يكن فيه " وكانا إذا جاءت النساء يصلين في القدس بتشبثان بهن"– الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ329، 331.

وفي أيام عالي وضعت حنة إمرأة القانة بن يروحام ولدها الوحيد ونذرته لخدمة الرب، ثم جاءته النبوءة في حياة عالي الكاهن، وذلك بدعوة مثلثة مؤكدة: " وكان في ذلك الزمان اذ كان عالي مضطجعا في مكانه .. وصموئيل مضطجع في هيكل الرب الذي فيه تابوت الله. ان الرب دعا صموئيل فقال هانذا. وركض إلى عالي وقال هانذا لانك دعوتني فقال لم ادع ارجع اضطجع فذهب واضطجع .. وعاد الرب فدعا صموئيل ثالثة فقام وذهب إلى عالي وقال هانذا لانك دعوتني ففهم عالي ان الرب يدعو الصبي. فقال عالي لصموئيل اذهب اضطجع ويكون اذا دعاك تقول تكلم يا رب لان عبدك سامع .. فقال الرب لصموئيل هوذا انا فاعل امرا في إسرائيل كل من سمع به تطن اذناه. في ذلك اليوم اقيم على عالي كل ما تكلمت به على بيته ابتدئ واكمل. وقد أخبرته بأني اقضي على بيته إلى الأبد من اجل الشر الذي يعلم ان بنيه قد اوجبوا به اللعنة على انفسهم ولم يردعهم " (1اصم 3).

وفي الصباح أخبر النبي الجديد عالي الكاهن بما ذكره الله بعد الحاح من عالي، الذي اذعن إلى ارادة الله قائلا: هو الرب ما يحسن في عينيه يعمل.

وروى ابن الأثير القصة في تاريخيه مع بعض الإختلافات، قال:

" وكان سبط النبوّة هلكوا، فلم يبق منهم غير إمرأة حبلى .. فولدت غلاماً سمّته اشمويل، ومعناه: سمع الله دعائي. وسبب هذه التسمية أنها كانت عاقراً .. فلما كبر أسلمته في بيت المقدس يتعلم التوراة، وكفله شيخ من علمائهم وتبناه. فلمّا بلغ ان يبعثه الله نبياً أتاه جبرائيل وهو يصلي فناداه بصوت يشبه صوت الشيخ، فجاء إليه، فقال: ما تريد؟ فكره ان يقول لم أدعك فيفزع، فقال: ارجع فنم، فرجع، فعاد جبرائيل لمثلها، فجاء إلى الشيخ، فقال له: يا بنيّ عُدْ فإذا دعوتك فلا تجبني، فلمّا كانت الثالثة ظهر له جبرائيل وامره بانذار قومه واعلمه ان الله بعثه رسولاً، فدعاهم، فكذبوه، ثم أطاعوه، واقام يدبّر امرهم عشر سنين، وقيل: أربعين سنة "[1].

وقد اتفقت قصة ابن الأثير مع ما ورد في سفر صموئيل في المجمل العام، ولكنها اختلفت في القليل الذي اضيف وذلك في ذكره بأن ام صموئيل كانت اخر من بقي من سبط النبوءة – لعله يقصد سبط الكهنوت وهو سبط لاوي – وهذا القول لا يستقيم مع ما ذكر لآحقاً من أن بعلها كان كاهنا وانها كانت عجوز وقد نضب مستودعها، ولكنها تضرعت إلى الله فأجاب دعاءها فكان حملها آية من الله.

1) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 164، 165.& الطبري، تاريخ الامم، جـ1، صـ330، 331.

ولم تكن معاصي بني إسرائيل اقل وطأة مما ارتكبه إبني عالي، فكان تأديب الله عليهم قد تحقق عندما دخولوا في حرب خاسرة فقدوا خلالها الاف الرجال بمن فيهم ابني عالي، كما سلب منهم تابوت العهد. وعندما اخبر عالى بذلك " انه سقط عن الكرسي إلى الوراء إلى جانب الباب فانكسرت رقبته ومات لأنه كان رجلا شيخا وثقيلا وقد قضى لإسرائيل اربعين سنة ". (1صم 4).

وروى الطبرى قصة هذه الحرب وسلب التابوت على النحو التالي:

" فسار إليهم عدو ممن حوله فأمر ابنيه ان يخرجا بالناس ويقاتلا ذلك العدو فخرجا واخرجا معهم التابوت الذى فيه الالواح وعصا موسى لينتصروا به فلما تهيؤا للقتال هم وعدوهم جعل عيلى يتوقع الخبر ماذا صنعوا فجاءه رجل يخبره وهو قاعد على كرسيه ان ابنيك قد قتلا وان الناس قد انهزموا قال فما فعل التابوت قال ذهب به العدو قال فشهق ووقع على قفاه من كرسيه فمات"[1].

وكان لما استشعر الاشدوديون قوة تابوت بني إسرائيل، وضعف معبودهم داجون امامه، حتى انه لم يقوى على درء الاسقام عنهم، فلم يكن امامهم سوى اعادته إلى أصحابه. وروى سفر صموئيل الأول قصة الاستيلاء على التابوت واعادته على النحو التالي:

" وبكر الاشدوديون في الغد واذا بداجون ساقط على وجهه إلى الأرض امام تابوت الرب فأخذوا داجون واقاموه في مكانه. وبكروا صباحا في الغد واذا بداجون ساقط على وجهه على الأرض امام تابوت الرب وراس داجون ويداه مقطوعة على العتبة بقي بدن السمكة فقط. فثقلت يد الرب على الاشدوديين واخربهم وضربهم بالبواسير في اشدود وتخومها. ولما راى أهل اشدود الامر كذلك قالوا لا يمكث تابوت اله إسرائيل عندنا لان يده قد قست علينا وعلى داجون الهنا .. فالآن خذوا واعملوا عجلة واحدة جديدة وبقرتين مرضعتين لم يعلهما نير واربطوا البقرتين إلى العجلة وارجعوا ولديهما عنهما إلى البيت .. وخذوا تابوت الرب واجعلوه على العجلة وضعوا امتعة الذهب التي تردونها له قربان اثم في صندوق بجانبه واطلقوه فيذهب .. فاستقامت البقرتان في الطريق إلى طريق بيتشمس .. " (1صم5، 6).

ونقل المؤرخون القصة فرواها الطبري ببعض الإختلاف، قال:

---

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ331، 332.

" وذهب الذين سبوا التابوت حتى وضعوه في بيت آلهتهم ولهم صنم يعبدونه فوضعوه تحت الصنم والصنم من فوقه فأصبح من الغد الصنم تحته وهو فوق الصنم ثم أخذوه فوضعوه فوقه وسمروا قدميه في التابوت فأصبح من الغد قد قطعت يد الصنم ورجلاه واصبح ملقى تحت التابوت فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ان إله بنى إسرائيل لا يقوم له شئ فأخرجوه من بيت آلهتكم، فأخرجوا التابوت فوضعوه في ناحية من قريتهم فأخذ أهل تلك الناحية التى وضعوا فيها التابوت وجع في أعناقهم فقالوا ما هذا فقالت لهم جارية كانت عندهم من سبى بنى إسرائيل لا تزالون ترون ما تكرهون ما كان هذا التابوت فيكم فأخرجوه من قريتكم. قالوا: كذبت. قالت: ان آية ذلك ان تأتوا ببقرتين لهما أولاد لم يوضع عليهما نير قط ثم تضعوا وراءهما العجل ثم تضعوا التابوت على العجل وتسيروهما وتحبسوا أولادهما فانهما ينطلقان به مذعنتين حتى إذا خرجتا من أرضكم ووقعتا في أدنى أرض بنى إسرائيل كسرتا نيرهما واقبلتا إلى أولادهما ففعلوا ذلك .. الخ"[1].

وكان بتابوت العهد لوحي الوصايا العشر، وقسط المن وعصا موسى التي اجرى الله بها المعجزات على يديه. وقال ابن الأثير بوجود اللوحين والعصا ولكنه أضاف أشياء أخرى لم ترد في الشريعة، كما انه أشار إلى أهمية التابوت في ان الملائكة كانت تحمله: " طشت من ذهب يغسل فيها قلوب الأنبياء، وقيل غير ذلك، وفيه الألواح وهي من درّ وياقوت وزبرجد، واما البقية فهي عصا موسى ورضاضة الألواح، فحملته الملائكة واتت به إلى طالوت نهاراً بين السماء والأرض والناس ينظرون" [2].

وبعد ذلك خطب صموئيل في الشعب، وهو بعد في المصفاة، يحثهم على التوبة، داعيا اياهم إلى الاسراع بانتزاع الإلهة الغريبة من وسطهم " فنزع بنو إسرائيل البعليم والعشتاروث وعبدوا الرب وحده "(1صم 4).

---

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ332.

2) ابن الأثير، الكامل، جـ1، ص 165 & الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ330.

الفصل العاشر

عصر الموك

شاول وداود:

وكان لما شاخ صموئيل انه اقام ابنيه يوئيل وابيا قاضيين، ولكنهما لم يسلكا في طريقه، بل مالا وراء المكسب واخذا رشوة وعوجا القضاء. فدفع ذلك الوجهاء إلى رفع الشكوى إلى صموئيل يطالبونه بتنصيب ملك عليهم كما هو سائد عند الشعوب " فساء الامر في عيني صموئيل .. فقال الرب لصموئيل إسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك لأنهم لم يرفضوك انت بل اياي رفضوا حتى لا املك عليهم .. " (1صم 8).

وذكر الطبري سُئلَ بني إسرائيل بانتخاب رجل يملك عليهم: " فأقام فيهم شاول، وهو طالوت بن قيش من سبط بنيامين، ولم يكن طالوت من أعيانهم، قيل: انه كان راعياً، وقيل: سقاء، وقيل: دباغاً"[(1)].

وتتلخص قصته حسبما وردت في سفر صموئيل الأول في انه ذات يوم ضلت اتن قيس فذهب إبنه شاول يفتش عنها حتى وصل إلى ارض صوف حيث كان لقاؤه بصموئيل النبي الذي مسحه ملكا " .. فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على راسه وقبله وقال اليس لان الرب قد مسحك على ميراثه رئيسا .. "(1صم9، 10).

وذكر الطبري خبر تعرف (اشمويل) صموئيل على طالوت (شاول): " فضلت حمر لابي طالوت فارسله وغلاما له يطلبانها فجاآ إلى اشمويل يسالآنه عنها فقال ان الله قد بعثك ملكا على بنى إسرائيل .. فدهنه بدهن القدس وقال لبنى إسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا .." [(2)].

واستعد شاول للدخول في حرب بدأها جيرانه واصطف لها كل فريق على جبل يفصل بينهما وادي فخرج من صفوف الاعداء يبغي المبارزة رجل " إسمه جليات من جت طوله ست اذرع وشبر.. فوقف ونادى صفوف إسرائيل وقال لهم لماذا تخرجون لتصطفوا للحرب اما انا الفلسطيني وانتم عبيد لشاول اختاروا لانفسكم رجلا ولينزل

---

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ332.& ابوالفدا، المختصر، صـ41.

2) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ333.

الي. فان قدر ان يحاربني ويقتلني نصير لكم عبيدا وان قدرت انا عليه وقتلته تصيرون انتم لنا عبيدا وتخدموننا .. وجميع رجال إسرائيل لما راوا الرجل هربوا منه وخافوا جداً. فقال رجال إسرائيل ارأيتم هذا الرجل الصاعد ليعير إسرائيل هو صاعد فيكون ان الرجل الذي يقتله يغنيه الملك غنى جزيلا ويعطيه بنته ويجعل بيت أبيه حرا في إسرائيل.. " (1 صم 17).

ولما سمع داود بتعيير الرجل انه تطوع لمبارزته وفشل شاول في إثناء الفتى عن عزمه " فقال شاول لداود اذهب وليكن الرب معك.. واخذ عصاه بيده وانتخب له خمسة حجارة ملس من الوادي وجعلها في كنف الرعاة الذي له اي في الجراب ومقلاعه بيده وتقدم داود نحو جليات وقال له: انت تأتي الي بسيف وبرمح وبترس وانا أتي اليك بإسم رب الجنود .. ومد داود يده إلى الكنف واخذ منه حجرا ورماه بالمقلاع وضرب بها جليات في جبهته فسقط على وجهه إلى الأرض. ثم اسرع نحوه واستل سيف جليات وقتله فهرب جنوده، واعجب شاول بداود وصارت صداقة بين داود ويوناثان ابن شاول.. فجعله شاول على رجال الحرب ".

واشار المؤرخون[1] الى قوة جليات وجبروته وذكر ابو الفدا تعييره لبني إسرائيل وطلبه منازلة احدهم، قال:

" فسار جالوت في قومه إلى بنى إسرائيل فعسكر وسار طالوت ببنى إسرائيل وعسكر وتهيأوا للقتال فارسل جالوت إلى طالوت: لِمَ يُقتل قومي وقومك. ابرز لى أو ابرز لى من شئت فان قتلتك كان الملك لى وان قتلتنى كان لك فأرسل طالوت في عسكره صائحا من يبرز لجالوت ثم ذكر قصة طالوت وجالوت وقتل داود إياه وما كان من طالوت إلى داود"[2].

وذكر ابن الأثير[3] خبر انتصار داود على جالوت ومكافأة طالوت (شاول) له بتزوَّجهُ من ابنته؛ ولكن ما لبثت الغيرة تدب في نفس شاول من جهة داود عندما هتف الناس يمتدحون داود اكثر منه. وسعى وراء داود يريد قتله ولكنه لم يفلح. وعندما طلب الزواج من ميكال ابنتة الصغرى، ألزمه بمهر قدره مائة رقبة من

---

1)" وكان جالوت من أعظم الناس واشدهم بأسا فخرج يسير بين يدى الجند ولا يجتمع إليه أصحابه حتى يهزم هو من لقى " – الطبري، جـ1، صـ331.& ابوالفدا، المختصر، صـ41.

2) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ337.&

3) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 165– 167.& الطبري، تاريخ الامم، جـ1، صـ333، 334.

الاعداء، بغية الدفع به الى التهلكة؛ ولكن داود لبى للملك ما اراد فصار صهرا له. ومع ذلك لم تنقطع مطاردة شاول لداود حتى كان هذا اللقاء بينهما في عين جدي. حيث تسلل داود الى كهف، وقص طرف جبة شاول وهو نائم " .. ثم قام داود بعد ذلك وخرج من الكهف ونادى وراء شاول قائلا يا سيدي الملك .. لماذا تسمع كلام الناس القائلين هوذا داود يطلب اذيتك. هوذا رات عيناك اليوم هذا كيف دفعك الرب اليوم ليدي في الكهف وقيل لي ان اقتلك ولكنني اشفقت عليك وقلت لا امد يدي إلى سيدي لأنه مسيح الرب هو. فانظر يا ابي انظر أيضاً طرف جبتك بيدي فمن قطعي طرف جبتك وعدم قتلي اياك أعلم وانظر انه ليس في يدي شر ... "(1صم 24).

وما زال شاول يطارد داود ويبغي قتله، وانتهي به الامر إلى برية زيف يتبعه ثلاثة الاف رجل مكلفين لا للدفاع عن البلاد، وليس لإتمام أي عمل بناء أو لدرء شر يوشك بالحدوث وانما فقط لأقامة حرب في غير عدو. وعلم داود بالمكان الذي يختبئ فيه شاول، وجاءته فرصة الظفر به للمرة ثانية، ولكنه ابى ان يمد يده إلى مسيح الرب.

وذكر ابن الاثير الواقعة، ولكنه وضع لها صيغة اخرى تدل على انه لم يطالع النص التوراتي وانما الت اليه بالتواتر، قال:

" فمال النّاس إلى داود واحبّوه. فحسده طالوت واراد قتله غِيلةً، فعلم ذلك داود ففارقه ... ثمّ ان داود أتاه من المقابلة في بيته وهو نائم فوضع سهمين عند رأسه وعند رجليه، فما استيقظ طالوت بصر بالسهام فقال: يرحم الله داود هو خير مني، ظفرتُ به واردتُ قتله وظفر بي فكف عني "[1].

وارشد روح الرب صموئيل النبي ان يمسح داود ابن يسى ملكا بدلا من شاول، فمسحه خفية من دون علم شاول:

" فقال الرب لصموئيل حتى متى تنوح على شاول وانا قد رفضته عن ان يملك على إسرائيل املا قرنك دهنا وتعال ارسلك إلى يسى البيتلحمي لاني قد رأيت لي في بنيه ملكا... وعبر يسى بنيه السبعة امام صموئيل فقال صموئيل ليسى الرب لم يختر هؤلاء. وقال صموئيل ليسى هل كملوا الغلمان فقال بقي بعد الصغير وهوذا يرعى الغنم فقال صموئيل ليسى ارسل وائت به لاننا لا نجلس حتى يأتي إلى ههنا. فارسل واتى به وكان اشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر فقال الرب قم امسحه

---

1) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 165- 167.& الطبري، تاريخ الامم، جـ1، صـ334.

لان هذا هو. فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط اخوته وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا ثم قام صموئيل وذهب إلى الرامة. وذهب روح الرب من عند شاول وبغته روح رديء من قبل الرب .. "(1صم 16).

وذكر المؤرخون قصة داود فاورد الطبري[1] نسبه صحيحا مثلما جاء في سلسلة الأنساب (مت1) مع اختلاف طفيف في نطق الأسماء. وخلع عليه ابن الأثير[2] صفات كثيرة بعضها ينطبق عليه وبعضها الاخر لم ترد له إشارة في الكتاب المقدس مثل قوله بأنه مسخ أهل ايلة قردة وان الجبال والطيور كانت تشاركه التسبيح بالمعنى الحرفي، وان الوحوش كانت تدنوا اليه وهو يشدوا فيأخذ بأعناقها، وهو يذكرنا بـ أورفيوس الذي أخذ ينعي محبوبته فتأثرت بنعيه الوحوش وباتت مستأنسة.

وذكر الطبري اختيار الله له ملكا ونبيا من قبل صموئيل النبي، قال:

" فأوحى الله إلى اشمويل(صموئيل) انطلق إلى إيشى(يسَّىَ) فيعرض عليك بنيه فادهن الذى آمرك بدهن القدس يكن ملكا على بنى إسرائيل فانطلق حتى أتى ايشى فقال اعرض على بنيك فدعا ايشى أكبر ولده فاقبل رجل جسيم حسن المنظر فلما نظر إليه اشمويل أعجبه فقال الحمد لله ان الله بصير بالعباد فأوحى الله إليه ان عينيك تبصران ما ظهر وانى أطلع على ما في القلوب ليس بهذا. فقال ليس بهذا اعرض علىَّ غيره، فعرض عليه ستة في كل ذلك يقول ليس بهذا اعرض علىَّ غير فقال هل لك من ولد غيرهم فقال بلى لى غلام امغر وهو راع في الغنم قال ارسل إليه فلما ان جاء داود جاء غلام امغر فدهنه بدهن القدس وقال لأبيه اكتم هذا فإن طالوت لو يطلع عليه قتله"[3].

وبعد موت صموئيل النبي، لم يعد امام شاول من يستشير الرب على يديه، فيما يتعلق باموره وامور مملكته، ولم يكن امامه سوى اللجوء لاحدى العرافات. ثم قامت

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ336.& ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 169.
2) " .. جعله الله نبيّاً وملكاً وانزل عليه الزبور وعلمه صنعة الدروع، وهو أول من عملها، والآن له الحديد، وامر الجبال والطير يسبحون معه إذا سبح .. كان إذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها وانها لمصغية تسمع صوته. وكان شديد الاجتهاد كثير العبادة والبكاء، وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر.. وفي ملكه مسخ أهل أيلة قردة ".- ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 169.
3) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ337.

الحرب وانهزم الجيش" فمات شاول وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله في ذلك اليوم معا"(1صم31).

وبعد موت شاول توجه داود إلى حبرون حيث بويع هناك بالملك وكان قد مسحه صموئيل النبي ملكا من قبل، الامر الذي رفضه ابنير بن نير رئيس الجيش، حيث انه بايع ايشبوشث بن شاول عند محنايم؛ (2 صم2). وبعد سنتين، وقع خلاف بين ابنير وايشبوشت ادى إلى تركه له والإنضمام إلى داود، ثم اغتيل ايشبوشت بايعاز من يؤآب رئيس جيش داود، فحزن داود على موته واكرم مثواه قائلا: يجازي الرب فاعل الشر كشره " (2صم3). واما قتلة ايشبوشت فقد اقتص منهم في الحال (2 صم 4)، وبموته اصبح داود ملكا على كل الاسباط بلا منازع. ثم نقل مقر حكومته من حبرون إلى اورشليم حيث بقي بها لمدة ثلاثة وثلاثين سنة. وبنى بها قلعة وقصرا بمساعدة حيرام ملك صور. وثبت داود دعائم مملكته مؤمنا اطرافها من جهة الاراميين والمؤابيين والعمونيين وغيرهم(2 صم8).

وذكر ابو الفدا[1] امر ايشبوشت ولكنه جعل مدة حكمه ثلاث سنوات بدلا من اثنتين. كما اشار الى المعارك والانتصارات التي قام بها داود، قال:

" ثم ان داود فتح في الشام فتوحات كثيرة من أرض فلسطين، وبلد عمان[2]، ومؤاب[3] وحلب ونصيبين[4] وبلاد الأرمن وغير ذلك[5]. ولما أوقع داود بصاحب حلب وعسكره، وكان صاحب حماة[6] إذ ذاك إسمه ثاعو(توعي)، وكان بينه وبين صاحب حلب عداوة، فأرسل صاحب حماة ثاعو المذكور وزيره بالسلام والدعاء إلى داود، وارسل معه هدايا كثيرة فرحاً بقتل صاحب حلب "[7].

---

1) " ولما قتل طالوت افترقت الأسباط، فملك على أحد عشر سبطاً إيش بوشت بن طالوت، واستمر إيش بوشت ملكاً على الأسباط المذكورين في ثلاث سنين، وانفرد عن إيش بوشت سبط يهوذا فقط، وملك عليهم داود .. "– ابوالفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ42.

2) 2صم 8 : 10.

3) 2صم8: 2.

4) 2صم 8 : 3.

5) 2صم8 : 14.

6) 2صم 8 : 9.

7) ابوالفدا، المختصر في أخبار البشر، ص42.

خطيئة داود وتوبته:

وقع داود في خطيئة متعددة الجوانب، فقد زني بـ بثشبع إمرأة اوريا احد ضباط جيشه. ثم اتبع خطيئة الزنى بخطيئة أخرى عندما امر يؤاب قائد الجيش ان يضع اوريا في مقدمة الجيش ليلقى حتفه، فمات اوريا في احدى معاركه ضد العمونيين(2 صم 11)، ولكن داود دفع ثمن فعلته غاليا:

" وكان في وقت المساء ان داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فراى من على السطح إمرأة تستحم وكانت المراة جميلة المنظر جداً .. فارسل داود رسلا واخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها. وحبلت المراة فارسلت واخبرت داود وقالت اني حبلى. فارسل داود إلى يؤآب يقول ارسل الي اوريا الحثي .. وقال داود لاوريا انزل إلى بيتك واغسل رجليك فخرج اوريا من بيت الملك .. ونام اوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته. فأخبروا داود قائلين لم ينزل اوريا الى بيته فقال داود لاوريا اما جئت من السفر فلماذا لم تنزل الى بيتك. فقال اوريا لداود ان التابوت واسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يؤآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وانا اتي الى بيتي لاكل واشرب واضطجع مع امرأتي وحياتك وحياة نفسك لا افعل هذا الامر.. وفي الصباح كتب داود مكتوبا إلى يؤآب وارسله بيد اوريا. وكتب في المكتوب يقول اجعلوا اوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت.. فلما سمعت إمرأة اوريا انه قد مات اوريا رجلها ندبت بعلها. ولما مضت المناحة ارسل داود وضمها إلى بيته وصارت له إمرأة وولدت له ابنا واما الامر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب " (2 صم 11).

وروى المؤرخون القصة وقد اتفقت مع ما جاء بسفر صموئيل الثاني في المجمل العام، وان اختلفت في بعض التفاصيل:

" ثم ان الله ابتلاه بزوجة أوريا .. وقيل: ان داود لما نظر إلى المرأة فأعجبته فسأل عن زوجها، فقيل: انه في جيش كذا، فكتب إلى صاحب الجيش ان يبعثه في سريّة إلى عدو كذا ففعل ذلك، ففتح الله عليه، فكتب إلى داود فأمر داود ان يرسل

أيضاً إلى عدو كذا أشدّ منه، ففعل، فظفر، فأمر داود ان يرسل إلى عدو ثالث، ففعل، فقتل أوريا في المرّة الثالثة، فلمّا قتل تزوج داود امرأته، وهي أم سليمان "[1].

ثم بعث الله ناثان النبي ليوبخ داود على فعلته، فأتاه وقال له: " كان رجلان في مدينة واحدة واحد منهما غني والاخر فقير. وكان للغني غنم وبقر كثيرة جداً. واما الفقير فلم يكن له شيء الا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها ورباها وكبرت معه ومع بنيه جميعا تاكل من لقمته وتشرب من كاسه وتنام في حضنه وكانت له كابنة. فجاء ضيف إلى الرجل الغني فعفا ان يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيئ للضيف الذي جاء إليه فأخذ نعجة الرجل الفقير وهيا للرجل الذي جاء إليه. فحمي غضب داود على الرجل جداً وقال لناثان حي هو الرب انه يقتل الرجل الفاعل ذلك. ويرد النعجة اربعة اضعاف لأنه فعل هذا الامر ولأنه لم يشفق. فقال ناثان لداود انت هو الرجل ... فقال داود لناثان قد اخطات إلى الرب.. "(1صم12).

وتحدث ابن الأثير[2] عن توبيخ ناثان لداود ذاكرا مثل اغتصاب الغني لنعجة الفقير؛ ولكنه استبدل ناثان النبي بملاكين. كما انه غير في حكم داود الذي نطق به في حق الغاصب فقال انه ضرب انفه وجبهته، بينما كان حكمه هو القتل.

وتاب داود، وناح كثيراً على خطيئته، ولم يكن هو الشخصية التاريخية الوحيدة التي ارتكبت ذلك الجرم، بل ان التاريخ قديمه وحديثه قدم جبابرة في الطغيان وسفك الدماء واستباحة الاعراض، ولكننا لم نسمع ولم نقرأ عن واحد منهم ندم على ما فعل وانه لبس المسوح وجلس في التراب نائحا وباكيا مثل داود. وهو على الرغم من مكانته كنبي وكملك لم يستحي عن ذكر خطاياه ليل نهار. وكان ينشد طلب الغفران في مزاميره:

---

1) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 171.& الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ338.& المقدسي، البدء والتاريخ،جـ3، صـ101.

2) " فبينما داود في المحراب يوم عبادته وقد أغلق الباب إذ دخل عليه ملكان أرسلهما الله إليه من غير الباب، فراعه ذلك فقالا: لا تخف، خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق، ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة، فقال: أكفلنيها وعزَّني في الخطاب، أي قهرني، واخذ نعجتي، فقال للآخر: ما تقول؟ قال: صدق ... قال داود: فان لم تردّ عليه ماله ضربنا منك هذا وهذا، واومأ إلى انفه وجبهته، قال: يا داود انت أحقّ ان يُضرب منك هذا وهذا حيث لك تسع وتسعون إمرأة ولم يكن لأوريا إلاّ إمرأة واحدة فلم تزل به حتى قتل وتزوجت امرأته " – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 173.

" لا تذكر خطايا صباي ولا معاصي كرحمتك اذكرني انت من اجل جودك يا رب .. من اجل إسمك يا رب اغفر اثمي لأنه عظيم .. انظر إلى ذلي وتعبي واغفر جميع خطاياي... "(مز25).

وذكر المؤرخون توبته كما ذكروا من قبل خطيئته فقال ابن الأثير: " وادام البكاء حتى نبت من دموعه عشب غطى رأسه" [1]. واضاف: " فما استطاع داود بعدها ان يملأ عينه من السماء حياء من ربه حتى قبض، ونقش خطيئته في يده، فكان إذا رأها اضطربت يده "[2].

ثورة ابشالوم:

كان ابشالوم يطمع في عرش أبيه، وتمكن بمكره ان يستميل عدد كبير من الجند والرعية الى جانب بعض المنافقين وعلى راسهم اخيتوفل الذي كان يحرضه على الثورة على ابيه فقمت حرب اهلية راح عشرون الفاً ضحايا لها:

"وكان بعد ذلك ان ابشالوم اتخذ مركبة وخيلا وخمسين رجلا يجرون قدامه.. وكان اذا تقدم احد ليسجد له يمد يده ويمسكه ويقبله.. فاسترق ابشالوم قلوب رجال إسرائيل.. وقال اخيتوفل لابشالوم دعني انتخب إثني عشر الف رجل واقوم واسعى وراء داود هذه الليلة .. فاتي عليه وهو متعب ومرتخي اليدين فازعجه فيهرب كل الشعب الذي معه واضرب الملك وحده .. فحسن الامر في عيني ابشالوم واعين جميع شيوخ إسرائيل .. وخرج الشعب إلى الحقل للقاء إسرائيل وكان القتال في وعر افرايم. فانكسر هناك شعب إسرائيل امام عبيد داود وكانت هناك مقتلة عظيمة في ذلك اليوم قتل عشرون الفاً .. وصادف ابشالوم عبيد داود وكان ابشالوم راكبا على بغل فدخل البغل تحت اغصان البطمة العظيمة الملتفة فتعلق راسه بالبطمة وعلق بين السماء والأرض والبغل الذي تحته مر. فرآه رجل واخبر يؤآب .. فأخذ(يؤاب) ثلاثة سهام بيده ونشبها في قلب ابشالوم وهو بعد حي في قلب البطمة.. ".

واوجز الطبري وابن الأثير اهم احداث القصة في تاريخيهما: " وازالت الخطيئة طاعة داود عن بني إسرائيل واستخفّوا بأمره، ووثب عليه ابن له يقال له إيشي(ابشالوم) وامّه ابنة طالوت(شاول) فدعا إلى نفسه، فكثر أتباعه من أهل الزيغ

---

1) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 171.& الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ339.

2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 173.

من بني إسرائيل، فلمّا تاب الله على داود اجتمع إليه طائفة من الناس فحارب إبنه حتى هزمه ووجّه إليه بعض قواده وامره بالرفق به والتلطف لعله يأسره ولا يقتله، وطلبه القائد وهو منهزم فاضطره إلى شجرة فقتله، فحزن عليه داود حزناً شديداً وتنكّر لذلك القائد "[1].

واوصى داود سليمان إبنه ان يبني بيتا للرب لان داود حرم من تلك المهمة المباركة لانه كان رجل حرب:

" وقال داود لسليمان يا ابني قد كان في قلبي ان ابني بيتا لإسم الرب الهي. فكان الي كلام الرب قائلا قد سفكت دما كثيراً وعملت حروبا عظيمة فلا تبني بيتا لإسمي.. هوذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة واريحه من جميع اعدائه حواليه لان إسمه يكون سليمان فاجعل سلاما وسكينة في إسرائيل في أيامه. هو يبني بيتا لإسمي " (1أخبار22).

وذكر الطبري الامر ولكنه اضاف رؤية داود لملائكة يصعدون الى السماء عبر سلم ذهبي، قال: " فرأى داود الملائكة سالين سيوفهم يغمدونها يرتقون في سلم من ذهب من الصخره إلى السماء فقال داود هذا مكان ينبغى ان يبنى فيه مسجد فأراد داود ان يأخذ في بنائه فأوحى الله إليه ان هذا بيت مقدس وانك قد صبغت يدك في الدماء فلست ببانيه ولكن ابن لك أملكه بعدك أسميه سليمان أسلمه من الدماء فلما ملك سليمان بناءه وشرفه"[2].

ومات داود وانضم إلى اجداده وهو في السبعين من عمر بعد ان عهد بالملك من بعده إلى سليمان كما ذكر ابو الفدا تصديقا لما جاء في فاتحة سفر اخبار الأيام الأول: " ولما صار لداود سبعون سنة توفي .. واوصى داود قبل موته بالملك إلى سليمان ولده، واوصاه بعمارة بيت المقدس "[3].

---

1) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 173.& الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ342.

2) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ343.

3) ابوالفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ42.

سليمان الحكيم:

بعد موت داود انفرد سليمان بالحكم، وشرع في سياسة الأمور بحكمة بالغة قلما اخطأت الا عندما اكثر من النساء وافراط في المجد الدنيوي: وقد تبلورت سياسة سليمان في ثلاثة محاور: المحور الأول تمثل فيما اوتي من حكمة فاقت بني البشر حتى ان ملكة التيمن جاءت لزيارته. واصبحت الحكمة نعتا له فلا يكاد يذكر إسمه الا متبوعا بالحكيم. والمحور الثاني تمثل في علاقته بجيرانه من الممالك والشعوب فقد وطد علاقته بملوك مصر وصور وغيرهما وتوجت تلك العلاقات الطيبة بالمصاهرة، فتزوج بإبنة بسوسينوس احد فراعنة الاسرة الحادية والعشرين. والمحور الثالث تمثل في النهضة الاقتصادية والعمرانية التي تمثلت في بناء المدن والمواني والسفن. واقامة العلاقات التجارية مع شعوب الشرق والغرب. ففي مجال الإنشاء اعاد بناء سور اورشليم وبناء بيت الرب وقصرا له واعاد بناء مدن حاصور وجازر ومجدو وبيت حورون السفلى وبعلة وتدمر، كما بنى مدنا أخرى للمخازن والمركبات والفرسان(1مل9).

وعندما تولى سليمان مقاليد الحكم، لم يكن الغني المادي مطلبه ولم يكن جني الكنوز هدفه ومقصده بل حسن سياسة الرعية، فلذلك بسط يداه نحو السماء طالبا الحكمة من الله لكي يحسن قيادة الشعب بالعدل، فمن الله عليه ليس بالحكمة وحدها بل بالغنى والجاه أيضاً:

" والآن أيها الرب الهي انت ملكت عبدك مكان داود ابي وانا فتى صغير لا اعلم الخروج والدخول... فاعط عبدك قلبا فهيما لاحكم على شعبك واميز بين الخير والشر... فقال له الله من اجل انك قد سالت هذا الامر ولم تسال لنفسك أياما كثيرة ولا سالت لنفسك غنى ولا سالت انفس اعدائك بل سالت لنفسك تمييزا لتفهم الحكم. هوذا قد فعلت حسب كلامك هوذا اعطيتك قلبا حكيما ومميزا حتى انه لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعدك نظيرك. وقد اعطيتك ايضا ما لم تساله غنى وكرامة حتى انه لا يكون رجل مثلك في الملوك كل أيامك ". (1مل3).

وذكر المؤرخون سليمان ونسبوا له أموراً لم ترد عنه لا في أخبار الملوك والأيام ولا في سفري الحكمة والامثال الموسومين بإسمه. فبينما يرد عنه انه سأل الله ان يأتيه الحكمة فانعم عليه بها، نجد المورخين ينسبون علمه وحكمته إلى الطير والجن والإنس. وليس فقط في استشارتها فيما يريد معرفته من أشياء تخفى عليه، بل وايضاً

لتنجز ما يريد ان يتمه من اعمال. وقالوا انه كان كثير الغزو؛ بينما نعلم من تاريخه ان عهده كان عهد سلام. قال ابن الاثير:

" لما توفي داود ملك بعده إبنه سليمان على بني إسرائيل، وكان ابن ثلاث عشرة سنة، واتاه مع الملك النبوّة، وسأل الله ان يؤتيه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فاستجاب له وسخّر له الإنس والجنّ والشياطين والطير والريح، .. وكان سليمان يأكل من كسب يده، وكان كثير الغزو، وكان إذا أراد الغزو أمر بعمل بساط من خشب يسع عسكره ويركبون عليه هم ودوابهم وما يحتاجون إليه، ثمّ امر الريح فحملته فسارت في غدوته مسيرة شهر وفي روحته كذلك، وكان له ثلاثمائة زوجة وسبعمائة سرّيّة، واعطاه الله أجراً انه لا يتكلّم أحد بشيء إلاّ حملته الريح إليه فيعلم ما يقول[1].

كان داود النبي قد اعد طيلة حكمه الذي دام اربعين سنة معظم الاموال والأشياء اللازمة لبناء بيت للرب، الى جانب ما جادت به نفوس الوجهاء من ذهب وفضة واحجار كريمة. كما تطوع الافراد للعمل بازلين الجهد والعرق. وبما انه حسب غير أهلٍ لهذا العمل لسفكه الدماء، لذلك اوصى سليمان باتمامه فأتمه(1 اخ 2، 3).

وقد وردت أخبار بناء سليمان لبيت الرب في كتب المؤرخين، فقالوا بأن سليمان هو الذي بناه وانه استعان عليه بالجن والشياطين، إلى جانب تخصيص ثروة كبيرة من المال والاحجار النفيسة لبيت خالق الخلق، فقال ابن الأثير: ".. بناه بالرخام وزخرفه بالذهب ورصعه بالجواهر، وقوي على ذلك جميعه بالجنّ والشياطين، فلمّا فرغ اتخذ ذلك اليوم عيداً عظيماً وقرّب قرباناً، فتقبّله الله منه.. وكان داود أراد ان يبنيه فأوحى الله إليه: ان هذا بيت مقدّس وانك قد صبغت يدك في الدماء فلست ببانيه، ولكن ابنك سليمان يبنيه لسلامته من الدماء " [2]. وجاءت اقوال ابو الفدا بشأن بناء سليمان لبيت الرب، متفقة في الكثير مع ما ورد في أخبار أيامه والتي اوردناها في الحاشية، بما يقابل كل خبر مما رواه ابو الفدا:

" فلما مات داود ملك سليمان وعمره إثنتا عشرة سنة، واتاه الله من الحكمة والملك ما لم يؤته لأحد سواه .. واقام سليمان في عمارة بيت المقدس سبع سنين[3]، وفرغ

---

1) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 175.& الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ344.
2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 174.
3) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ42.

منه في السنة الحادية عشرة من ملكه، فيكون الفراغ من عمارة بيت المقدس في أواخر سنة ست واربعين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام. وكان ارتفاع البيت الذي عمره سليمان ثلاثين ذراعاً، وطوله ستين ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً، وعمل خارج البيت سوراً محيطاً به، إمتداده خمسمائة ذراع في خمس مائة ذراع[1]. ثم بعد ذلك شرع سليمان في بناء دار مملكة بالقدس، واجتهد في عمارتها وتشييدها، وفرغ منها في مدة ثلاث عشرة سنة[2]، وانتهت عمارتها في السنة الرابعة والعشرين من ملكه[3].

وفي السنة الخامسة والعشرين من ملكه جاءته بلقيس ملكة اليمن، ومن معها، واطاعه جميع ملوك الأرض، وحملوا إليه نفائس أموالهم، واستمر سليمان على ذلك حتى توفي، وعمره إثنتان وخمسون سنة، فكانت مدة ملكه أربعين سنة، فيكون وفاة سليمان عليه السلام، في أواخر سنة خمس وسبعين وخمسمائة لوفاة موسى"[4].

" وعمل الملك سليمان سفنا في عصيون جابر التي بجانب ايلة على شاطئ بحر سوف في ارض ادوم. فارسل حيرام في السفن عبيده النواتي العارفين بالبحر مع عبيد سليمان. فاتوا إلى اوفير واخذوا من هناك ذهبا اربع مئة وزنة وعشرين وزنة واتوا بها إلى الملك سليمان .. وكان وزن الذهب الذي اتى سليمان في سنة واحدة ست مئة وستا وستين وزنة ذهب. ما عدا الذي من عند التجار وتجارة التجار وجميع ملوك العرب وولاة الأرض.. وجميع انية شرب الملك سليمان من ذهب .. فتعاظم الملك سليمان على كل ملوك الأرض في الغنى والحكمة .. وجمع سليمان مراكب وفرسانا فكان له الف واربع مئة مركبة واثنا عشر الف فارس فاقامهم في مدن المراكب ومع الملك في اورشليم .. وكان لسليمان اربعون الف مذود لخيل مركباته واثنا عشر الف فارس... " (1مل9 – 11).

---

1) "وكان في سنة الاربع مئة والثمانين لخروج بني إسرائيل من ارض مصر في السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل في شهر زيو وهو الشهر الثاني انه بني البيت للرب. والبيت الذي بناه الملك سليمان للرب طوله ستون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وسمكه ثلاثون ذراعا. والرواق قدام هيكل البيت طوله عشرون ذراعا حسب عرض البيت وعرضه عشر اذرع قدام البيت"(1 مل 6).

2) واما بيته فبناه سليمان في ثلاث عشرة سنة واكمل كل بيته (1مل 7).

3) وبعد نهاية عشرين سنة بعدما بني سليمان البيتين بيت الرب وبيت الملك (1مل 9).

4) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ43.

ولم يفت المؤرخون كذلك الحديث عن غناه وكل ومجده فذكره ابن بطريق[1] كما ورد بالمنقول؛ بينما بالغ الطبري في وصف غناه الى ما يفوق المنقول والمعقول، قال: " بلغنا ان سليمان كان عسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة صريحة وسبعمائة سرية فأمر الريح العاصف فترفعه وامر الرخاء فتسير به فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض انى قد زدت في ملكك انه لا يتكلم أحد من الخلائق بشئ إلا جاءت به الريح واخبرتك"[2].

وذاع صيت سليمان بين الملوك وبادر الكثيرون منهم بالتقرب إليه تارة بارسال الهدايا والمساعدات مثلما جرى من حيرام ملك صور ومن ملكة التيمن (1اخ 9) وتارة بالمصاهرة كما حدث مع فرعون(1مل3). ومما ذكره المؤرخون ولم يرد في أخبار أيامه، قولهم بتسخيره للجن والطير، ففيه قال الطبري: كان سليمان بن داود يوضع له ستمائة كرسى ثم يجئ أشراف الإنس فيجلسون مما يليه ثم يجئ أشراف الجن فيجلسون مما يلى الإنس قال ثم يدعو الطير فتظلهم ثم يدعو الريح فتحملهم قال فتسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر "[3].

وبينما نرى قصة زيارة ملكة سبأ لسليمان لم تحتل في أخبار أيامه سوى سطور قلائل فاننا نجد المؤرخين يفردون لها صفحات كثيرة. ونبدأ بعرض ما ورد في أخبار سليمان: " وسمعت ملكة سبا بخبر سليمان لمجد الرب فاتت لتمتحنه بمسائل. فاتت إلى اورشليم بموكب عظيم جداً بجمال حاملة اطيابا وذهبا كثيراً جداً وحجارة كريمة واتت إلى سليمان وكلمته بكل ما كان بقلبها. فأخبرها سليمان بكل كلامها لم يكن امر مخفيا عن الملك لم يخبرها به .. فقالت للملك صحيحا كان الخبر الذي سمعته في ارضي عن امورك وعن حكمتك .. واعطت الملك مئة وعشرين وزنة ذهب واطيابا كثيرة جداً وحجارة كريمة لم يات بعد مثل ذلك الطيب في الكثرة الذي اعطته ملكة سبا للملك سليمان .. واعطى الملك سليمان لملكة سبا كل مشتهاها

1) " وكانت جباية سليمان ابن داود في كل سنة ستمائة الف وستة وستين الف قنطار ذهب سوى التجارات .. وكان في قصر سليمان مائة مائدة ذهب على كل مائدة مائة صفحة وثلثمائة طبق ذهب وعلى كل طبق ثلثمائة كاس ذهب ".- سعيد بن بطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت 1905، صـ 51.

2) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ345.

3) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ345.

الذي طلبت عدا ما اعطاها اياه حسب كرم الملك سليمان فانصرفت وذهبت إلى ارضها هي وعبيدها "(1مل10).

وهكذا لم يزد الامر عن تبادل الهدايا كما يليق بالملوك، وانبهار ملكة سبأ بحكمته وحسن مشورته. وهي حكمة الهية تلقاها من الله مباشرة دون وساطة من طير او انس او جن.

وتحدث المؤرخون[1] عن تلك الملكة وعن زيارتها لسليمان وقد تخللتها غرائب وعجائب لم ترد لها إشارة من قريب او من بعيد في اسفار الكتاب. واشار الطبري إلى اختلاف النسابين في نسبها. ثم ذكر قصة هدهد سليمان الذي ضل طريقه حتى وصل إلى سبأ. وهناك تعرف على هدهد ملكة سبأ، وتباهى كل منهما بمولاه. ثم رجع الهدهد إلى سليمان ليخبره برفعة تلك الملكة. فارسل لها سليمان يدعوها إلى الخضوع له، وبعد مكاتبات بينهما ذهبت بلقيس إلى سليمان وكان لما قرب موكبها منه انه امر من كان تحت سلطانه ان يحضر له سريرها فحمله إليه من سبأ إلى بيت سليمان في لحظة من الزمن مما ادهش تلك الملكة عندما جاءت وابصرته..الخ[2].

---

1) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ179، 180. المقدسي، البدء والتاريخ،جـ3، صـ108- 110.

2) "وكان سبب مراسلته إياها فيما ذكر انه فقد الهدهد يوما في مسير كان يسيره واحتاج إلى الماء... مر الهدهد على قصر بلقيس فرأى بستانا لها خلف قصرها فمال إلى الخضرة فوقع عليها فإذا هو بهدهد لها في البستان فقال هدهد سليمان أين انت عن سليمان وما تصنع ههنا قال له هدهد بلقيس ومن سليمان فقال بعث الله رجلا يقال له سليمان رسولا وسخر له الريح والجن والانس والطير قال فقال له هدهد بلقيس أي شئ تقول قال أقول لك ما تسمع ... وذكر الهدهد سليمان فنهض عنه فلما انتهى إلى العسكر تلقته الطير وقالوا توعدك رسول الله فأخبروه بما قال. قال: وكان عذاب سليمان للطير ان ينتف ريشه ويشمسه فلا يطير أبدا فيصير من هوام الأرض، أو يذبحه فلا يكون له نسل أبدا. قال: فقال الهدهد أوما استثنى رسول الله؟ قالوا: بل قال أو ليأتيتى بعذر مبين. قال: فلما أتى سليمان قال ما غيبك عن مسيرى قال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين حتى بلغ فانظر ماذا يرجعون قال فاعتل له بشئ واخبره عن بلقيس وقومها ما أخبره الهدهد فقال له سليمان قد اعتللت سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين إذهب بكتابي هذا فألقه إليهم. قال فوافقها وهى في قصرها فألقى إليها الكتاب فسقط في حجرها.. ونادت في قومها فقالت لهم يا أيها الملا انى ألقى إلى كتاب كريم انه من سليمان ... وانى مرسلة إليهم بهدية فان قبلها فهذا ملك من ملوك الدنيا وانا أعز منه واقوى وان لم يقبلها فهذا شئ من الله فلما جاء سليمان

وذكر ابن الأثير الخلاف في نسبها[1]، ثم روى احوال بلقيس كما أخذها من السابقين مستنكرا للمبالغة في وصف من كانوا تحت سلطانها:

" وبالغ آخرون مبالغة تدلّ على سخف عقولهم وجهلهم، قالوا: كان لها إثنا عشر ألف قَيْل، تحت يد كلّ قيل مائة ألف مقاتل، مع كل مقاتل سبعون ألف جيش، في كل جيش سبعون ألف مبارز، ليس فيهم إلا أبناء خمس وعشرين سنة، وما أظنّ الساعة راوي هذا الكذب الفاحش عرف الحساب حتى يعلم مقدار جهله، ولو عرف مبلغ العدد لأقصر عن إقدامه على هذا القول السخيف، فان أهل الأرض لا يبلغون جميعهم شبابهم وشيوخهم وصبيانهم ونساؤهم هذا العدد، فيكف ان يكونوا أبناء خمس وعشرين سنة فيا ليت شعري كم يكون غيرهم ممن ليس من أسنانهم، وكم تكون الرعيّة وارباب الحرف والفلاحة وغير ذلك .. وقالوا غير ذلك، وذكروا من أمر عرشها ما يناسب كثرة جيشها، فلا نطول بذكره، وقد تواطأوا على الكذب والتلاعب

الهدية قال لهم سليمان أتمدونني بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم .. بعثت إليه بخرزة غير مثقوبة فقالت اثقب هذه قال فسأل سليمان الانس فلم يكن عنده علم ذلك ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذاك قال فسأل الشياطين فقالوا ترسل إلى الأرضة فجاءت الأرضة فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها فنقبتها بعد حين فلما رجع إليها رسلها خرجت فزعة في أول النهار من قومها وتبعها قومها ... فأقبلت بلقيس إلى سليمان ومعها ثلثمائة قيل واثنا عشر قيلا مع كل قيل عشرة آلاف .. فخرج يومئذ فجلس على سريره فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس يا رسول الله .. فقال أيكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك الذى انت فيه إلى الحين الذى تقوم إلى غدائك قال سليمان من يأتيني به قبل ذلك قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فنظر إليه سليمان فلما وقع كلامه رد سليمان بصره على العرش فرأى سريرها قد خرج ونبع من تحت كرسيه فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى .. فلما جاءت قعدت إلى سليمان قيل لها أهكذا عرشك فنظرت إليه فقالت كانه هو ثم قالت لقد تركته في حصوني وتركت الجنود محيطة به فكيف جئ بهذا يا سليمان انى أريد ان أسألك عن شئ فأخبرنيه قال سلى قالت أخبرني عن ماء رواء لا من سماء ولا من أرض قال وكان إذا جاء سليمان شئ لا يعلمه بدأ فسأل الانس عنه فان كان عند الانس فيه علم والا سأل الجن فان لم يكن عند الجن علم به سأل الشياطين قال فقالت له الشياطين ما أهون هذا يا رسول الله مر الخيل فلتجر ثم تملا الانية من عرقها فقال لها سليمان عرق الخيل قالت صدقت ... " الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ347– 350.

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 176 – 178.

بعقول الجهّال واستهانوا بما يلحقهم من استجهال العقلاء لهم، وانما ذكرنا هذا على قبحه ليقف بعض من كان يصدق به عليه فينتهي إلى الحقّ [1].

وبالغوا في القول بإمتداد سلطانه إلى انحاء الدنيا. وقالوا ان الإنس والجن والشياطين والسحاب والطير كانت تحت سلطانه. وان له خاتم[2] معروف بقدراته الفائقة. فلماذا لا يملك الدنيا باسرها. ولكن ما ورد في سفر الملوك عن حدود مملكته لم يشمل الدنيا بأسرها: " وكان سليمان متسلطا على جميع الممالك من النهر إلى ارض فلسطين والى تخوم مصر كانوا يقدمون الهدايا ويخدمون سليمان كل أيام حياته " (1مل4). وانه سخر ثلاثين الف رجل في بناء بيت الرب (1مل 4). كما انه انفق جل ثروته في هذا العمل وفي غيره من الاعمال الإنشائية والتجارية والعسكرية.

وقيل عنه انه تكلم عن البهائم والطير وليس معها: " تكلم عن الاشجار من الارز الذي في لبنان إلى الزوفا النابت في الحائط وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك " (1مل4). وبتعبير رمزي قال: " لا تسب الملك ولا في فكرك ولا تسب الغني في مضجعك لان طير السماء ينقل الصوت وذو الجناح يخبر بالامر" (جا10). كناية عن وجود جواسيس قد تنقل السباب فتكون العاقبة وخيمة،

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 178.

2) قال الطبري ان سليمان كان يعهد احيانا بخاتمه الى واحدة من زوجاته تدعى جرادة. وذات يوم اعطاها اياه فجاء الشيطان في صورة سليمان واخذ منها الخاتم. ومكث يحكم بين الناس أربعين يوما حتى انكر القراء احكامه. ولما علموا بالامر فانهم قرأوا التوراة امام الشيطان المتمثل في سليمان فطار الشيطان الى البحر " فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت من حيتان البحر قال واقبل سليمان في حاله التى كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمه من صيدهم وقال انى انا سليمان فقام إليه بعضهم فضربه بعصا فشجه قال فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذى ضربه وقالوا بئس ما صنعت حيث ضربته قال انه زعم انه سليمان قال فاعطوه سمكتين مما قد ضرب عندهم فلم يشغله ما كان به من الضرب حتى قام على شط البحر فشق بطونهما فجعل يغلسهما فوجد خاتمه في بطن احداهما فاخذه فلبسه فرد الله عليه بهاءه وملكه وجاءت الطير حتى جامت عليه فعرف القوم انه سليمان فقام القوم يعتذرون مما صنعوا فقال ما أحمدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم كان هذا الامر لابد منه قال فجاء حتى أتى ملكه فأرسل إلى الشيطان فجئ به وسخرت له الريح والشياطين يومئذ " – الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 354 ، 355.

فضلا عن ان الله يعلم افكار البشر، وقد كان سليمان نبياً يوحى اليه. كما انه استعان بالطير، وبغيره، كمثل ومشبه يقدم من خلاله حكمة وموعظة:

" .. لقد ضللنا عن طريق الحق ولم يضئ لنا نور البر ولم تشرق علينا الشمس.. فماذا نفعتنا الكبرياء وماذا افادنا افتخارنا بالاموال. قد مضى ذلك كله كالظل وكالخبر السائر .. او كطائر يطير في الجو فلا يبقى دليل على مسيره يضرب الريح الخفيفة بقوادمه ويشق الهواء بشدة سرعته وبرفرفة جناحيه يعبر ثم لا تجد لمروره من علامة .. كذلك نحن ولدنا ثم اضمحللنا ولم يكن لنا ان نبدي علامة فضيلة بل فنينا في رذيلتنا. كذا قال الخطاة في الجحيم. لان رجاء المنافق كغبار تذهب به الريح وكزبد رقيق تطارده الزوبعة وكدخان تبدده الريح .. اما الصديقون فسيحيون إلى الأبد وعند الرب ثوابهم ولهم عناية من لدن العلي .. " (الحكمة 5).

وللتعبير عن القدرة العلوية في عناصر الطبيعة قال الحكيم: " من صعد إلى السماوات ونزل من جمع الريح في حفنتيه من صر المياه في ثوب من ثبت جميع اطراف الأرض " (ام 30). وتكلم عن دورة الرياح التي تجسد القدرة الإلهية في النظام الكوني: " الريح تذهب إلى الجنوب وتدور إلى الشمال تذهب دائرة دورانا والى مداراتها ترجع الريح " (جا1). " كما انك لست تعلم ما هي طريق الريح ولا كيف العظام في بطن الحبلى كذلك لا تعلم اعمال الله الذي يصنع الجميع " (جا11).

وشبه اعمال الإنسان على الأرض بالرياح اذا ما قورنت بالحياة السمائية: " رأيت كل الاعمال التي عملت تحت الشمس فاذا الكل باطل وقبض الريح " (جا1) " من يرصد الريح لا يزرع ومن يراقب السحب لا يحصد " (جا11). واستنكر تأليه عناصر الطبيعة، باعتبارها مخلوقات وليست الهة، قال:" لكنهم حسبوا النار او الريح او الهواء اللطيف او مدار النجوم او لجة المياه او نيري السماء آلهة تسود العالم " (الحكمة 13).

كما نسبوا إليه انه كان كثير الغزو[1]؛ ولكن سليمان – وفق ما جاء في أخباره الكتابية – لم يك رجل حرب كما أبيه داود. فخلال الاربعين سنة التي جلس فيها داود كان قد استعاد املاكه مما سبق واستولى عليه جيرانه كالعمونيين والمؤابيين والادوميين وعماليق وغيرهم ابان عهد شاول والقضاة. ومن ثم مُنِيَ عهد سليمان

---

1) " وكان رجلا غزاء لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسمع بملك في ناحية من الأرض إلا أتاه حتى يذله"– الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 344.

بالسلام والهدوء، وقد ساعده ذلك على النهوض بالبلاد في كافة الميادين كما سبق ان اشرنا. وهذا اكده المسعودي في تاريخه: " .. ولما قبض الله داود عليه السلام قام بعده ولده سليمان بالنبوة والحكم، وغمر عدلُه رعيته، واستقامت له الأمور، وانقادت له الجيوش، وابتدأ سليمان ببنيان بيت المقدس، وهو المسجد الأقصى الذي بارك الله عزوجل حَوْلَه، فلما استتم بناءه بنى لنفسه بيتاً، وهو الموضع الذي يسمى في وقتنا هذا كنيسة القيأمة، وهي الكنيسة العظمى ببيت المقدس عند النصارى .. واعطى الله عزوجل لسليمان عليه السلام من الملك ما لم يُعْطِهِ لأحد من خَلْقِه.. "[1].

ووصف سفر الملوك حكمة سليمان بالقول: " واعطى الله سليمان حكمة وفهما كثيراً جداً ورحبة قلب كالرمل الذي على شاطئ البحر. وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق وكل حكمة مصر... وتكلم بثلاثة الاف مثل وكانت نشائده الفاً وخمسا. وتكلم عن الاشجار من الارز الذي في لبنان إلى الزوفا النابت في الحائط وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك. وكانوا ياتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته " (1مل4، 2اخ1). وتجلت حكمته منذ اول قضية[2] عرضت عليه.

وعلى الرغم من حكمته فان سليمان نفسه، وبصفته انسان كانت له سقطاته مثل داود أبيه وغيرهما من الأنبياء. ونقطة ضعف سليمان كانت في محبته للنساء، والتي

---

1) المسعودي، مروج الذهب، صـ41.

2) " حينئذ اتت امراتان زانيتان إلى الملك ووقفتا بين يديه. فقالت المراة الواحدة استمع يا سيدي اني انا وهذه المراة ساكنتان في بيت واحد وقد ولدت معها في البيت. وفي اليوم الثالث بعد ولادتي ولدت هذه المراة أيضاً وكنا معا ولم يكن معنا غريب في البيت غيرنا نحن كلتينا في البيت. فمات ابن هذه في الليل لأنها اضطجعت عليه. فقامت في وسط الليل واخذت ابني من جانبي وامتك نائمة واضجعته في حضنها واضجعت إبنها الميت في حضني. فلما قمت صباحا لارضع ابني اذا هو ميت ولما تاملت فيه في الصباح اذا هو ليس ابني الذي ولدته. وكانت المراة الأخرى تقول كلا بل ابني الحي وابنك الميت وهذه تقول لا بل ابنك الميت وابني الحي وتكلمتا امام الملك .. فقال الملك ايتوني بسيف فاتوا بسيف بين يدي الملك. فقال الملك اشطروا الولد الحي إثنين واعطوا نصفا للواحدة ونصفا للأخرى. فتكلمت المراة التي إبنها الحي إلى الملك لان احشاءها اضطرمت على إبنها وقالت استمع يا سيدي اعطوها الولد الحي ولا تميتوه واما تلك فقالت لا يكون لي ولا لك اشطروه. فاجاب الملك وقال اعطوها الولد الحي ولا تميتوه فأنها امه. ولما سمع جميع إسرائيل بالحكم الذي حكم به الملك خافوا الملك لأنهم راوا حكمة الله فيه لاجراء الحكم ".

جذبت وراءها خطيئة أخرى اعظم منها تمثلت خضوعه لرغبات نسائه الاجنبيات والسماح باقامة الأنصاب لمعبوداتهن:

" واحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة .. وكان في زمان شيخوخة سليمان ان نساءه املن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود أبيه.. " (1مل11). وارجع الطبري سبب انقسام المملكة إلى عبادة احدى زوجات سليمان لتمثال ابيها. وخالفت روايته ما جاء في سفر الملوك في أشياء كثيرة منها اقتصار امر الانصاب على تمثال لملك صور امر سليمان الشياطين بنحته نزولا على رغبة زوجته ابنة ملك صور حتى تتذكر من خلاله أبيها الذي قتله سليمان. ثم قالوا بأنها أخذت تسجد له اربعين يوما من دون علم سليمان الذي ما كان له ان يعرف ذلك – وهو الذي تأتيه الريح بالاخبار – الا عندما اعلمه به شخص يدعى آصف بن برخيا. فامر سليمان بتحطيم التمثال بعد ان عنف زوجته على ذلك[1]. واضاف الطبري[2] ان الله ارجأ انقسام المملكة الى عهد حفيده ابيام؛ بينما ذكر ابن الاثير ان الانقسام وقع في اول عهد ابنه رحبعام.

---

1) " سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون بها ملك عظيم السلطان .. فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واستفاء ما فيها واصاب فيما أصاب ابنة لذلك الملك لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ... قالت ان أبى أذكره واذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزننى ذلك .. فلو انك أمرت الشياطين فصوروا صورة أبى في دارى التى انا فيها أراها بكرة وعشيا .. فقال مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئا فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها في نفسه إلا انه لا روح فيه فعمدت إليه حين صنعوه لها فازرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التى كان يلبس مثل ما كان يكون فيه من هيئته ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه في ولائدها حتى تسجد له ويسجدن له كما كانت تصنع به في ملكه وتروح كل عشية بمثل ذلك لا يعلم سليمان بشئ من ذلك أربعين صباحا وبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا .. قال ان غير الله ليعبد في دارك منذ أربعين صباحا في هوى إمرأة فقال في دارى فقال في دارك .. ثم رجع سليمان إلى داره فكسر ذلك الصنم .. ثم أقبل تائبا إلى الله.." – الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ351، 352.

2) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 367.& ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 191، 192.

الفصل الحادي عشر

المملكة المنقسمة

رحبعام ومملكة يهوذا:

بعد موت سليمان اجتمع رحبعام بشيوخ الشعب طالبا منهم المشورة في الحكم فأشاروا عليه باللين، ثم التقى بالشباب فنصحوه بالشدة، فآثر مشورة الاحداث على الراشدين فانصرف عنه اكثر الرعية والتفوا حول يربعام بن ناباط الذي كان هاربا في مصر من وجه سليمان وكان صهرا لشاشنق (شيشق)، ثم جاء ليحكم إسرائيل. ولم يتبقى لرحبعام سوى سبطي يهوذا وبنيامين فساد عليهم فيما عرف بمملكة يهوذا، واقام في قصر أبيه الذي بناه في اورشليم. اما يربعام فقد حكم بقية الاسباط من شكيم...الخ[1].

وجاءت رواية ابن الأثير متفقة مع ما ورد في أخبار الأيام:

" ولما توفي سليمان ملك بعده إبنه رحبعم(رحبعام) .. فلما تولى حضر إليه كبراء بني إسرائيل، وقالوا له: ان أباك سليمان كان ثقيل الوطأة علينا.. فان انت خففت الوطأة عنا .. سمعنا لك، واطعناك، فأخر رحبعم جوابهم إلى ثلاثة أيام، واستشار كبراء دولة أبيه في جوابهم، فأشاروا بتطييب قلوبهم، وازالة ما يشكونه، ثم ان رحبعم

---

1) " .. اتى يربعام وكل جماعة إسرائيل وكلموا رحبعام قائلين. ان اباك قسى نيرنا واما انت فخفف الآن من عبودية ابيك القاسية ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا فنخدمك. .. فاستشار الملك رحبعام الشيوخ الذين كانوا يقفون امام سليمان أبيه وهو حي قائلا كيف تشيرون ان ارد جوابا إلى هذا الشعب. فكلموه قائلين ان صرت اليوم عبدا لهذا الشعب وخدمتهم واحببتهم وكلمتهم كلاما حسنا يكونون لك عبيدا كل الأيام. فترك مشورة الشيوخ التي أشاروا بها عليه واستشار الاحداث الذين نشاوا معه ووقفوا امامه .. فكلمه الاحداث الذين نشاوا معه قائلين هكذا تقول لهذا الشعب الذين كلموك قائلين ان اباك ثقل نيرنا واما انت فخفف من نيرنا هكذا تقول لهم ان خنصري اغلظ من متني ابي. والآن ابي حملكم نيرا ثقيلا وانا ازيد على نيركم ابي ادبكم بالسياط وانا اؤدبكم بالعقارب .. فلما راى كل إسرائيل ان الملك لم يسمع لهم رد الشعب جوابا على الملك قائلين اي قسم لنا في داود ولا نصيب لنا في ابن يسى .."(2 اخ 10،1 مل12).

استشار الأحداث، ومن لم يكن له معرفة، فأشاروا بإظهار الصلابة والتشديد على بني إسرائيل .. فلما حضروا إلى رحبعم ليسمعوا جوابه، قال لهم: ان خنصري أغلظ من ظهر أبي وما كنتم تخشونه من أبي، فانني أعاقبكم بأشد منه، فعند ذلك خرج عن طاعته عشرة أسباط، ولم يبق مع رحبعم غير سبطي يهوذا وبنيامين فقط، وملك على الأسباط العشرة رجل من عبيد أبيه سليمان، إسمه: يربعم(يربعام) .. "[1].

ولما طاب له الملك تناسى يربعام انه مسح ملكاً بواسطة اخيا الشيلوني نبي الله، كما تناسى أيضاً ان سبب نزع جل المملكة من بيت داود هو خطأ سليمان وسماحه ببناء الأنصاب لارضاء زوجاته الامميات. فأمر يربعام بوضع تمثالين له: واحد في دان واخر في بيت ايل، لكي يحول دون حج الى اورشليم حيث يوجد الهيكل؛ ومن ثم يستقطبهم رحبعام لصفوفه. بل وصرح بوثنيته جهارا: هوذا الهتك يا إسرائيل الذين اصعدوك من ارض مصر ..(1مل12: 25– 33).

وفي العام الخامس من حكم كل من رحبعام قام شيشق (شاشنق) بحملة ضد رحبعام ليغنم ما جمعه داو وسليمان طيلة عهديهما من نفائس. ولعله قام بهذه الغزوة بتحريض من يربعام صهره. وسجل فرعون أخبار غزوته المظفرة ضد مملكة يهوذا، على جدران المدخل المسمى بإسمه في معبد الكرنك.

وذكر ابو الفدا[2] في تاريخه موجزا عن تاريخ رحبعام ابن سليمان كما جاء في سفر الملوك(1مل14). الاول؛ ولكنه خالف في القول بأنه عاش احدى واربعين سنة، بينما قيل في اخباره انه تولى الحكم وهو ابن واحد واربعين سنه(1مل 14 : 21). وباضفة سنوات حكمه السبع عشرة يكون عمره عند وفاته ثمان وخمسين سنة.

---

1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ43.& الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 367. & ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 191، 192.

2) " واستمر رحبعم ملكاً على السبطين حسبما شرح، حتى دخلت السنة الخامسة من ملكه، فيها غزاه فرعون مصر، واسمه شيشاق، ونهب مال رحبعم، المخلف عن سليمان .. وولد لرحبعم ثمانية وعشرون ولداً ذكراً غير البنات وملك رحبعم سبع عشرة سنة، وكانت مدة عمره إحدى واربعين سنة" – ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ44.

أبيام:

تولى الملك بعد ابيه رحبعام. واشار سفر الملوك(1مل15) الى عدم استقامته، والى اقتضاب مدة حكمه، كما اقتضب كلام المؤرخين[1] عنه. وكان رغم قصر عمره قد بنى باربع عشرة امرأة وانجب منهن اثنين وعشرين ولداً وست عشرة بنتاً.

أسا:

" عمل اسا ما هو مستقيم في عيني الرب كداود أبيه.. حتى ان معكة امه خلعها من ان تكون ملكة لأنها عملت تمثالا لسارية وقطع اسا تمثالها واحرقه في وادي قدرون " (1مل 15 : 9).

وحدث فى أيامه ان جاء زارح الكوشى وعسكر عند مُريشه[2] استعداداً لاقتحام أورشليم. فصعد آسا للقائه. ولما رأى تفوق الكوشيين صلى الى الرب وقال " أيها الرب ليس فرقا عندك ان تساعد الكثيرين ومن ليس لهم قوة فساعدنا أيها الرب الهنا لاننا عليك اتكلنا.. " (2اخ14)، فاستجاب له وضرب الكوشيين أمامه فهزموا.

وذكر ابو الفداء خبر اسا وانتصاره على الكوشيين، قال: " ولما توفي أفيا (اَبيًّا) ملك بعده إبنه أسا إحدى واربعين سنة، وخرج على أسا عدو فهزم الله العدو، بين يدي أسا، وقيل: ان العدو كان من الحبشة، وقيل: من الهنود "[3].

ويروي سفر الملوك خبر خلعه لامه دون اعتراض منها، الا ان الطبري يسوق على لسانها لوما كبيرا لإبنها اذ انها قالت له:

".. لعلك أوتيت من الحروف مثل ما أوتى موسى إلى فرعون ان غرقه وانجى قومه من الظلمة أو لعلك أوتيت من القوة ما أوتى داود ان قتل الاسد لقومه ولحق الذئب فشق شدقه وقتل جالوت الجبار وحده أو لعلك أوتيت من الملك والحكمة أفضل مما أوتى سليمان ابن داود رأس الحكماء .. وامر بها الملك عند ذلك

---

1) " ثمّ افترقت ممالك بني إسرائيل بعد رحبعم، فملك أبيا بن رحبعم سبط يهوذا وبنيامين دون سائر الأسباط .. فكان ملك أبيا بن رحبعم ثلاث سنين، ثمّ ملك أسا بن أبيا "– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 191، 192.& الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 367.

2) وردت في يش 15 : 44 وتعرف بإسم تل سند حنة وتقع على بعد ميل من بيت جبرين.

3) ابو الفدا، المختصر، 377.& ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 192.

فأخرجوها وغربوها .. فلما سمع ذلك منه الاسباط الذين كانوا حوله وقعت في قلوبهم المهابة فأذعنوا له بالطاعة.. " [1].

وفى آخر أيامه ضعفت ثقة آسا بالرب. واخذ أوانى الهيكل واشترى بها صداقة بنهدد ملك آرام فى دمشق، لكى يثنيه عن مساندته لبعشا ملك إسرائيل ضده، فأرسل له الرب حنانى الرائى ليوبخه على ذلك. وبعد هذا أصيب اسا بمرض فى رجليه أقعده عن الحركة، وتوفى آسا بعد فترة حكم دامت لإحدى واربعين سنة عاصر خلالها ستة من ملوك الاسباط كان أولهم ناداب ابن يربعام، واخرهم آخاب بن عمرى.

يهوشافاط 872 ق.م.

تولى الحكم بعد وفاة آسا، واستجاب لدعوة آخاب للمحاربة الآراميين الذين كانوا مصدر تهديد لكليهما. ودخل الحليفان الحرب رغم تحذير ميخا النبى(مى3: 9) لهما، فلقيا شر هزيمة ووقع آخاب صريعاً فى المعركة(1مل22). ورجع يهوشافاط الى اورشليم فقابله ياهو بن حناني الرائي ووبخه على تحالفه مع اخاب فندم وتاب الى الله.

وبعد ذلك خرج المؤابيون والعمونيون لقتاله فصلى الى الله وخطب في شعبه داعيا اياهم الى الايمان به وقال لهم " امنوا بالرب الهكم فتامنوا، امنوا بانبيائه فتفلحوا " فنصره الرب بدون قتال، حيث اصطدم الحليفان بالادوميين سكان جبل سعير، ولما فرغوا منهم اقتتلوا فيما بينهم (2اخ 20).

واورد ابو الفدا خبر يهوشافاط، قال:

" ثم ملك بعد أسا إبنه يهوشافاط خمساً وعشرين سنة. وكان عمر يهوشافاط لما ملك، خمساً وثلاثين سنة، وكان يهوشافاط رجلا صالحاً كثير العناية بعلماء بني إسرائيل، وخرج على يهوشافاط من ولد العيص، وجاءا في جمع عظيم، وخرج يهوشافاط لقتالهم، فألقى الله بين أعدائه الفتنة، واقتتلوا فيما بينهم، حتى انمحقوا وولوا منهزمين، فجمع يهوشافاط منهم غنائم كثيرة "[2].

---

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 367- 369.

2) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ44.

يهورام وخلفاؤه :

تولى يهورام الملك وهو ابن إثنتين وثلاثين سنة. وملك ثماني سنين في اورشليم. وتزوج من عثليا فقادته الى الشر الذي ورثته عن ابيها اخاب وامها ايزابل؛ فاباح الزنى وعبادة الاوثان. وقام بقتل جميع اخوته. ومن ثم تلقى رسالة من ايليا النبي، جاء فيها:" هكذا قال الرب اله داود ابيك من اجل انك لم تسلك في طرق يهوشافاط ابيك وطرق اسا ملك يهوذا. بل سلكت في طرق ملوك اسرائيل وجعلت يهوذا وسكان اورشليم يزنون كزنى بيت اخاب وقتلت ايضا اخوتك من بيت ابيك الذين هم افضل منك. هوذا يضرب الرب شعبك وبنيك ونساءك وكل ما لك ضربة عظيمة. واياك بامراض كثيرة ..." (2 أخ 1).

وتحقق ذلك عندما تحالف ضده الفلسطينيون والعرب والكوشيون وحاربوا يهوذا ونهبوا قصره، وسبوا نساءه وقتلوا بنيه ولم ينجوا منهم سوى أخزيا إبنه الأصغر وعثليا زوجته. اما هو فقد الم بأحشائه مرض افضى بحياته. فقامت زوجته عثليا بالوصاية على أخزيا. ولما اشتد ساعده، اشترك مع يورام فى حرب خاسرة ضد الأراميين. وبعدها قُتل الحليفان على يد ياهو ابن نمشي القائد الثائر.

ولما علمت عثليا بمقتل ابنها، فانها تخلصت من بيت يهوشافاط، ولم ينجو من المذبحة سوى يواش إبن أحاز وكان رضيعا فاخفته عمته يهوشبع. وبعد ان هدأت الأحوال مسحه يهوياداع الكاهن ملكاً على عرش يهوذا وهو فى عامه السابع الموافق السنة السابعة لـ ياهو ملك إسرائيل. ولما ارادت عثليا مقاومة العاهل الجديد فان يهويداع امر بالتخلص منها. ومكث يواش أربعين سنة على عرش يهوذا سار خلالها فى طريق الرب، فرمم بيته، لكنه لم يستطع ان ينزع الأصنام من المملكة. ثم اغتيل على يد إثنين من رجاله، وملكا إبنه أمصيا عوضاً عنه (2مل11، 12).

وذكر ابو الفدا خلفاء يهوشافاط مكتفيا باعمارهم وسنوات حكمهم دون الحديث عن اعمالهم، قال: " ثم ملك بعد يهوشافاط إبنه يهورام وكان عمر يهورام لما ملك إثنتين وثلاثين سنة، وملك ثماني سنين.. ولما مات يهورام ملك بعده إبنه أحزياهو(احاز)، وكان عمره لما ملك إثنتين واربعين سنة، وملك سنتين.. ثم كان بعد أحزياهو فترة بغير ملك، وحكمت في الفترة المذكورة إمرأة مسحورة، أصلها من جواري سليمان عليه السلام، واسمها عثلياهو وتتبعت بني داود فأفنتهم، وسلم منها طفل أخفوه عنها، وكان إسم الطفل يؤاش بن أحزيو، واستولت عثلياهو كذلك سبع سنين..

ثم ملك بعد عثلياهو يؤاش وهو ابن سبع سنين، وفي السنة الثالثة والعشرين من ملكه، رمم بيت المقدس، وجدد عمارته، وملك يؤاش أربعين سنة " [1].

أمصيا:

جلس على عرش يهوذا وهو ابن خمسة وعشرين عاماً. وبدأ حكمه صالحا ولكنه أنهاه طالحا. دخل فى حرب مع الأدوميين، لكن انتصاره عليهم لم يمنعه من ان يتخذ من آلهتهم أرباباً. ثم تحرش بملك إسرائيل، مما اضطر يهواش إلى الاعداد للحرب واثر البدء بالهجوم على الإنتظار للدفاع، وكان على اورشليم ان تدفع ثمنا غاليا هو انية هيكلها. ونال امصيا جزاء صنيعه بأن لقي حتفة على يد رجاله. بعد فترة حكم دامت تسعا وعشرين سنة" (2مل 14).

عُزيا:

اعتلى العرش وهو إبن ستة عشر عاماً فبدأ حكمه سيراً فى طريق الرب؛ لكنه ترك الانصاب في البلاد. واوقد على مذابح البخور فى بيت الرب، الأمر الذى كان موقوفاً على الكهنة وحدهم. ثم اصيب بالبرص. وعاصر السنوات الأخيرة من حكم يربعام الثانى، وزكريا، وشلوم، ومنحيم، وفقحيا. ثم مات فى السنة الثانية لـ فقح إبن رمليا. (2مل15). واشار ابو الفداء الى كل من امصيا وعزيا في عجالة، قال: " ثم ملك بعد يؤاش إبنه أمضياهو، وكان عمره لما ملك خمساً وعشرين سنة، وملك تسعاً وعشرين سنة، وقيل: خمس عشرة، وقتل.. ثم ملك بعده عزياهو وكان عمره لما ملك ست عشرة سنة، وملك إثنتين وخمسين سنة " [2].

يوثـــام:

ملك بعد موت أبيه لمدة ستة عشر عاماً. " وعمل ما هومستقيم في عيني الرب .. الا ان المرتفعات لم تنتزع بل كان الشعب لا يزالون يذبحون ويوقدون على المرتفعات ... في تلك الأيام إبتدأ الرب يرسل على يهوذا رصين ملك ارام وفقح بن رمليا. واضطجع يوثام مع ابائه ودفن مع ابائه في مدينة داود أبيه وملك احاز إبنه عوضا عنه" (2مل 17).

1) ابو الفدا، المختصر، صـ45.& الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ377، 378

2) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ45، 46.

آحــاز:

أرسل أحاز الفضة والذهب الخاص ببيت الرب. إلى أشور للحصول على تأييد ملكها تغلت فلاسر الثالث. ضد رصين، وفقح، والأدوميين، فقبل تغلت واشترك مع يهوذا فى الحرب التى اسفرت عن موت رصين ملك آرام وهزيمة جيشه. واستغل تغلت الموقف لصالحه فبعد التصدي للحلف بسط ملك اشور يده على مدن عديدة بل ويهوذا نفسها لم تسلم من اطماعه (2مل 16).

وفيه قال ابو الفدا:

" وكان عمر يوثم لما ملك خمساً وعشرين سنة، وملك ست عشرة سنة .. وقيل: ان في أيامه كان يونس النبي عليه السلام.. ولما توفي يوثم ملك بعده إبنه آحز (آحاز)، وكان عمر آحز لما ملك – عشرين سنة، وملك ست عشرة سنة. وفي السنة الرابعة من ملكه قصده ملك دمشق، واسمه رصين وكان أشعيا النبي في أيام آحز فبشر آحز ان الله تعالى يصرف رصين بغير حرب، فكان كذلك .. ولما توفي آحز المذكور ملك بعده إبنه: حزقيا، وكان رجلا صالحاً مظفراً "[1].

حزقيا بن أحاز:

حكم وهو ابن خمس وعشرين سنه، ودام حكمه تسعا وعشرين سنة. كسر التماثيل وقطع السواري وسحق حية النحاس التي عملها موسى لان بني إسرائيل تعبدوا لها من دون الله. وفي العام الرابع عشر من حكمه غزاه سنحاريب ملك اشور، واستولى على مدن يهوذا وحاصر اورشليم. فلبس حزقيا المسوح وتضرع الى الله فأجابه، وضرب ملاك الرب " من جيش اشور مئة الف وخمسة وثمانين الفاً .. فانصرف سنحاريب ملك اشور وذهب راجعا واقام في نينوى. وفيما هو ساجد في بيت نسروخ الهه ضربه ادرملك وشراصر ابناه بالسيف ونجوا إلى ارض اراراط وملك اسرحدون إبنه عوضا عنه " (2مل18، 19).

وجاء ما ذكره ابو الفدا[2] في تاريخه موافقا لما سبق، ولكنه خالف في سنة توليه الحكم. وقال بأن ملك اشور ولى هاربا لوقوع الفتنة في صفوف جنوده؛ ولكن الطبري ذكر ان مَلَكاً ضربهم[1].

---

1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ46.

2) " وملك حزقيا تسعاً وعشرين سنة، وكان عمره لما ملك عشرين سنة، وكان من الصلحاء الكبار .. قصده سنحاريب ملك الجزيرة، فخذله الله تعالى، ووقعت الفتنة في عسكره فولى راجعاً، ثم قتله

واصاب حزقيا المرض واقعده عن الحراك ثم اخبره اشعياء النبي بدنو اجله؛ فتضرع الى الله ان يشفيه ويمهله مزيدا من العمر فاطال الله في عمره على لسان النبي الجليل: " .. هكذا قال الرب اله داود ابيك قد سمعت صلاتك قد رأيت دموعك هانذا اشفيك في اليوم الثالث تصعد إلى بيت الرب. وازيد على أيامك خمس عشرة سنة وانقذك من يد ملك اشور". (2مل20).

ووردت تلك الحادثة في تاريخ الطبري: " .. فأوحى الله إلى شعيا فأمره ان يخبر صديقه الملك ان ربه قد استجاب له وقبل منه ورحمه وقد رأى بكاءك وقد أخر أجلك خمس عشرة سنة وانجاك من عدوك سنحاريب ملك بابل وجنوده " [(2)].

منسَّى وخلفاؤه:

اعتلي سدة العرش – وهو فى الثانية عشر من عمره – لمدة خمس وخمسين سنة، حاد خلالها عن سواء السبيل(2مل21). وقد ورد إسمه فى سجلات اسرحدون ضمن الذين قدموا له الجزية[(3)]. وبعد موته خلفه ابنه آمون في الحكم والشر وهو ابن إثنتين وعشرين ولمدة عامين فقط، حيث غدرت به بطانته. ولما قضي امون كان ابنه يوشيا لا يزال صبيا ابن ثمان سنين، وعلى الرغم من صغر سنه الا انه اتم فترة حكمه الواحدة والثلاثين في خوف الله وفي مرضاته. ولكنه اساء التصرف عندما تصدى لـ نخو (نكاو) فرعون مصر الذي كان في طريقه لملاقاة ملك اشور، فهزم وقتل عند مجدو فنقلوه الى اورشليم ليدفن بها. ثم اجتمع الشعب على ابنه يهواحاز فمسحوه وملكوه وهو ابن ثلاثا وعشرين سنة. ولكنه لم يهنأ بالملك اكثر من ثلاثة

إثنان من أولاده في نينوى، وكان أشعيا النبي قد أخبر بني إسرائيل ان الله تعالى يكفيهم شر سنحاريب بغير قتال .. وملك بعد سنحاريب إبنه الآخر، واسمه اسرحدون " – المختصر، صـ 47

1) " وقال بعضهم بل الذى غزا حزقيا صاحب شعيا، سنحاريب ملك الموصل. وزعم انه لما أحاط ببيت المقدس بجنوده بعث الله ملكا فقتل من أصحابه في ليلة واحدة مائة ألف وخمسة وثمانين ألف رجل "– الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 380.

2) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 376، 378.& ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 195.

3) " .. بعلو ملك صور ومنسى ملك يهوذا وقوش غابي ملك ايدوم. وموسوري ملك مؤاب .. كل هؤلاء ارسلتهم الى نينوى مقر حكمي وجعلتهم يَنقلون اليها تحت اقسى الظروف مواد بناء لقصري...". – Thomas Winton, documents from old testament times , p.74.

اشهر، اذ قبض عليه نخو في ربلة وساقه الى مصر حيث مات هناك. وعين بدلا منه الياقيم ابن يوشيا. وغير إسمه إلى يهوياقيم، وفرض عليه الجزية (2مل21، 22).

واحتلت أخبار منسى وخلفائه مكانا ضئيلا على متن التاريخ العربي، قال ابو الفدا:

" ثم ملك بعده إبنه منشا، وكان عمره لما ملك إثنتي عشرة سنة، فعصى لما تملك، واظهر العصيان والفسق والطغيان مدة إثنتين وعشرين سنة من ملكه، غزاه صاحب الجزيرة. ثم ان منشا أقلع عما كان منه، وتاب إلى الله توبة نصوحاً حتى مات، وكانت مدة ملكه خمساً وخمسين سنة، فيكون وفاته في أواخر سنة تسعمائة وخمس عشرة .. ثم ملك بعده إبنه آمون سنتين، فيكون وفاته في أواخر سنة سبع عشرة وتسع مائة لوفاة موسى .. ثم ملك بعده إبنه يوشيا، ولما ملك أظهر الطاعة والعبادة، وجدد عمارة بيت المقدس، واصلحه. وملك يوشيا المذكور إحدى وثلاثين سنة.. ثم ملك بعده إبنه يهوياحوز ولما ملك يهوياحوز، غزاه فرعون مصر واظنه فرعون الأعرج، واخذ يهوياحوز أسيراً إلى مصر فمات بها، وكانت مدة ملكه ثلاثة أشهر.."[1].

واضاف الطبري[2] الى ذلك تنصيب فرعون ليهوياقيم والزامه بدفع جزية. ولكنه قال ان يهوياقيم هو ابن يهواحاز؛ بينما جاء بسفر الملوك الثاني انه ابن يوشيا اي انه اخو يهواحاز كما ذكر ابو الفدا[3].

---

1) " ولما أسر يهوياحوز، ملك بعده أخوه يهوياقيم " – ابو الفدا، المختصر، صـ48.

2)" .. وملك فرعون الاجدع يوياقيم بن ياهواحاز على ما كان عليه أبوه. ووظف عليه خراجا يؤديه إليه " – الطبري، جـ1، صـ 380.& ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 195، 196.

3) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ49.

يربعام ومملكة اسرائيل

ذكرنا آنفا احجام جل الاسباط عن مبايعة رحبعام ابن سليمان ومبايعتهم ليربعام بالملك فأسس ما عرف بمملكة اسرائيل واتخذ من شكيم حاضرة لملكه.

وكان يربعام يخشى ان يذهب الشعب إلى بيت الرب فى أورشليم لتقديم الأضاحى، فيستقطبهم رحبعام. ومن ثم ينقلبوا عليه. فنصب عجلين من ذهب على المرتفعات: واحد فى (دان) والآخر فى (بيت إيل) وقال لهم: "هوذا ألهتك يا إسرائيل الذين أصعدون من أرض مصر"(1مل 12). فأتاه أخيا الشيلوني نذيرا وكان قبل ذلك قد جاءه بشيرا. وقال له:

" من اجل اني قد رفعتك من وسط الشعب وجعلتك رئيسا على شعبي .. وقد ساء عملك اكثر من جميع الذين كانوا قبلك فسرت وعملت لنفسك آلهة أخرى ومسبوكات لتغيظني وقد طرحتني وراء ظهرك. لذلك هانذا جالب شرا على بيت يربعام .. "(1مل14). وفي تاريخه أشار ابو الفدا إلى عبادة يربعام للاصنام[1].

وبعد موت يربعام، صعد على عرش المملكة إبنه ناداب لمدة سنتين فقط، ثم ثار عليه بعشا ابن أخيا وقتله ، وملك عوضا عنه. وجلس بعشا على العرش لمدة أربعة وعشرين عاماً لم ينفك خلالها يغضب الرب بأعماله الشريرة. ولم يستمع لتحذير ياهو ابن حناني الرائي:

" من اجل اني قد رفعتك من التراب وجعلتك رئيسا على شعبي إسرائيل فسرت في طريق يربعام وجعلت شعبي إسرائيل يخطئون ويغيظونني بخطاياهم. هانذا انزع نسل بعشا ونسل بيته واجعل بيتك كبيت يربعام بن نباط "(1مل 16).

وبعد موته آل عرش المملكة إلى أيله إبنه لمدة عامين. ثم فتن عليه زمري القائد وقتله وهو غارق في سكره. وملك عوضا عنه لمدة سبع سنوات ثم قام عمري بثورة ضده. ولما ادرك زمري انه محاصر وانه ميت لا محال فانه اشعل النار في القصر واثر الإنتحار على الوقوع في ايدي الثوار(1مل16: 18). واشار ابو الفدا في تاريخه إلى تلك الحادثة[2].

1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ46.

2) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ46.

ثم ارتقى عمرى رئيس الجيش عرش الشمال لمدة إثنتي عشرة سنة. قضى السبع سنين الأولى منها في ترصة. ثم اشترى جبل شامر وبنى عليه السامرة التي اضحت عاصمته الجديدة. وقد وردت في تاريخ ابي الفداء بإسم صبصطية لان المدينة قد تم تخريبها فيما بعد. ثم بنى هيرودس الاول مدينة سبسطية على انقاضها في عهد اغسطس قيصر.

وبعد وفاة عمرى اعتلى إبنه أخاب أريكة الملك، واستجاب لرغبات إيزابل، واقام لها النصب والسواري وبنى معبدين فى السامرة: واحد لبعل، والآخر لعشتاروت (1مل 16). واضطهدت ايزابل النبيين ميخا، وايليا. لأنهما كانا لها بالمرصاد منذرين. واغتصبت هي وزوجها كرم نابوت اليزرعيلى وقتلاه لأنه رفض ان يبيعهما كرم أجداده. ثم وقع آخاب صريعاً في معركة. وقتلت إيزابل بعد ذلك على يد ياهو إبن نمشي. وتحقق فيه وفي امثاله ممن يغتصبون اموال المساكين، قول النبي:

" فتكون ثروتهم غنيمة وبيوتهم خرابا ويبنون بيوتا ولا يسكنونها ويغرسون كروما ولا يشربون خمرها" (صف1 :13). وقد أشار ابو الفدا إلى مصرعة في الحرب ضد الاراميين[1].

ثم اعتلى أخزيا عرش السامرة بعد موت آخاب أبيه ولمدة عامين فقط. وكان قد سقط من الكوة التي في عليته فأرسل إلى عقرون يستخير الهها بعل زبوب، لكن ايليا النبي عنفه على اللجوء للاصنام وقال له: "هكذا قال الرب من اجل انك ارسلت رسلا لتسال بعل زبوب اله عقرون.. لذلك السرير الذي صعدت عليه لا تنزل عنه بل موتا تموت "(2مل1 : 16).

ثم خلفه أخوه يورام الذى تحالف من جديد مع يهوشافاط ضد ميشع ملك مؤاب. وكان النصر حليفهما فى هذه المرة، وانكسرت مؤاب وفقاً لنبؤة أليشع النبي (2مل3: 17) وزاد التقارب بين البيتين بزواج يهورام ملك يهوذا من عثليا بنت عمري.

ثم انتقل العرش الى ياهو بن نمشي وخلفائه: يهواحاز بن ياهو، ويهواش ابن يهواحاز، ويربعام (الثاني) ابن يهواش الذي عاصر كلا من يونان وعاموس النبيين كما ورد في سفري عاموس واخبار الأيام[2]. وذكره أيضاً ابو الفدا[3].. وبعد موته

---

1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ47.

2)2مل 14 : 25، عا 1 : 1

3) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ46.

خلفه إبنه زكريا؛ ولكنه قتل بعد ستة أشهر فقط على يد شلوم بن يابيش، الذى ملك عوضاً عنه. ثم لقى شلوم مصير سلفه على يد منحيم الذى سار هو الآخر فى طريق الشر فسلم الرب مملكته لفول (تغلت فلاسر الثالث) ملك الآشوريين وكان يدفع له خمسين شاقلا عن كل رجل. وبعد منحيم تولى إبنه فقحيا. وبعد عامين فقط من توليه الحكم تم اغتياله على يد فقح بن رمليا الذي أصبح الطريق أمامه ممهداً للصعود إلى أريكة الملك. وفي عهده غزا تغلت فلاسر (الثالث)[1] مملكتة واستولى على بعض المدن (2مل15)، ثم دمر السامرة. واخذ قسماً كبيراً من سكانها إلى آشور. وذكر تغلت فى سجلاته انه أقام هوشع حاكماً على إسرائيل.

وبعد فترة بدأ يضيق من التبعية لآشور، ولذلك اتبع معها سياسة المماطلة فى دفع الجزية. ثم امتنع تماماً عن دفعها وسعى للتحالف مع فرعون مصر (2مل17: 4) المدعو (تف– نخت) أحد ملوك الأسرة الرابعة والعشرين. لكن هذا الحليف لم يستطع ان يحول دون التدمير الذى لحق بمملكة إسرائيل. فبعد ان حاصر الآشوريون السامرة لمدة ثلاث سنوات فى عهد شلمناصر الخامس فانها سقطت فى نهاية الأمر على يد خليفته سرجون الثانى منفذ الهجوم.

واخذ الأشوريون سكان السامرة واسكنوهم فى حلح، وخابور نهر جوزان، وفى مدن مادى. ولم ينجو هوشع نفسه من الأسر بعد حكم دام تسع سنوات منيت خلالها المملكة بالويلات. وبذلك تم خراب مملكة إسرائيل وفقاً لما جاء على لسان عاموس النبى وقال: "هكذا ينزع بنو إسرائيل الجالسون فى السامرة، فى زاوية السرير، وعلى دمقس الفراش.. واضرب بيت الشتاء، وبيت الصيف، فتبيد بيوت العاج، وتضمحل العظمة يقول الرب "(عا 3).

وفيما وردت أخبار ملوك بني إسرائيل مفصلة نجد ابو الفدا يكتفي فقط بذكر اسماء اكثرهم والنذر اليسير من أخبارهم، قال:

" ان ملوك الأسباط المذكورين، خرجوا – بعد وفاة سليمان – على رحبعم بن سليمان، في أوائل سنة ست وسبعين وخمسمائة، وانقرضوا في سنة سبع وثلاثين وثمانمائة، فيكون مدة ملكهم مائتين واحدى وستين سنة، وعددهم سبعة عشر ملكاً .. أما أولهم فهو يربعم(يربعام)، فكان من عبيد سليمان بن داود، وكان يربعم المذكور كافراً، فلما ملك أظهر الكفر وعبادة الأوثان، وفي السنة الثامنة عشر من ملك يربعم

---

1) السبى الآشورى الأول لمملكة إسرائيل.

توفي رحبعم بن سليمان. واما ثانيهم نؤذب(ناداب)، فهو ابن يربعم المذكور. واما ثالثهم بعشو(بعشا) فهو ابن آخيا من سبط يشوخر(يساكر). واما رابعهم: إيلا (أيلة) فهو ابن بعشو المذكور، وكان مقدم جيشه زمري، فقتل إيلا وتولى زمري مكانه وخامسهم: زمري المذكور، أحرق في قصره. واما سادسهم تبني(زمري) : فانه ولي الملك خمس سنين بشركة عمري.

واما سابعهم عمري: فانه بعد موت تبني استقل بالملك بمفرده. وعمري المذكور هو الذي بني صبصطية، وجعلها دار ملكه. واما ثامنهم أحؤب(آخاب): فهو ابن عمري، وقتل في حرب كانت بينه وبين صاحب دمشق. واما تاسعهم أحزيو(أخازيا): فهو ابن أحؤب المذكور، وكان موته بأن سقط من روشن له فمات. واما عاشرهم ياهورام(يهورام): فهو اخو أحزيو(أخازيا) المذكور، وكان في أيامه الغلاء. واما حادي عشرهم ياهو: فهو ابن نمشي. واما ثاني عشرهم يهوياحاز(يهو آحاز): فهو ابن ياهو المذكور. واما: ثالث عشرهم يؤاش(يهواش): فهو ابن يهوياحاز.

واما رابع عشرهم يربعم(يربعام) الثاني: فهو ابن يؤاش، وقوي في مدة ملكه، وارتجع عدة من قرى بني إسرائيل، كانت قد خرجت عنهم من حماة إلى كنسر، وعلى هده كان يونس(يونان) النبي عليه السلام. واما خامس عشرهم يقحيوء(فقحيا) [1] فان مدته لم تطل، واما سادس عشرهم باقح(فقح ابن رمليا)، فعلى أيامه حضر ملك الجزيرة وغزا الأسباط المذكورين، واخذ منهم جماعة إلى بلده، واجلى بعضهم إلى خراسان، واما سابع عشرهم هوشاع، فهو ابن إيلا(هوشع ابن ايلة)، ولما تولى أطاع صاحب الجزيرة، واسمه سلمناصر(شلمناصر) وقيل فلنصر، وبقي هو شاع في طاعته تسع سنين، ثم عصاه، فأرسل صاحب الجزيرة المذكور، وحاصره ثلاث سنين، وفتح بلده صبصطية، واجلاه وقوه إلى بلد خراسان، واسكن موضعهم السامرة وكان ذلك في السنة السادسة من ملك حزقيا، فانضم من سلم من الأسباط إلى حزقيا، ودخلوا تحت طاعته" [2].

---

1) بعد موت يربعام الثاني تولى الملك كل من زكريا وشلوم ومنحيم قبل فقحيا. (2مل14، 15).
2) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ46، 47.

الفصل الثاني عشر

السبي البابلي

يهوياقيم والسبي الأول:

بدا يهوياقيم(2 مل23، 24) حكمه تابعا لمصر يدفع لها الجزية، ولكن هذا الوضع لم يستمر طولا، لان ملك بابل صعد على اورشليم وحاصرها في العام الثالث من حكمه، وساق نبوخذ نصر قسما من بني يهوذا إلى بابل، وكان معهم دانيال النبي والفتية الثلاثة. وعندئذٍ حول ملك يهوذا الجزية من خزانة مصر إلى خزانة بابل. وبعث ملك يهوذا برسالة كتبت بالآرامية، إلى مصر يطلب نجدة عاهلها، ولكن دون جدوى. ولقى يهوياقيم حتفة. والقى بجثته كما انبأ أرميا النبى[1].

واشار ابو الفدا في تاريخه إلى حكم يهوياقيم والى غزو ملك بابل لبلاده ولكنه خالف في ذكر نهايته: " .. وفي السنة الرابعة من ملكه – وهي السابعة من ملك يهوياقيم – سار بخت نصر بالجيوش إلى الشام، وغزا بني إسرائيل، فلم يحاربه يهوياقيم ودخل تحت طاعته، فبقاه بخت نصر على ملكه، وبقي يهوياقيم تحت طاعة بخت نصر ثلاث سنين، ثم خرج عن طاعته، وعصى عليه، فأرسل بخت نصر وامسك يهوياقيم، وامر بإحضاره إليه فمات يهوياقيم في الطريق من الخوف، فتكون مدة يهوياقيم نحو إحدى عشرة سنة "[2].

يهوياكين والسبي الثاني:

تولى الحكم وهو ابن ثمانية عشر عاماً، ولمدة ثلاثة أشهر فقط. بعدها جاء نبوخذ نصر بغزوته الثانية، وفي السنة الثامنة من حكمه، واسر يهويكين واهل بيته ، " وسبى كل اورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة الباس عشرة الاف مسبي وجميع الصناع والاقيان لم يبق احد الا مساكين شعب الأرض... "(2 اخ 36). وبقي يهوياكين محبوسا في بابل حتى صعد اويل مرودخ على عرش مملكة بابل فاخرجه من

---

1) " لذلك قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا لا يكون له جالس على كرسى داود، وتكون جثته مطروحة للحر نهاراً وللبرد ليلاً، واعاقبه ونسله وعبيده على إثمهم "(إر36).

2) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ49.

سجنه بعد نحو سبعة وثلاثين سنة، وجعله من المقربين (أر52: 31). وقبل ان يغادر نبوخذ نصر أورشليم عين (متنيا) عم يهوياكين بدلاً منه وغير إسمه إلى (صدقيا).

واورد ابو الفدا أخبار يهوياكين على هذا النحو: " لما أخذ يهوياقيم المذكور إلى العراق، استخلف مكانه إبنه – وهو يخنيو – فأقام يخنيو(يهوياكين) موضع أبيه مائة يوم، ثم أرسل بخت نصر من أخذه إلى بابل. ولما أخذ بخت نصر يخنيو إلى العراق أخذ معه أيضاً جماعة من علماء بني إسرائيل، من جملتهم دانيال وحزقال النبيين، وهو من نسل هارون، وحال وصول يخنيو سجنه بخت نصر، ولم يبرح مسجوناً حتى مات بخت نصر.. "[1].

متنيا(صدقيا) والسبي الثالث:

عين صدقيا حاكما من قبل ملك بابل، وهو ابن احدى وعشرين سنة؛ وبقي في منصبه احدى عشرة سنة. وفي اواخر حكمه تمرد على مولاه ولم يؤدي له الجزية، فجاء نبوخذنصر بحملة على يهوذا للمرة الثالثه. وطوق جنوده مدينة اورشليم لنحو عام حتى فرغ الطعام ونفذ صبر الجنود، فثغروا المدينة وهرب الملك بجنوده ليلا، " فتبعت جيوش الكلدانيين الملك فادركوه في برية اريحا وتفرقت جميع جيوشه عنه. فأخذوا الملك واصعدوه إلى ملك بابل إلى ربلة وكلموه بالقضاء عليه. وقتلوا بني صدقيا امام عينيه وقلعوا عيني صدقيا وقيدوه بسلسلتين من نحاس وجاءوا به إلى بابل ". وقام البابليون بقيادة نبوزرادان بتدمير الهيكل وقصر الملك وبيوت الوجهاء، ونقل نفائسها الى مولاه، " واخذ رئيس الشرط سرايا الكاهن الرئيس وصفنيا الكاهن الثاني وحارسي الباب الثلاثة .. وستين رجلا من شعب الأرض الموجودين في المدينة. واخذهم نبوزرادان رئيس الشرط وسار بهم إلى ملك بابل إلى ربلة. فضربهم ملك بابل وقتلهم في ربلة في ارض حماة فسبي يهوذا من ارضه. واما الشعب الذي بقي في ارض يهوذا الذين ابقاهم نبوخذناصر ملك بابل فوكل عليهم جدليا بن اخيقام بن شافان .." (2 مل 25).

وذكر ابو الفدا أخبار صدقيا وما جرى له ولشعبه مما ورد في أخبار الملوك الثاني مشيرا الى دور ارميا النبي، قال: " وكان أرميا النبي في أيام صدقيا، فبقي يعظ صدقيا وبني إسرائيل، ويهددهم ببخت نصر، وهم لا يلتفتون. وفي السنة

1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ49.

السابعة من ملك صدقيا عصى على بخت نصر، فسار بخت نصر بالجيوش.. وبعث الجيوش مع وزيره، واسمه نبو زرذون .. فسار الوزير المذكور بالجيش وحاصر صدقيا مدة سنتين ونصف، أولها عاشر تموز من السنة التاسعة لملك صدقيا، واخذ بعد حصاره المدة المذكورة القدس بالسيف، واخذ صدقيا أسيراً، واخذ معه جملة كثيرة من بني إسرائيل، واحرق القدس، وهدم البيت الذي بناه سليمان، واحرقه واباد بني إسرائيل قتلا وتشريداً فكان مدة ملك صدقيا نحو إحدى عشرة سنة، وهو آخر ملوك بني إسرائيل " [1].

وذكر الطبري المعاملة القاسية التي تعرض لها صدقيا من قبل ملك بابل[2]. كما ذكر سبي البابليين لـ دانيال ورفاقه الثلاثة ضمن احداث الغزوة الثالثة[3]، بينما تم اخذهم ضمن السبي الاول. وفي ذات السياق ذكر استيلاء نبوزردان على انية الهيكل، وهو ما حدث في الغزوة الثالثة، بينما هو ينسبها الى الدهم البابلي الاول، قال: ".. وذهب بانية بيت المقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالصبيان السبعين الالف حتى أقدمهم بابل وكانت هذه الوقعة الأولى التى انزلها الله ببنى إسرائيل باحداثهم وظلمهم"[4].

وبعد فترة وجيزة تخلص إسماعيل بن نثنيا، وهو من النسل الملكي، من جدليا وبطانته. فهرب الناس الى مصر خشية عودة ملك بابل للانتقام. واخذوا معهم ارميا النبي عنوة. ولهذا تنبأ عن المستقبل الذي سوف يحل بمن يخضعون لنبوخذنصر ملك بابل، وبمن يهربون ليحتموا بفرعون. ففي ظاهر الامر ان الهروب للحليف افضل من الخضوع للمحتل. ولكن الوحي، الذي يرى المستقبل البعيد والصالح للانسان، نطق على لسانه بان حال المسبيين بيد ملك بابل سوف يكون افضل من

1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ49، 50.

2) " .. فخالفه (اي صدقيا) فغزاه فظفر به فاوثقه وحمله إلى بابل بعد ان ذبح ولده بين يديه وسمل عينيه وخرب المدينة والهيكل وسبى بنى إسرائيل وحملهم إلى بابل " – الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 380.

3) ".. ثم انصرف راجعا إلى أرض بابل واحتمل مع سبايا بنى إسرائيل وامرهم ان يجمعوا من كان في بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بنى إسرائيل فاختار منهم مائة ألف صبى .. وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وغزاريا وميشايل" – الطبري، جـ1، صـ 394.

4) الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ 394.

حال الهاربين الى فرعون(ار44). وقد اراه الوحي سلتين[1] احداهما بها تين ردئ وهو رمز لمصير من يهربون إلى مصر. وبالأخرى تين جيد وهو رمز لمصير من يتبعون ملك بابل. والواقع التاريخي اظهر فيما بعد صدق الوحي فان ملك بابل اهتدى إلى معرفة الحق ودبر الله للمسبيين حياة جيدة كما ورد في سفر دانيال النبي، بعكس ما حدث للمحتمين بفرعون فقد ادركهم سيف البابليين هناك[2]. وبعد سقوط مملكة بابل تمتع المسبيون بعهد من الرخاء في ظل حكومة فارس فقد انعم عليهم ملوك فارس بالعودة إلى بلادهم وساعدوهم في بناء مدينتهم وبيت الههم. وليس هذا فحسب بل ان احد ملوكهم اجلس استير إلى جواره على عرش المملكة الاخمينية.

وفي حديثه عن ارميا النبي ذكر ابو الفدا[3] قصة الحمار وسلة الطعام. وهي لم ترد في سفر ارميا ولا في اخبار الملوك.

وذكر الطبري خبر غزو نبوخذنصر لمملكة يهوذا وتخريب اورشليم، وسجن صدقيا الملك لأرميا النبي، وتنبأه بتسلط ملك بابل على بني إسرائيل وهرب البعض منهم إلى مصر وتتبع البابليين لهم، قال:

" .. وبلغنا انه وجد في سجن بنى إسرائيل أرميا النبي وكان الله تعالى بعثه نبيا فيما بلغنا إلى بنى إسرائيل يحذرهم ما حل بهم من بختنصر ويعلمهم ان الله مسلط عليهم من يقتل مقاتلتهم ويسبي ذراريهم ان لم يتوبوا وينزعوا عن سئ أعمالهم.. فاجتمع إليه من بقى من ضعفاء بنى إسرائيل فقالوا انا قد أسانا وظلمنا ونحن نتوب إلى الله مما صنعنا فادع الله ان يقبل توبتنا فدعا ربه فأوحى إليه انهم غير فاعلين فان كانوا صادقين فليقيموا معك بهذه البلدة .. فأبوا ان يقيموا فكتب بختنصر إلى ملك مصر ان عبيدا لى هربوا منى إليك فسرحهم إلى والا غزوتك واوطأت بلادك

---

1) " اراني الرب واذا سلتا تين موضوعتان امام هيكل الرب بعدما سبى نبوخذراصر ملك بابل يكنيا بن يهوياقيم ملك يهوذا ورؤساء يهوذا والنجارين والحدادين من اورشليم واتى بهم الى بابل. في السلة الواحدة تين جيد جدا مثل التين الباكوري وفي السلة الأخرى تين رديء جدا لا يؤكل من رداءته... ثم صار كلام الرب الي قائلا. هكذا قال الرب اله إسرائيل كهذا التين الجيد هكذا انظر الى سبي يهوذا الذي ارسلته من هذا الموضع الى ارض الكلدانيين للخير... وكالتين الرديء الذي لا يؤكل من رداءته هكذا قال الرب هكذا اجعل صدقيا ملك يهوذا ورؤساءه وبقية اورشليم الباقية في هذه الأرض والساكنة في ارض مصر " (ار 24: 1– 10).

2) ار27: 1– 11.

3) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ص52.

الخيل فكتب إليه ملك مصر ماهم بعبيدك ولكنهم الاحرار أبناء الاحرار فغزاه بختنصر فقتله وسبى أهل مصر" [1]. كما ذكر وابن الأثير[2] حادثة غزو بختنصّر لبلاد العرب والتي تنبأ عنها أرميا النبي(ار49 : 28).

أرميا النبي:

ورد في فاتحة سفره [3] انه تنبأ في زمن يوشيا بن امون؛ بينما ذكر الطبري انه كان معاصرا لملك يدعى ناشية بن اموص فقد اختلط عليه الامر بين (اشعياء ابن اموص) و (يوشيا بن امون)، قال:

" استخلف الله عزوجل على بنى إسرائيل بعد شعيا رجلا منهم يقال له ياشية ابن أموس(يوشيا بن امون) فبعث الله لهم الخضر نبيا واسم الخضر فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بنى إسرائيل أرميا بن حلقيا وكان من سبط هارون " [4].

كما اختلفوا[5] حول شخصية الخضر من يكون، فقالوا هو من اوتي النبؤة في عهد اشعياء بن اموص. وهو صاحب موسى، وهو من عهد إبراهيم. وهو من ولد فارس وهو معاصر لـ إلياس (ايليا)، واخيرا هو أرميا النبي.

ويروي أرميا النبي نفسه امر دعوته والحوار الذي دار بينه وبين الله على هذا النحو:

" فكانت كلمة الرب الي قائلا. قبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك جعلتك نبيا للشعوب. فقلت اه يا سيد الرب اني لا اعرف ان اتكلم لاني ولد. فقال الرب لي لا تقل اني ولد لانك إلى كل من ارسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما امرك به. لا تخف من وجوههم لاني انا معك لانقذك يقول الرب " (ار1: 4).

---

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 383.& ابو الفدا، المختصر، صـ50، 51.

2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 206.

3) " كلام أرميا بن حلقيا من الكهنة الذين في عناثوث في ارض بنيامين. الذي كانت كلمة الرب إليه في أيام يوشيا بن امون ملك يهوذا في السنة الثالثة عشرة من ملكه. وكانت في أيام يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا إلى تمام السنة الحادية عشرة لصدقيا بن يوشيا ملك يهوذا إلى سبي اورشليم في الشهر الخامس " (ار1: 1– 3).

4) الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ389.

5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 121.

وذكر الطبري امر هذه الدعوة بقوله:

" قال الله عز وجل لأرميا حين بعثه نبيا إلى بنى إسرائيل يا أرميا من قبل ان أخلقك اخترتك ومن قبل ان أصورك في بطن أمك قدستك ومن قبل ان أخرجك من بطن أمك طهرتك ومن قبل ان تبلغ السعي نبيتك ومن قبل ان تبلغ الاشد اختبرتك ولامر عظيم اجتبيتك. فبعث الله عزوجل أرميا إلى ذلك الملك من بنى إسرائيل يسدده ويرشده ويأتيه بالخبر من قبل الله "[1].

وتنبأ أرميا على على مملكة يهوذا – وغيرها– بالشر محذرا وبالخير مطمئنا، وفي التنبؤ بالشر عناية بالإنسان. لان الله من رحمته يعلن من خلال الوحي عن العقاب قبل حدوثه عسى ان يتوب الإنسان ويرجع عن شروره. ولان الانباء بالشر ليس قضاءا مبرما في جميع الاحوال بل هو رؤية سابقة وانذار للتوبة. وتحقق العقاب او امتناعه يتوقف على الاقلاع عن الاثم او التمادي فيه. ولذلك قال ارميا النبي: " لعل تضرعهم يقع امام الرب فيرجعوا كل واحد عن طريقه الرديء " (ار36: 7). ولكنهم لم يسمعوا بل ان يهوياقيم ازدرى بما دونه باروخ ابن نيريا الكاتب مما نطق به الوحي على فم النبي" ولم يخف الملك ولا كل عبيده السامعين كل هذا الكلام " (ار36 : 24). وصَدَقيّا تطاول على النبي وسجنه.

وعلل سبب الشر المحدق بالمملكة وهو تركهم للرب واتباع سبل الرزيلة، قال أرميا النبي:

" طوفوا في شوارع اورشليم وانظروا واعرفوا وفتشوا في ساحاتها هل تجدون انسانا او يوجد عامل بالعدل طالب الحق فاصفح عنها .. في بيت زانية تزاحموا.. صهلوا كل واحد على إمرأة صاحبه .. هانذا اجلب عليكم امة من بعد يا بيت إسرائيل .. ويكون حين تقولون لماذا صنع الرب الهنا بنا كل هذه تقول لهم كما انكم تركتموني وعبدتم آلهة غريبة في ارضكم هكذا تعبدون الغرباء في ارض ليست لكم .. إسمع هذا أيها الشعب الجاهل والعديم الفهم الذين لهم اعين ولا يبصرون لهم اذان ولا يسمعون. الياي لا تخشون يقول الرب ..خطاياكم منعت الخير عنكم ..." (ار5).

وتحدث الطبري عن دعوة الله لارميا وعن معاصي بني إسرائيل وخضوعهم للبابليين كعقاب لهم على اثامهم، قال: " ثم عظمت الاحداث في بنى إسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم .. فأوحى الله عز وجل إلى أرميا ان ائت قومك من بنى

1) الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ 389.

إسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به ... فانى احلف بعزتي لا قيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ويضل فيها رأى ذى الرأى وحكمة الحكيم ثم لاسلطن عليهم جبارا قاسيا عاتيا ألبسه الهيبة وانزع من صدره الرأفة والرحمة والليان.. "[1].

وعبر أرميا النبي عن حزنه العميق على ما رآه بروح النبؤة مما سوف يصيب شعبه من الشقاء نتيجة لخطاياهم، فصلى قائلاً:

".. ملعون اليوم الذي ولدت فيه اليوم الذي ولدتني فيه امي لا يكن مباركا. ملعون الإنسان الذي بشر ابي قائلا قد ولد لك ابن مفرحا اياه فرحا.. لماذا خرجت من الرحم لارى تعبا وحزنا فتفنى بالخزي أيامي " (ار20: 11- 18).

واشار الطبري إلى نبؤة أرميا بالخضوع للغرباء، وذكر صلاة أرميا وحزنه الشديد، والذي انتهى باعلان الرب له عن وقت انتهاء الغمة وعن الفرج بعد الكرب: " ثم أوحى الله عز وجل إلى أرميا انى مهلك بنى إسرائيل بيافث ويافث أهل بابل .. فلما سمع أرميا وحى ربه صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فقال ملعون يوم ولدت فيه .. فلما سمع الله عز وجل تضرع الخضر وبكاءه وكيف يقول ناداه يا أرميا أشق عليك ما أوحيت لك قال نعم يا رب أهلكني قبل ان أرى في بنى إسرائيل مالا أسر به فقال الله تعالى وعزتي وجلالى لا أهلك بيت المقدس وبنى إسرائيل حتى يكون الامر من قبلك .. ثم انهم لبثوا بعد هذا الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتماديا في الشر" [2].

ونسب إليه الطبري[3] وابن الاثير ايضاً قصة موته وموت حماره ثم اعادة الحياة له بعد مائة عام وهي لم ترد في سفره، ولا في أخبار الملوك. وقصة بعثه وحماره تذكرنا بما ورد في سفر حزقيال النبي حين قامت عظام الاموات وكسيت العظام لحما وعصبا وجلدا وقامت الأبدان تسعى، وهو ما اوردناه في ترجمة حزقيال النبي.

---

1) الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ391،390 .

2) الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ391، 392.

3) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 204.& الطبري، تاريخ الامم، جـ1، صـ394، 395.

دانيال النبي وملوك بابل:

أُخذ دانيال إلى بابل في السبي الأول. ووقع اختيار أشفَنَر رئيس الحاشية الملكية على دانيال والفتية الثلاثة حننيا وعزريا وميشائيل لينضموا الى حاشية الملك. وعند انتهاء فترة الاعداد والتدريب، وقفوا جميعا أمام الملك. واعطاهم الله حكمة في القول والفعل والتدبير لحفظهم وصاياه. وظل دانيال في السبي ما بقي من الحقبة الكلدانية وحتى العام الأول لكورش الملك الفارسي (دا1).

وفي السنة الثانية من ملكه رأى ملك بابل رؤيا الهية فاستدعى السحرة والعرافين ليكشوا له سر ما رأى. ولكنهم عجزوا عن فهم ما يفوق عقولهم. فكلف الملك خادمه اريوخ ان يبيد كل حكماء بابل بما فيهم دانيال النبي ورفاقه الثلاثة الأبرار. ولكن دانيال وجد شُفعة لدى الملك ان يمهله الوقت حتى يتبين له تعبير الحلم ومراده. وراح يصلي هو واصحابه ان يلهمهم الرب بمعنى الحلمِ وينقذهم من تلك الورطة. وان يتمجد في قديسيه. وفي رؤيا الليلِ كشف له العليمُ السرَ المكنونَ. " فبارك دانيال اله السماوات .. وقال ليكن إسم الله مباركا من الازل والى الأبد لان له الحكمة والجبروت. وهو يغير الاوقات والأزمنة يعزل ملوكا وينصب ملوكا يعطي الحكماء حكمة ويعلم العارفين فهما.."(دا2).

حينذ أدخَل أريوخ دانيال إلى مولاه فكشف له السرَ وانقذ حكماءَ بابلِ من موتِ كاد ان يكون محققا. وعَظَّم الملكُ دانيال وقربه منه. ولكنه لم يتعظ من كل ذلك وظل على ولائه للاصنام. وذات يوم عمل الملك تمثالا من الذهب لمعبوه ونصبه في دورا ببابل. وخص الناس بالسجود له؛ فلبى الجميع النداء الا الفتية الثلاثة الذين أبوا إلا السجودَ للهِ الواحدِ ربُ السمواتِ والأرض. فأمر الملك برميهم في أتون محميً فلم تصبهم النار بأذى، بل صارت لهم كالنسيم العليل. ورآهم الملك كمن يتنزهون في حدائقه المعلقة، فاندهش وتحير ونادى الفتية للخروج من الأتون، وبارك الههم واكرمهم[1].

---

1) " تقدم حينئذ رجال كلدانيون واشتكوا على اليهود. اجابوا وقالوا للملك نبوخذنصر.. هؤلاء الرجال لم يجعلوا لك أيها الملك اعتبارا. آلهتك لا يعبدون ولتمثال الذهب الذي نصبت لا يسجدون ... حينئذ امتلا نبوخذنصر غيظا .. وامر جبابرة القوة في جيشه بأن يوثقوا شدرخ وميشخ وعبد نغو ويلقوهم في اتون النار المتقدة ... فكانوا يتمشون في وسط اللهيب مسبحين الله ومباركين الرب... انا نتبعك الآن بكل قلوبنا ونتقيك ونبتغي وجهك... وليعلموا انك انت الرب الإله وحدك

وفي الكامل خلط ابن الأثير بين قصة القاء دانيال في الجب وقصة القاء الفتية في اتون النار وصاغ القصتين في قصة واحد هذا نصها: " فلما عبّر دانيال ومن معه رؤيا بخت نصّر قرّبهم وادناهم واستشارهم في أمره، فحسدهم أصحابه وسعوا بهم إليه وقالوا عنهم ما أوحشه منهم، فأمر، فحفر لهم أخدود والقاهم فيه، وهم ستّة رجال، والقى معهم سبعاً ضارياً ليأكلهم، ثم قال أصحاب بخت نصّر: انطلقوا فلنأكل ولنشرب، فذهبوا فأكلوا وشربوا، ثمّ راحوا فوجدوهم جلوساً والسبع مفترش ذراعيه بينهم لم يخدش منهم أحداً، ووجدوا معهم رجلاً سابعاً، فخرج إليهم السابع، وكان ملكاً من الملائكة، فلطم بخت نصّر لطمةً فمسخه وصار في الوحش في صورة أسد، وهو مع ذلك يعقل ما يعقله الإنسان، ثم رده الله إلى صورة الإنس واعاد عليه ملكه، فلما عاد الي ملكه كان دانيال واصحابه أكرم الناس عليه"[1].

حلم التمثال وتفسيره:

" رأى نبوخذ نصر – فى رؤى الليل– تمثالاً عظيماً رأسه من ذهب، وصدره وذراعاه من فضة، وبطنه وفخداه من نحاس، وساقاه من حديد، وقدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف، ثم قُطع حجر بغير يد فضرب التمثال على قدميه فانسحق الحديد، والخزف، والنحاس، والفضة، والذهب معاً، وصارت كعصافة البيدر فى الصيف فحملتها الريح، أما الحجر الذى ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً، وملأ الأرض كلها" (دا 2: 31–36).

فاستدعى نبوخذ نصر دانيال النبي (بلطشاصر) وعرض عليه رؤياه ليفسرها له. فانبأه دانيال ان هذا التمثال يشير إلى مملكة بابل والى الممالك الأخرى التى سوف تعقبها : رأس التمثال يعني به مملكة بابل. وصدره وذراعاه يرمزون الى مملكتي مادي وفارس. وبطنه وفخذاه يرمزون الى مملكة الإسكندر المقدوني. وساقاه يرمزان الى الإمبراطورية الرومانية. والقدمان يشيران الى دويلات وممالك متفاوتة فى القوة والمجد. واما الحجر فهو يرمز إلى مملكة المسيح الروحية.

المجيد في كل المسكونة .. فنزل ملاك الرب إلى داخل الاتون وطرد لهيب النار عن الاتون. وجعل وسط الاتون ريحا ذات ندى تهب .. فاجاب نبوخذنصر وقال تبارك اله شدرخ وميشخ وعبد نغو الذي ارسل ملاكه وانقذ عبيده الذين اتكلوا عليه.. "(دا 3: 28– 30).

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 203، 204.& الطبري، جـ1، صـ 421.

وذكر الطبري[1] حلم نبوخذ نصر وتفسير دانيال لتلك الرؤيا الربانية، والتي شهد التاريخ تحققها، وقد جاءت روايته متضمنة للعناصر الاساسية لما ورد بسفر دانيال، الا ان صياغته لها جاءت مختلفة، قال ان بخت نصّر رأى رؤيا، فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل وقال لهم ان يخبروه بما رأى فذهبوا للصلاة والتضرع ثم عادوا اليه وقالوا له: " رأيت تمثالاً، قال: صدقتم، قالوا: قدماه وساقاه من فخّار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضّة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد، فبينما انت تنظر إليه قد أعجبك أرسل الله عليه صخرة من السماء فدقّته، وهي التي انستك الرؤيا قال: صدقتم، فما تأويلها؟ قالوا: أُرِيتَ مُلكَ الملوك، وبعضهم كان ألين مُلكاً من بعض، وبعضهم كان أحسن مُلكاً من بعض، وبعضهم أشدّ، وكان أوّل المُلك الفخّار، وهو أضعفه والينه، ثمّ كان فوقه النحاس، وهو أفضل منه واشدّ، ثمّ كان فوق النحاس الفضّة، وهي أفضل من ذلك واحسن، ثمّ كان فوقها الذهب، وهو أحسن من الفضّة وافضل، ثمّ كان الحديد، وهو ملكك، فهو أشد الملوك واعزّ، وكانت الصخرة التي رأيت قد أرسل الله من السماء فدقّت ذلك جميعه نبيّاً يبعثه الله من السماء ويصير الأمر إليه "[2].

وورد في سفر دانيال النبي خبر رؤيا اخرى رآها ملك بابل لان الكبرياء أخذته فاذهب الله عنه رشده لبعض الوقت فبات يأكل العشب مثل الحيوانات، ثم اعاده اليه حتى يعرف ان الملك لله وحده. وهو يعطيه لمن يشاء وينزعه عمن يشاء فيكون ذلك عبرة له ولغيره، فمن يعتبر ؟!

قال دانيال للملك: الشجرة التي رأيتها التي كبرت وقويت وبلغ علوها إلى السماء .. إنما هي انت يا أيها الملك الذي كبرت وتقويت وعظمتك قد زادت وبلغت إلى السماء وسلطانك إلى اقصى الأرض. وحيث راى الملك ساهرا وقدوسا نزل من السماء وقال اقطعوا الشجرة واهلكوها ولكن اتركوا ساق اصلها في الأرض .. فهذا هو التعبير أيها الملك وهذا هو قضاء العلي الذي يأتي على سيدي الملك. يطردونك من بين الناس وتكون سكناك مع حيوان البر ويطعمونك العشب كالثيران ويبلونك بندى السماء فتمضي عليك سبعة أزمنة حتى تعلم ان العلي متسلط في مملكة الناس ويعطيها من يشاء. وحيث امروا بترك ساق اصول الشجرة فان مملكتك تثبت لك عندما تعلم ان السماء سلطان... وعند انتهاء الأيام انا نبوخذنصر رفعت عيني إلى

---

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ394.

2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 201، 202.

السماء فرجع الي عقلي وباركت العلي وسبحت وحمدت الحي إلى الأبد الذي سلطانه سلطان ابدي وملكوته إلى دور فدور. وحسبت جميع سكان الأرض كلا شيء وهو يفعل كما يشاء في جند السماء وسكان الأرض ولا يوجد من يمنع يده او يقول له ماذا تفعل... " (دا 4).

وبينما يخبرنا دانيال النبي ان ملك بابل تاب الى الله؛ الا ان الطبري[1] قال ان الله اهلكه بأن سلط عليه بعوضة نفذت الى رأسه عبر انفه. وهي نفس الوسيلة التي اهلك بها الله نمرود على ما قاله الطبري عند ذكر ترجمة ابراهيم.

خلفاء قورش

بعد موت كورش تخلص قمبير من أخيه سمرديس فخلا له العرش. وبعد موته احتدم النزاع بين ابناء الاسرة الحاكمة، فاستقلت بعض الولايات مثل بابل، واشور، وميديا. ولكن لما صعد دارا الاول على عرش المملكة فانه قام باستردادها بالقوة. ثم تولى احشويروش الأول الحكم. وهو الذي اقترن باستير ابنة ابيجايل. وبعد موته خلفه على التوالي كل من ارتحشتا الأول، واحشويروش الثانى، وسجديانوس، ودارا الثانى، وارتحشتا الثالث، وارسيس، واخيرا دارا الثالث وهو الذى دخل فى حرب ضد الإسكندر فتلقى الهزيمة ثم قتل على يد احد رجاله. وبذلك تكون قد زالت مملكة مادى وفارس، أى صدر التمثال وذراعاه، لتحل محلها مملكة الإسكندر المقدوني والتى يشير إليها بطن التمثال وفخذاه (دا2).

وذكر المؤرخون قصة استير[2] كما وردت في كتابها، فقال الطبري: " .. فولى بهمن اخشويرش.. واوطن بابل واكثر المقام بالسوس وتزوج من سبى بنى إسرائيل

---

1)" .. فبعث الله بقدرته ليريه ضعفه وهو انه (اتت)عليه بعوضة فدخلت في منخره ثم ساخت في دماغه حتى عضت بأم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أم دماغه فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله إذا مت فشقوا رأسي فانظروا ما هذا الذى قتلني فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة بأم دماغه ليرى الله العباد قدرته وسلطانه ".- الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ396.

2) " .. وحدث في أيام احشويروش هو احشويروش الذي ملك من الهند إلى كوش على مئة وسبع وعشرين كورة. انه في تلك الأيام حين جلس الملك احشويروش على كرسي ملكه الذي في شوشن القصر. في السنة الثالثة من ملكه عمل وليمة لجميع رؤسائه وعبيده جيش فارس ومادي ... في

إمرأة يقال لها اشتر(استير) إبنه أبى جاويل(ابي جايل) كان رباها ابن عم لها يقال له مردخى(مردخاي) وكان أخاها من الرضاعة لان أم مردخى أرضعت اشتر وكان السبب في تزوجه إياها قتله إمرأة كانت له جليلة جميلة خطيرة يقال لها وشتا فأمرها بالبروز ليراها الناس ليعرفوا جلالتها وجمالها فامتنعت من ذلك فقتلها فلما قتلها جزع لقتلها جزعا شديدا فأشير عليه باعتراض نساء العالم ففعل ذلك وحببت إليه اشتر صنعا لبنى إسرائيل فتزعم النصارى أنها ولدت له عند مسيره إلى بابل ابنا فسماه كيرش وان ملك اخشويرش كان أربع عشرة سنة وقد علمه مردخى التوراة ودخل في دين بنى إسرائيل وفهم عن دانيال النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه حينئذ مثل حننيا وميشايل وعازريا فسألوه بأن يأذن لهم في الخروج إلى بيت المقدس فأبى وقال لو كان معى منكم ألف نبى ما فارقني منكم واحد مادمت حيا وولى دانيال القضاء وجعل إليه جميع أمره وامره ان يخرج كل شئ في الخزائن مما كان بختنصر أخذه من بيت المقدس ويرده وتقدم في بناء بيت المقدس فبنى وعمر في أيام كيرش بن اخشويرش.. "[1].

وجاءت اقواله متفقة مع سفر استير؛ ولكنه اضاف اشياء لم ترد في الاصل الكتابي، كقوله بان احشويروش انجب من استير ولدا اسماه كورش. ثم نسب اليه ما قام به مؤسس دولة الفرس – كورش ابن قمبيز الاول وابو قمبيز الثاني – من انه اصدر الامر برجوع المسبيين من مملكة يهوذا الذين سباهم نبوخذنصر، وباعادة نفائس الهيكل. كما انه ذكر دانيال النبي والفتية الثلاثة وهؤلاء لم يمتد بهم العمر الى عهد احشويرش.

اليوم السابع لما طاب قلب الملك بالخمر قال لمهومان وبزثا وحربونا وبغثا وابغثا وزيثار وكركس الخصيان السبعة الذين كانوا يخدمون بين يدي الملك احشويروش. ان ياتوا بوشتي الملكة إلى امام الملك بتاج الملك ليري الشعوب والرؤساء جمالها لأنها كانت حسنة المنظر. فابت الملكة وشتي ان تأتي حسب امر الملك عن يد الخصيان فاغتاظ الملك جداً واشتعل غضبه فيه .. فقال غلمان الملك الذين يخدمونه ليطلب للملك فتيات عذارى حسنات المنظر.. والفتاة التي تحسن في عيني الملك فلتملك مكان وشتي فحسن الكلام في عيني الملك فعمل هكذا. كان في شوشن القصر رجل يهودي إسمه مردخاي ابن يائير بن شمعي بن قيس رجل يميني .. فاحب الملك استير اكثر من جميع النساء ووجدت نعمة واحسانا قدامه اكثر من جميع العذارى فوضع تاج الملك على راسها وملكها مكان وشتي.... " (اس1، 2).

1) الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ386، 387.

العودة من السبى:

فى عام 538 ق.م أصدر كورش الملك أمره بعودة بنى إسرائيل الذين كانوا فى بابل منذ تم سبيهم قبل سبعين عاماً إتماماً لنبوؤة أرميا النبى (25: 12)، كما انه امر باعادة بناء الهيكل على نفقته، وباعادة متعلقاته الذهبية والفضية التي اخذها ملك بابل بعد ان آلت الى الفرس (عز1،5).

وذكر ابو الفدا ان كورش هو من اذن للمسبيين بالعودة لديارهم وبناء مدينتهم وبيت الههم، قال: " وازدشير بهمن المذكور، إسمه بالعبرانية كورش، ويقال كيرش، وهو الذي أمر بعمارة بيت المقدس بعد ان خربه بخت نصر، فعمره أزدشير وامر بني إسرائيل بالرجوع إليه، ولا دليل على ان أزدشير المذكور هو كورش أقوى من كلام أشعيا النبي عليه السلام، فانه يقول في الفصل الثاني والعشرين من كتابه، حكاية عن الله تعالى انا القائل لكورش: ... هكذا قال الرب لمسيحه كورش، الذي أخذ بيمينه لتدبير الأمم وتحنى لك ظهور الملوك سائراً، تفتح الأبواب أمامه فلا تغلق، واسير انا قدامك، واسهل لك الوعور، واكسر أبواب النحاس، واحبوك بالذخائر التي في الظلمات .." [1] . وجاء ذلك موافقاً لما قاله اشعياء النبي في سفره[2].

ونعلم من هيرودوت ومن غيره[3] ان الميديين والفرس كانوا شعبين مختلفين وان الفرس كانوا يخضعون للميديين ثم قام قورش، قام بتوحيد المملكتين بعد موت جده ووريثه سياخار الثانى[4].

وفور عودة المسبيين، قام زروبابل بن شالتئيل ويشوع بن يوصاداق ببناء مذبح للرب لتقديم الأضاحى (عز3). وتوقفت اعمال التشييد والاصلاح الى ان اكملت على يد عزرا ونحميا في عهد أرتحششتا ملك فارس. (عز7، 8، نح 6).

---

1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 1، صـ 64 ، 65.

2) هكذا يقول الرب فاديك وجابلك من البطن انا الرب صانع كل شيء ناشر السماوات وحدي باسط الارض من معي.. مقيم كلمة عبده ومتتم راي رسله .. هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي امسكت بيمينه لادوس امامه امما واحقاء ملوك احل لافتح امامه المصراعين والابواب لا تغلق. انا اسير قدامك والهضاب امهد. اكسر مصراعي النحاس ومغاليق الحديد اقصف. واعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابئ لكي تعرف اني انا الرب الذي يدعوك باسمك " (اش 44، 45).

3) جيمس هنري برستيد، تاريخ الشرق القديم صـ 263. & جون أ. هامرتين – تاريخ العالم.

discours sur l'histoire universelle P. 30. –Bossuet4)

وروى المؤرخون[1] ذلك، وجاءت اخبارهم متفقة في الكثير مع ما ورد في الاسفار: ".. ولما عادت عمارة بيت المقدس، تراجعت إليه بنو إسرائيل من العراق وغيره، وكانت عمارته في أول سنة سبعين لإبتداء ولاية بخت نصر. ولما تراجعت بنو إسرائيل إلى القدس كان من جملتهم عزير وكان بالعراق.. وكانت التوراة قد عدمت منهم إذ ذاك، فمثلها الله تعالى في صدر العزير، ووضعها لبني إسرائيل يعرفونها بحلالها وحرامها، فأحبوه حباً شديداً، واصلح العزير أمرهم .. واسم العزير بالعبرانية عزرا .. " [2].

وظل اليهود ينعمون بالحرية الدينية قرابة قرنين من الزمان فى ظل الحكم الفارسى. ثم خضعوا للإسكندر وخلفائه لنحو ثلاثة قرون. ثم للرمان، وظلوا تحت الحكم الرومانى حتى تم حصار أورشليم والتدمير الأخير الذى لحقها نحو عام 70م على يد تيطس القائد الرومانى. وفي ذلك قال ابو الفدا وغيره:

" ان بني إسرائيل لما تراجعوا إلى القدس بعد عمارته. صار لهم حكام منهم، وكانوا تحت حكم ملوك الفرس، واستمروا كذلك حتى ظهر الإسكندر.. ودخلت حينئذ بنو إسرائيل تحت حكم اليونان، واقام اليونان من بني إسرائيل ولاة عليهم، وكان يقال للمتولي عليهم هرذوس(هيرودس)، وقيل هيروذس، واستمر بنو إسرائيل على ذلك حتى خرب بيت المقدس الخراب الثاني، وتشتت منه بنو إسرائيل "[3].

1) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 205. & الطبري، تاريخ الامم، جـ1، صـ396، 397.
2) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ50، 51.
3) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ51. & ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 212.& الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ 407.

ما بين العهدين

بعد مصرع فيليب الثانى ملك مقدونيا، واصل ابنه الحرب لتحرير المدن اليونانية من سيطرة الفرس. وتمكن الإسكندر[1] من هزيمة داريوس الثالث في عدة جولات حربية انتهت بمصرع الاخير بيد احد رجاله.

وكان دانيال النبي قد تنبأ عن مملكة الاسكندر:

" وبينما كنت متأملاً. إذا بتيس من المعز جاء من المغرب على وجه كل الأرض، ولم يمس الأرض. وللتيس قرن معتبر بين عينيه، وجاء إلى الكبش صاحب القرنين الذى رأيته واقفاً عند النهر ورقض إليه بشدة قوته. وقد وصل إلى جانب الكبش، فاستشاط عليه وضرب الكبش وكسر قرنيه ... فتعظم تيس الماعز جداً ولما اعتز انكسر القرن العظيم وطلع عوضاً عنه أربعة قرون معتبرة نحو رياح السماء الأربع .. واما الكبش الذى رأيته ذا القرنين فهو ملوك مادى وفارس، والتيس العافى ملك اليونان، والقرن العظيم الذى بين عينيه هو الملك الأول " (دا 8).

وذكر ابو الفداء[2] اخبار الاسكندر والتي جاءت متفقة في الكثير مع ما قاله القدماء وشهود العيان. واختلفت أخبارهم في القليل مثل اطالة عمره ثلاث سنوات ليبلغ

---

1) اخذت أخبار الاسكندر – الى جانب القليل الذي ورد في أسفار دانيال وذكريا والمكابيين – عن المؤرخين: اريان (ولدعام 105 ق.م.) وبلوتارخوس (ولد عام 48 ق.م.) وعن ديودور الصقلي الذي عاش في القرن الاول قبل المسيح وعن يوستينوس الذي عاش في القرن الثاني للميلاد وعنهم اخذ رولان وفكتور دورس وغيرهما.

2) " كان أبوه أحد ملوك اليونان، وكانوا طوائف، فلما مَلك الإسكندر غزاهم واجتمع له ملكهم، ثم غزا دارا ملك الفرس وقتله، ثم غزا الهند، وتناول أطراف الصين، ثم انصرف الإسكندر يريد الإسكندرية وهو الذي بناها، فهلك في ناحية السواد وقيل بشهرزور وكان عصره ستاً وثلاثين سنة، فحمل في تابوت ذهب إلى أمه، وكان ملكه نحو ثلاث عشرة سنة. واجتمع بعد ذلك ملك الروم وكان متفرقاً، وافترق مُلْكُ فارس وكان مجتمعاً، وكان مرض الإسكندر الذي مات به الخوانيق، وقيل اغتيل بالسم. وهذا الإسكندر هو صاحب أرسطاطاليس وتلميذه وارسطو الذي أشار عليه بعدم قتل الفرس، وإن يولي أكابرهم، ومن يصلح للملك كل واحد برأسه مملكة، ليحصل بينهم التباغض والتشاحن ولا يجتمعوا على أحد، فقبل الإسكندر ذلك منه، وولاهم فصار منهم ملوك الطوائف"– ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 1، صـ 66.

السادسة والثلاثين. كما انهم جعلوا مدة حكمه ما بين ثلاثة عشر وستة عشر[1] سنة بدلا من إثنتي عشرة سنة. وذكروا ارسطو وارسطوطاليس وهما اسمان لشخص واحد، هو ارسطو الشهير الذي ولد في اثينا سنة 384.ق.م وكان تلميذا لافلاطون الذي تتلمذ بدوره على يد سقراط. وسقراط جاء بعد طاليس مؤسس المدرسة الايونية في شرق البلقان. وقد مات في عام 546.

وعرج الاسكندر إلى اليهودية، وخرج رئيس الاحبار للقائه وبصحبته جمع من الكهنة والوجهاء[2]. واخبره الحبر الاعظم بنبؤة دانيال عنه مما اسلج قلب الاسكندر. ثم اصطحبه إلى الهيكل حيث قدم فروض الطاعة والهدايا. وذكر أبو الفداء خبر اكرامه لليهود بقوله: " ومر الإسكندر في طريقه على بيت المقدس، واكرم بني إسرائيل، ثم سار إلى بلاد فارس واستولى على مُلك الفرس، وقتل دارا "[3]

وواصل الاسكندر فتوحاته شرقا حتى بلغت إثنتين وعشرين ولاية[4]. ثم عاد الى بابل حيث مات سنة 333 ق.م. ثم تفككت امبراطوريته وقامت على انقاضها اربع ممالك. كما انبأ دانيال (دا 8: 22). وكان على رأس كل منها قائد: بطليموس فى مصر، وسيلوقس فى بابل، وانتيجونس فى آسيا الصغرى، وانتيباتر فى مقدونيا.

وعن موت الاسكندر قال سفر المكابيين الأول: " وبعد ذلك انطرح (الاسكندر) على فراشه واحس فى نفسه بالموت فدعا عبيده الكبراء الذين نشأوا معه منذ الصبا؛ فقسم مملكته بينهم فى حياته. وكان مُلك الاسكندر إثنتى عشرة سنة ومات فتملك عبيده كل واحد فى مكانه ولبس كل منهم التاج بعد وفاته" (1 مك1). واختلف المؤرخون في أسباب موته ما بين الحمى والسم. وقال ابن بطريق[5] بأن السم كان

---

1) " وكان ملك الاسكندر ست عشرة سنة وجميع ما عاش الاسكندر اثنتان وثلثون سنة "– سعيد بن بطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت 1905، صـ85.

2) المطران يوسف الدبس، تاريخ سوريا، الجزء الثاني، المجلد الثالث، بيروت 1898، صـ 65.

3) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 1، صـ 66.

4) جون أ. هامرتين، تاريخ العالم، صـ 421.

5) " فلما اخذ فيه الشراب خلط الساقي من ذلك السم في كأس الملك ثم ناوله اياها فلم يلبث حين شربه الى ان احس بالموت فامر باحضار كاتبه فاملى عليه كتابا الى امه " – سعيد بن بطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت 1905، صـ 81، 82.

السبب الظاهر لموت الاسكندر. وقال ابن الأثير[1] انه مات بالعراق ودفن بالاسكندرية.

وبعد موته اشترك في حكم الامبراطورية ابنه من روكسانا زوجته الفارسية واخوه غير الشقيق اريداوس من عام 323 الى عام 305 ق.م. وكان برديكاس هو الحاكم الفعلى فى الامبراطورية نظراً لاختلال عقل اريداوس، ولحداثة سن ابن الاسكندر. وبعد سلسلة من الاغتيالات زالت عائلة الاسكندر، واعلن القادة استقلالهم بالولايات التى كانوا حكاماً عليها. وتوج كل منهم ملكاً على ولايته وتم بالفعل تقسيم الامبراطورية بين كبار القادة كما قال دانيال النبى: ".. تنكسر مملكته وتنقسم إلى رياح السماء الأربع، ولا لعقبه..لان مملكته تنقرض وتكون لآخرين غير أولئك" (دا:11: 3)

كما ذكروا من ال إليه الملك بعد الاسكندر في ولاية مصر[2]. وضنت اقلامهم عن ذكر تفاصيل تلك الحقبة، وما تلاها من السيادة الرومانية. كما اعرضوا عن ذكر أخبار ال سليوقوس في بابل واكتفوا بالاشارة [3] الى اسماء بعضهم ممن جاءت اخبارهم في اسفار المكابيين ودانيال وذكريا.

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 218، 219.

2)" لما مات الاسكندر عُرض الملك على إبنه الإسكندروس، فأبى واختار العبادة، فملكت اليونان فيما قيل بطلميوس بن لاغوس .. – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 223.

3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 224، 225.

الفصل الثالث عشر

انبياء من العهد القديم

1- ايوب

يُستهل السفر بذكر موطن ايوب والاشادة بتقواه وذكر ابنائه السبعة وبناته الثلاث. ولكنه لم يذكر لنا نسبه، بل الكتفى بالقول انه من ارض عوص. وقد ورد إسم عوص في العهد القديم مشيرا إلى عدد متباين من الافراد الذين كونوا عشائر وهم عوص ابن ارام(تك10: 23)، وعوص ابن ديشان ابن سعير(تك36: 28، 1أخبار 1:42) وعوص ابن ناحور اخي إبراهيم(تك22:21). ونفهم مما ورد في(مرا 4: 21) ان ارض عوص تقع في بلاد ادوم ومن(ار25: 20) أنها مجاورة لفلسطين.

وربما للتشابه اللفظي بين(عوص) و(العيص) وهو النطق الشائع عند المؤرخين العرب لـ(عيسو) فقد ذكر أبو الفدا ان ايوب ينتسب إليه:

" وهو رجل عده المؤرخون من أمة الروم، لأنه من ولد العيص وهو أيوب بن موص بن رازح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل " [1].

ولم يرد في نسب عيسو التوراتي احد يدعى(موص) كما ان رازح(زارح) الوارد هنا هو ابن رعوئيل ابن عيسو فهو هنا حفيده وليس إبنه، ورعوئيل يرد في تاريخ الطبري(رغويل) وفي تاريخ ابن الأثير(رعويل). كما ان الادوميين سكنوا جبل سعير قبل مجئ عيسو إليه وسكناه فيه. ولذلك فلا يخرج ايوب عن بني ادوم وبني سعير.

وذكر السفر ما كان يتمتع به ايوب من ثراء بمقاييس ذلك العصر " وكانت مواشيه سبعة الاف من الغنم وثلاثة الاف جمل وخمس مئة فدان بقر وخمس مئة اتان وخدمه كثيرين جداً فكان هذا الرجل اعظم كل بني المشرق "(اي1: 3). وافاض الطبري في الحديث عن غناه ولكن على طريقته الخاصة، فذكر الارقام والاعداد لا تضني، قال: " وكان لايوب البثنية من الشام كلها بما فيها بين شرقها وغربها وكان له بها ألف شاة برعاتها وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد إمرأة وولد

---

1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ31.

ومال ويحمل آلة كل فدان أتان لكل أتان ولد بين إثنين وثلاثة واربعة وخمسة وفوق ذلك "[1].

ثم يدخل بنا السفر الى بدء معاناة ايوب، وتسلط الشيطان على ممتلكاته وولده، مشيرا الى صبره وقوة ايمانه بالله والتسليم الكامل لارادته والرضى بقضائه. فقد جاءته اخبار الشر التي حاقت بكل ما له فهجم السبأيون على الغلمان والبقر والاتن، ونزلت نار من السماء اكلت الغنم ورعاتها. وضرب الكلدان رعاة الابل واخذوها. وسقط البيت على ابنائه وبناته ولم ينج منهم احدا (اي1: 13).

وعن تسط الشيطان على مال ايوب وولده قال ابن الأثير:

" وكان من حديثه وسبب بلائه ان إبليس سمع تجاوب الملائكة بالصلاة على أيّوب حين ذكره الله فحسده وسأل الله ان يسلّطه عليه ليفتنه عن دينه، فسّلطه على ماله حسب، فجمع إبليس عظماء أصحابه من العفاريت .. فلمّا جمعهم إبليس قال: ما عندكم من القوّة والمعرفة فاني قد تسلطت على مال أيوب، فقال كل منهم قولاً، فأرسلهم فأهلكوا ماله كله وايوب يحمد الله ولا يرجع عن الجدّ في عبادته والشكر له على ما أعطاه والصبر على ما ابتلاه "[2].

وعن اهلاك إبليس لابناء ايوب يقول الطبري:

" فلما رأى ذلك من أمره إبليس لعنه الله سال الله تعالى ان يسلطه على ولده فسلطه عليهم ولم يجعل له سلطانا على جسده وقلبه وعقله فأهلك ولده كلهم [3].

وعلمنا من سفره ان الشيطان تسلط على بدنه " وضرب ايوب بقرح رديء من باطن قدمه إلى هامته "(اي2: 7). وهو ما أشار إليه الطبري، كما ذكره كل من ابن الأثير وابو الفدا في كتبهم[4]. وذكر السفر موقف زوجة ايوب، وما ابدته من تذمر

---

1) الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ 226.

2) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 98 & الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ 226.

3) الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ 226 & ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 98.

4) " سأل الله عز وجل إبليس ان يسلطه على جسده فسلطه على جسده خلا لسانه وقلبه وعقله فانه لم يجعل له على ذلك منه سلطانا فجاء وهو ساجد فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده فسار من جملة أمره إلى ان انتن جسده .." – الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ 226.& ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 98،99.& ابو الفدا، المختصر، صـ31.

على تجربة الله، وثبات ايوب على ايمانه ورضاه بما ابتلاه[1]. ولم يفت ابن الأثير نقل ما قالته المرأة لبعلها بعد المصائب الكثيرة التي حلت بهما؛ ولكن جاء كلامها على لسانه مختلفا بعض الشيئ، قال: " فلما ابتلاه الله واشتد عليه البلاء قالت له امرأته: انك رجل مجاب الدعوة فادع الله ان يشفيك، فقال: كنّا في النعماء سبعين سنة فلنصبر في البلاء سبعين سنة، والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة "[2].

وذكر السفر اصدقاء أيوب: اليفاز التيماني وبلدد الشوحي وصوفر النعماتي، وقد جاءوا لمواسته على بلواه وبكوا ومزق كل واحد جبته وذروا ترابا فوق رؤوسهم نحو السماء. وقعدوا معه على الأرض سبعة أيام وسبع ليال "(اي 2).

واشار المؤرخون إليهم، وذكروا اسماءهم كما وردت في سفر ايوب مع اختلاف النطق لاختلاف اللسان: " وكان قد اتبعه ثلاثة نفر على دينه فلما رأوا ما نزل به من البلاء رفضوه واتهموه من غير ان يتركوا دينه يقال لاحدهم بلدد وللآخر اليفز وللثالث صافر فانطلقوا إليه وهو في بلائه فبكتوه "[3].

وورد في سفر ايوب ان اصدقاءه انقلبوا من معزين الى مؤبخين متحاملين على الرجل ناسبين اليه الشر، فقال اليفاز:" .. اليس شرك عظيما واثامك لا نهاية لها... "(اي22). وقال بلدد: .. هل الله يعوج القضاء او القدير يعكس الحق. اذ اخطا إليه بنوك دفعهم إلى يد معصيتهم " (اي8). وقال صوفر: " .. ان ابعدت الاثم الذي في يدك ولا يسكن الظلم في خيمتك. حينئذ ترفع وجهك بلا عيب وتكون ثابتا ولا تخاف " (اي11).

ورد أيوب على اصدقائه متهما اياهم بالتحامل عليه وانهم بدلا من يعزوه فقد اعبوه بكلامهم، وقال لهم " معزون متعبون كلكم " (اي16). وشرع يدافع عن نفسه (اي5). وذكر ابن الأثير الامر مشيرا إلى العتاب المتبادل بين ايوب واصدقائه، قال: " .. فانطلقوا إليه وهو في البلاء فبكّتوه أشدّ تبكيت وقالوا له: لقد أذنبت ذنباً ما أذنبه

---

1) " فقالت له امراته انت متمسك بعد بكمالك بارك الله ومت. فقال لها تتكلمين كلاما كاحدى الجاهلات االخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل "(اي 2: 9، 10).

2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 99.

3) الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ 227.

أحد، فلهذا لم يكشف العذاب عنك، وطال الجدال بينهم وبينه .. فانتم أشدّ عليَّ من مصيبتي[1].

وفي محنته توجه ايوب إلى نفسه يروم فراقها للبدن متمنيا لو انه لم يولد:

" ليته هلك اليوم الذي ولدت فيه .. ليكن ذلك اليوم ظلاما لا يعتن به الله من فوق ولا يشرق عليه نهار... "(اي3). وقال ايضا: " ليت كربي وزن ومصيبتي رفعت في الموازين جميعها. لأنها الآن اثقل من رمل البحر من اجل ذلك لغا كلامي.. يا ليت طلبتي تأتي ويعطيني الله رجائي.. ما هي قوتي حتى انتظر وما هي نهايتي حتى اصبر نفسي. هل قوتي قوة الحجارة هل لحمي نحاس "(اي6).

وكان يلتمس من الله ان يعيد اليه صحته ذاكرا قدرته التي نجلت في خلق الانسان: " اذكر انك جبلتني كالطين افتعيدني إلى التراب. الم تصبني كاللبن وخثرتني كالجبن. كسوتني جلدا ولحما فنسجتني بعظام وعصب. منحتني حياة ورحمة وحفظت عنايتك روحي "(اي10).

وروى ابن الأثير مناجاة ايوب لله بقوله:

" ربّ لأيّ شيء خلقتني ليتني ان كرهتني لم تخلقني، يا ليتني كنت حيصةً ملقاةً، ويا ليتني عرفت الذنب الذي أذنبت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتّني فالموت أجمل لي. ألم أكن للغريب داراً وللمسكين قراراً ولليتيم وليّاً وللأرملة قيّماً[2]؟ إلهي انا عبد ذليل ان أحسنت فالمنّ لك، وان أسأت فبيدك عقوبتي. جعلتني للبلاء عرضاً فقد وقع عليّ البلاء لو سلّطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي. ذهب المال فصرتُ أسأل بكفّي فيطعمني من كنتُ أعوله اللّقمة الواحدة فيمنّها عليّ ويعيّرني هلك أولادي، ولو بقي أحدهم أعانني، قد ملّني أهلي وعقّني أرحامي فتنكّرت معارفي، ورغب عني صديقي، وجحدت حقوقي، ونسيت صنائعي، أصرخ فلا يصرخونني، واعتذر فلا يعذرونني، دعوتُ غلامي فلم يجبني، وتضرّعت إلى أمتي فلم ترحمني، وان قضاءك هو الذي آذاني واقماني، وان سلطانك هو الذي

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 101.

2) لاني انقذت المسكين المستغيث واليتيم ولا معين له. بركة الهالك حلت علي وجعلت قلب الارملة يسر (اي 29: 12- 13).

أسقمني، فلو ان ربيّ نزع الهيبة التي في صدري واطلق لساني حتى أتكلّم ملء فمي .. "[1].

ثم يتوجه إلى الله متغنيا بعظائمه[2]. كما يشير إلى ثقته في خلاص الرب الذي سوف يجريه معه[3]. ثم يدعو الله ايوب ان يتشدد ويتشجع ويثق في قدرته: " اين كنت حين اسست الأرض أخبر ان كان عندك فهم.."(اي38). ويشير إلى قدرة الإنسان المحدودة في مقابل قدرة الله التي لا تحد: " هل انتهيت إلى ينابيع البحر او في مقصورة الغمر تمشيت. هل انكشفت لك أبواب الموت او عاينت أبواب ظل الموت. هل ادركت عرض الأرض أخبر ان عرفته كله. أين الطريق إلى حيث يسكن النور والظلمة أين مقامها... هل تربط انت عقد الثريا او تفك ربط الجبار. اتخرج المنازل في اوقاتها وتهدي النعش مع بناته. هل عرفت سنن السماوات او جعلت تسلطها على الأرض... "(اي 38).

ثم يجاوب ايوب الله، وهو ممتلئ خشوعا وتواضعا امام قداسة الله وعدله:

" ها انا حقير فماذا اجاوبك وضعت يدي على فمي. مرة تكلمت فلا اجيب ومرتين فلا ازيد.." (اي 40).

وذكر ابن الأثير خطاب الله لايوب، حين قال له:

" .. أين انت مني يوم خلقت الأرض؟ هل علمت بأيّ مقدار قدرتها؟ أين كنت معي يوم رفعت السماء سقفاً في الهواء لا بعلائق ولا بدعائم تحملها؟ هل تبلغ حكمتك ان تجري نورها أو تسيّر نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها؟ وذكر أشياء من مصنوعات الله. فقال أيوب: قصرت عن هذا الأمر ليت الأرض انشقت لي فذهبت فيها ولم أتكلّم بشيء يسخطك إلهي اجتمع عليّ البلاء وانا أعلم ان كلّ الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك لا يعجزك شيء ولا تخفى عليك خافية، تعلم ما تخفي القلوب، وقد علمت في بلائي ما لم أكن أعلمه، كنت إسمع بسطوتك سمعاً

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 101 ، 102.

2) " كنت اطلب إلى الله وعلى الله اجعل امري. الفاعل عظائم لا تفحص وعجائب لا تعد. المنزل مطرا على وجه الأرض والمرسل المياه على البراري. الجاعل المتواضعين في العلى"..(اي 5).

3) " طوبى لرجل يؤدبه الله فلا ترفض تاديب القدير. لأنه هو يجرح ويعصب يسحق ويداه تشفيان. في ست شدائد ينجيك وفي سبع لا يمسك سوء. في الجوع يفديك من الموت وفي الحرب من حد السيف" (اي 5: 17).

فأمّا الآن فهو نظر العين، إنما تكلّمت بما تكلّمت به لتعذرني، وسكتّ لترحمني، وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني والصقت بالتراب خديّ فدسستُ فيه وجهي فلا أعود لشيء تكرهه، [1].

وذكر السفر إلى بركات الرب التي انعم بها علي عبد الصابر أيوب:

" ورد الرب سبي ايوب لما صلى لاجل أصحابه وزاد الرب على كل ما كان لايوب ضعفا.. وبارك الرب اخرة ايوب اكثر من اولاه وكان له اربعة عشر الفاً من الغنم وستة الاف من الابل والف فدان من البقر والف اتان. وكان له سبعة بنين وثلاث بنات.. وعاش ايوب بعد هذا مئة واربعين سنة ورای بنيه وبني بنيه إلى اربعة اجيال "(اي 42).

وذكر ذلك ابو الفداء في تاريخه قال: " ثم ان الله تعالى عافى أيوب ورزقه، ورد إلى امرأته شبابها وحسنها، وولدت لأيوب ستة وعشرين ذكراً، ولما عوفي أيوب أمره الله تعالى ان يأخذ عرجوناً من التخل، فيه مائة شمراخ، فيضرب به زوجته ليبر في يمينه، ففعل ذلك. وكان أيوب نبياً في عهد يعقوب في قول بعضهم، وذكر ان أيوب عاش ثلاثاً وتسعين سنة "[2].

وذكر الوحي توبة أصحابه وتقدمتهم للقرابين وصلاة ايوب لاجلهم بناءا على امر الله لهم: " والآن فخذوا لانفسكم سبعة ثيران وسبعة كباش واذهبوا إلى عبدي ايوب واصعدوا محرقة لاجل انفسكم وعبدي ايوب يصلي من اجلكم "(اي42).

واشار ابن الأثير إلى توبتهم والى امر القرابين: " فقال الله: يا أيوب نفذ فيك حكمي وسبقت رحمتي غضبي، قد غفرت لك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وعبرة لأهل البلاء وعزاءً للصابرين .. وقرّب عن أصحابك قرباناً واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك" [3].

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 102.
2) ابو الفدا، المختصر، صـ31.& ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 100.
3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 103.

2- ايليا النبي

عاصر ايليا النبي الملك اخاب. وكان لاخاب زوجة وثنية استطاعت ان تستميله إلى مبادئ عقيدتها الوثنية، فآثر الاذعان لزوجته على طاعة الله. وتلبية لرغباتها ملأ الملك البلاد بالنصب والسواري. واقام معبدين فى السامرة: واحد لبعل، والآخر لعشتاروت. ولم تكتفى زوجته ايزابل بذلك بل أنها أخذ تكيل لأنبياء الله من العذاب صنوفا فإضطهدت ميخا ابن يمله، وايليا التشبي، لأنهما كانا لها بالمرصاد منذرين. فبعث الله ايليا إليه نبيا ونذيرا.

وذكر الطبري وابن الأثير ايليا النبي واخاب ملك إسرائيل:

" .. وكان إلياس مع ملك من ملوكهم يقال له أخاب وكان يسمع منه ويصدقه وكان إلياس يقيم له أمره، وكان بنو إسرائيل قد اتخذوا صنماً يعبدونه يقال له: بعل، فجعل إلياس يدعوهم إلى الله وهم لا يسمعون إلا من ذلك الملك "[1].

وحتى يتوب الناس ويرجعون إلى الله اذ اوحي إلى ايليا ان يبشر بانحباس المطر لعل الاثمة يتوبون والأبرار من الشعب يتزكون لذلك " قال ايليا التشبي من مستوطني جلعاد لاخاب حي هو الرب اله إسرائيل الذي وقفت امامه انه لا يكون طل لا مطر في هذه السنين الا عند قولي" (2مل17). وهذه القصة أيضاً لم تغب عن المؤرخين العرب فذكرها ابن الأثير[2] والطبري مع بعض الإختلاف:

" ... قال(محمد ابن اسحاق): ذكر لى انه أوحى إليه انا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك واليك حتى تكون انت الذى تأمر في ذلك فقال إلياس اللهم فامسك عنهم المطر فحبس عنهم ثلاث سنين حتى هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا .. ثم قالوا لإلياس يا إلياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا لهم إلياس بالفرج مما هم فيه وان يسقوا فخرجت سحابة مثل الترس بإذن الله على ظهر البحر وهم ينظرون ثم ترامى إليه السحاب ثم ادجنت ثم ارسل الله المطر فاغاثهم

1) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 161.& الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ325.

2)" فلما رأى إلياس ان بني إسرائيل قد أبوا إلا الكفر والظلم دعا عليهم، فأمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين، فهلكت الماشية والطيور والهوامّ والشجر وجهد الناس جهداً شديداً واستخفى إلياس خوفاً من بني إسرائيل، فكان يأتيه رزقه " – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 162.

فحييت بلادهم وفرج عنم ما كانوا فيه من البلاء فلم ينزعوا ولم يرجعوا واقاموا على أخبث ما كانوا عليه"[1].

وذكر سفر الملوك الثاني معجزة أخرى صنعها ايليا النبي بقوة الله في صرفة لإمرأة:

" فقام ذهب إلى صرفة جاء إلى باب المدينة اذا بإمرأة ارملة هناك تقش عيدانا فناداها قال هاتي لي قليل ماء في اناء فاشرب. فيما هي ذاهبة لتأتي به ناداها قال هاتي لي كسرة خبز في يدك. فقالت حي هو الرب الهك انه ليست عندي كعكة لكن ملء كف من الدقيق في الكوار قليل من الزيت في الكوز هانذا اقش عودين لاني اعمله لي ولابني لناكله ثم نموت. فقال لها ايليا لا تخافي ادخلي اعملي كقولك لكن اعملي لي منها كعكة صغيرة اولا اخرجي بها الي ثم اعملي لك لابنك اخيرا. لأنه هكذا قال الرب اله إسرائيل ان كوار الدقيق لا يفرغ كوز الزيت لا ينقص إلى اليوم الذي فيه يعطي الرب مطرا على وجه الأرض. فذهبت فعلت حسب قول ايليا اكلت هي هو بيتها أياما. كوار الدقيق لم يفرغ كوز الزيت لم ينقص حسب قول الرب الذي تكلم به عن يد ايليا " (2مل17).

وذكر السفر أيضاً معجزة اتاها الله بيد اليشع النبي اذ انه اقام ابن الارملة الذي كان قد وافته المنية.

وروى الطبري القصة قال: " ثم انه أوى ليلة إلى إمرأة من بنى إسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب به ضر فآوته واخفت أمره فدعا إلياس لأنها فعوفى من الضر الذى كان به واتبع اليسع إلياس فآمن به وصدقه ولزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب وكان إلياس قد أسن وكبر وكان اليسع غلاما شابا "[2].

وذكر المقدسي الخلاف حول اليسع: " يقال ان اليسع هو ذو الكفل وقيل هو الخضر وقيل هو ابن العجوز والله أعلم"[3].

وقدم لنا السفر أيضاً مثالا للجور والطغيان واستغلال السلطة في اغتصاب ارض نابوت اليزرعيلي الذي رفض ان يبيع كرم اجداده للملك، فاقامت عليه ايزبل شهود زور اتهموه بأنه جدف على الله وعاب في الذات الملكية، فحكم عليه بالموت رجماً،

1) الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ326، 327.
2) الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ327.& ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 162.
3) المقدسي، البدء والتاريخ،جـ3، صـ100.

فارسل الله ايليا الى اخاب ليقول له: " .. هكذا قال الرب .. في المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك انت أيضاً .." (2مل21). وبالفعل لقى اخاب حتفه في معركة راموت جلعاد ولحست الكلاب دمه جزاء لما صنع (2مل 22).

وذكر ابن الأثير ذلك بقوله: "... وكان للملك جار صالح مؤمن يكتم إيمانه، وله بستان إلى جانب دار الملك، والملك يحسن جواره، وللمك زوجة عظيمة الشر والكفر، فقالت له ليأخذ بستان الرجل فلم يفعل .. فوضعت إمرأته على صاحب البستان من شهد عليه انه سب الملك، فقتلته، واخذت بستانه .. فأوحى الله إلى إلياس يأمره ان يقول للملك وامرأته ان يرد البستان على ورثة صاحبه فان لم يفعلا غضب عليهما واهلكهما في البستان ولم يتمتعا به إلا قليلا، فأخبرهما إلياس بذلك فلم يراجعا الحق "[1].

واشار الى هزيمة اخاب ومصرعه هو وزوجته بقوله: " وسلط الله على الملك وقومه عدوا فظفر بهم وقتل الملك وزوجته بذلك البستان والقاهما فيه حتى بليت لحومهما "[2].

ثم اختتم الكلام عن ايليا برفعه إلى السماء، ثم حمل اليشع الرسالة من بعده: ".. قال ايليا لاليشع اطلب ماذا افعل لك قبل ان اوخذ منك فقال اليشع ليكن نصيب إثنين من روحك علي. فقال صعبت السؤال فان رأيتني اوخذ منك يكون لك كذلك والا فلا يكون. وفيما هما يسيران ويتكلمان اذا مركبة من نار خيل من نار ففصلت بينهما فصعد ايليا في العاصفة إلى السماء.. (2مل2).

وذكر الطبري حادثة صعود ايليا الى السماء وانتقال النبوءة الى تلميذه اليشع بقوله:

" فلما رأى ذلك إلياس من كفرهم دعا ربه ان يقبضه إليه فيريحه منهم .. فخرج إلياس وخرج معه اليسع بن أخطوب حتى إذا كان بالبلد الذى ذكر له في المكان الذى أمر به أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه فانطلق به فناداه اليسع يا إلياس يا إلياس ما تأمرني فكان آخر عهدهم به فكساه الله الريش والبسه

---

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 161.

2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 162.

النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار في الملائكة فكان انسيا ملكيا أرضيا سمائيا ثم قام بعد إلياس بأمر بنى إسرائيل .. "[1].

1) الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ327.& ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 162، 163.

3- يونان النبي

وردت إشارة عن يونان النبي في سفر الملوك الثاني على انه تنبأ في مملكة الشمال عن تقلص نفوذ يربعام الثاني من مدخل حماة إلى بحر العربة، كما أشار السفر إلى موطن يونان في بلدة تدعى جت حافر (2مل 14).

واشتهر هذا النبي في التاريخ العربي فذكره ابن الأثير وابو الفدا في تاريخيهما، ولكنهما ذكرا انه عاش في عهد يوثام بن عزيا بخلاف ما جاء في سفر الملوك كما تقدم:

" .. ولم يشتهر نبي بأمه غير عيسى ويونس عليهما السلام.. وقد قيل انه من بني إسرائيل، وانه من سبط بنيامين، وقيل ان يونس المذكور كانت بعثته بعد يوثم ابن عزياهو أحد ملوك بني إسرائيل المقدم الذكر "[1].

وجاء في سفر ان الله كلفه بانذار اهل نينوى ودعوتهم للتوبة، ولكنه بدلا من ان يتجه شرقا، ان سار غربا الى يافا حيث استقل سفينة كانت ستتجه الى ترشيش. ودخل الى جوف السفينة ونام. وبينما هو مستغرق في النوم هبت رياح عاتية كادت تحطم السفينة فاخذ الركاب يصرخون الى اربابهم. ثم ايقظ رئيس النوتية يونان ودعاه ان يدعوا الهه عيسى ان يستجيب، فأخبرهم يونان ان ذلك حدث بسببه، فأخذه الرجال وطرحوه في البحر فهدأت الامواج." واما الرب فاعد حوتا عظيما ليبتلع يونان فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال " (يو1). ثم يواصل النبي ذكر ما جرى له وهو في جوف الحوت، وصلاته لله ان يرحمه ويغفر ذنبه:

" فصلى يونان إلى الرب الهه من جوف الحوت. وقال دعوت من ضيقي الرب فاستجابني صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتي. لانك طرحتني في العمق في قلب البحار فاحاط بي نهر جازت فوقي جميع تياراتك ولججك. فقلت قد طردت من امام عينيك ولكنني اعود انظر إلى هيكل قدسك.. ثم اصعدت من الوهدة حياتي أيها الرب الهي. حين اعيت في نفسي ذكرت الرب فجاءت اليك صلاتي إلى هيكل قدسك ... وامر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر" (يو2).

---

1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ51 .

وعند ذكر القصة، قال الطبري ان يونان من أهل نينوى، وفي قول اخر ان الله امره بالذهاب إلى نينوى، قال: " يونس بن متى(أمَتاي) فكان فيما ذكر من أهل قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الاصنام فبعث الله إليهم يونس بالنهي عن عبادتها والامر بالتوبة .. قال أتاه جبريل عليه السلام يعنى يونس وقال انطلق إلى أهل نينوى فانذرهم ان العذاب قد حضرهم .. فانطلق إلى السفينة فركب فلما ركب احتبست السفينة لا تقدم ولا تأخر قال فساهموا قال فسهم فجاء الحوت يبصبص بذنبه فنودى الحوت أيا حوت انا لم نجعل يونس لك رزقا إنما جعلناك له حرزا ومسجدا فالتقمه الحوت فانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على دجلة ثم انطلق به حتى ألقاه في نينوى " [1]. وفي سفره أشار النبي إلى دعوة الله له بالتوجه إلى نينوى نبيا ونذيرا، ولكنه اعرض عن تنفيذ امر الله وشرع في الهرب إلى ترشيش[2]:

وفي بداية القصة صمت النبي عن ذكر سبب يبرر امتناعه عن الذهاب إلى نينوى، بينما وضع ابو الفدا[3] سبباً لذلك وهو أن الله لم ينفذ انذاره لأهل نينوى مما وضع النبي في موقف الكاذب، ولذلك شرع في الهرب واستقل السفينة، ولكن ما ورد في السفر هو أنه شرع في الهروب قبل الذهاب إلى نينوى، ثم حدث له ما حدث من أمر القاء النوتية له وابتلاع الحوت اياه، بعد ذلك توجه إلى نينوى فانذر شعبها فتابوا فعفى الله عنهم ورحمهم لصدق توبتهم.

ونعلم من سفره ان يونان توجه بعد التجربة إلى نينوى بغير تردد، ودعا أهلها إلى التوبة فتابوا، فعفى الله عنهم ولم يعاقبهم، فاغتاظ يونان من رحمة الله لأهل نينوى

---

1) الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ458.

2) وردت في حز 6: 27 كميناء تجاري وفي أماكن أخرى، كما وردت في النصوص الآشورية باسم ترسيس.

3) " وبعث الله تعالى يونس المذكور في تلك المدة إلى أهل نينوى وهي قبالة الموصل.. فلما أظلهم العذاب آمنوا، فكشفه الله عنهم، وجاء يونس لذلك اليوم، ولم ير العذاب حل، ولا علم بإيمانهم، فذهب مغاضباً. قال ابن سعيد المغربي: ودخل في سفينة من سفن دجلة، فوقفت السفينة، ولم تتحرك، فقال رئيسها: فيكم من له ذنب؟ وتساهموا على من يلقونه في البحر، ووقعت المساهمة على يونس، فرموه، فالتقمه الحوت، وسار به إلى الأبلة، وكان من شأنه ما أخبر الله تعالى به في كتابه العزيز "– ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، صـ51.

ونسى ان رحمة الله التي غمرت القوم التائبين هي بعينها رحمته التي افتقدته في البحر وجعلت من الحوت المفترس مسكنا آمنا له:

" .. فقام يونان وذهب إلى نينوى بحسب قول الرب.. ونادى وقال بعد اربعين يوما تنقلب نينوى. فامن أهل نينوى بالله ونادوا بصوم ولبسوا مسوحا من كبيرهم إلى صغيرهم.. فغم ذلك يونان غما شديدا فاغتاظ. وصلى إلى الرب وقال اه يا رب اليس هذا كلامي اذ كنت بعد في ارضي لذلك بادرت إلى الهرب إلى ترشيش لاني علمت انك اله رؤوف ورحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر. فالآن يا رب خذ نفسي مني لان موتي خير من حياتي. فقال الرب هل اغتظت بالصواب." (يو3 ، 4).

وذكر ابن الأثير ما جرى ليونان في السفينة واشار إلى صلاته وهو في بطن الحوت. وجاءت اقواله متفقة في المجمل العام وان اختلفت في بعض التفاصيل مثل الخلاف حول مدة بقائة في بطن الحوت:

" فسار حتى ركب في سفينة فأصاب أهلها عاصف من الريح، وقيل: بل وقفت فلم تسر، فقال من فيها: هذه بخطيئة أحدكم ! فقال يونس: هذه بخطيئتي فألقوني في البحر، فأبوا عليه حتى أفاضوا بسهامهم **(فَسَاهَمَ فَكان مِنَ المُدْحَضِينَ)** الصافات: 141، فلم يلقوه، وفعلوا ذلك ثلاثاً ولم يلقوه، فألقى نفسه في البحر، وذلك تحت الليل، فالتقمه الحوت فأوحى الله إلى الحوت ان يأخذه ولا يخدش له لحماً ولا يكسر له عظماً .. فسبح وهو في بطن الحوت، فسمعت الملائكة تسبيحه.. ألقي على ساحل البحر وهو كالصبي المنفوس، ومكث في بطن الحوت أربعين يوماً، وقيل: عشرين يوماً، وقيل: ثلاثة أيام، وقيل: سبعة أيام، والله أعلم "[1].

واعطى الرب يونان درسا اخر يبرز مكانة الإنسان عند الله واهتمامه به وسعيه الدائم لتتويبه، وبدى ذلك في حزن يونان على موت شجرة، فكيف يرتضي الله هلاك البشر، وهو القائل بأنه لا يسر بموت الشرير بل بأن يرجع عن طريقه ويحيا (حز 33 : 11)، ولذلك أعطاه الرب درسا عملياً من خلال موت اليقطينة التي كان يستظل في كنفها بين ليلة وضحاها، فغضب لذلك فقال له المولى: " انت شفقت على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربيتها التي بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت.

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 280.

افلا اشفق انا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها اكثر من إثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم " (يو4).

وذكر الطبري امر اليقطينة ولكنه أضاف للقصة ما لم يرد في كتاب يونان من انها كانت على شاطئ البحر. وانه استظل بها قبل ان يتوجه الى المدينة؛ بينما نقرأ في سفره انها كانت على مشارف المدينة، وانها هلكت بعد توبة اهل نينوى[1].

---

1) " .. والقى على ساحل البحر وانبت الله عليه شجرة من يقطين وهى فيما ذكر شجرة القرع يتقطر عليه من اللبن حتى رجعت إليه قوته ثم رجع ذات يوم إلى الشجرة فوجدها قد يبست فحزن وبكى عليها فعوتب فقيل له أحزنت على شجرة وبكيت عليها ولم تحزن على مائة ألف أو زيادة أردت هلاكهم جميعا ثم ان الله اجتباه من الضلالة فجعله من الصالحين ثم أمر ان يأتي قومه ويخبرهم ان الله قد تاب عليهم فعمد إليهم " – الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ460، 461.

4- حزقيال النبي

عاصر السنوات الاخيرة من حياة أرميا. ورافق المسبيين الى بابل وهو في الخامسة والعشرين. وهناك اقام على ضفاف نهر خابور احد روافد الفرات. ومن هناك واصل الانذارت التي ابتدأها الوحي على فم أرميا النبي ضد بني إسرائيل – وغيرهم – لانهم تركوا الرب والتصقوا بالامم. ودعاهم الى التوبة والرجوع الى الله. وقد شرف حزقيال النبي برؤية الله[1] متجليا في هيئة عظيم يجلس على العرش:

" .. فنظرت واذا بريح عاصفة جاءت من الشمال سحابة عظيمة ونار متواصلة وحولها لمعان ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار. ومن وسطها شبه اربعة حيوانات وهذا منظرها لها شبه انسان. ولكل واحد اربعة اوجه ولكل واحد اربعة اجنحة. اما شبه وجوهها فوجه انسان ووجه اسد لليمين لاربعتها ووجه ثور من الشمال لاربعتها ووجه نسر لاربعتها.. " (حز 1:1).

وذكر المقدسي امر العرش والملائكة الاربعة المشهورين: " واما حملة العرش الملائكة خلقوا لذلك فيوصف من أقدارها واجسامها ما الله به عليم قالوا وهم اليوم أربعة، وجه أحدهم على صورة وجه النسر، والثاني كوجه الأسد، والثالث كوجه الثور، والرابع كوجه الرجل. فإذا كان يوم القيمة ضمت إليهم أربعة أخرى بقول الله سبحانه ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية "[2]. ثم أيد روايته بما أنشده فيهم امية ابن ابي الصلت الشاعر الجاهلي:

حبس السرافيل الصوافي تحتــه .. لا واهن منهم ولا مستوغــد
رجل وثور تحت رجل يمينـه .. والنسر للأخرى وليث مرصــد[3]

وكانت دعوة الله لحزقيال النبي إلى امة بني إسرائيل الضالة امرا صعبا عليه، حتى انه رأى ان رجوعهم الى الله كمثل رجوع الحياة الى ميت. لهذا أخذه الرب إلى

---

1) الإنسان لا يمكنه ان يرى الله، ولكن الله الذي لم يحرم الملائكة من رؤياه على نحو لا نعرفه، تجلى لموسى في هيئة نار تشتعل في شجرة عليق. كما تجلى لحزقيال واشعياء ويوحنا الرائي على هيئة عظيم يجلس على عرش وتحيط به الملائكة، ولكن ما هي طبيعة الله وكيف تتسع السموات له وللملائكة دون ان يتعارض ذلك مع لا محدوديته، فهذا ليس للعقل القدرة على فهمه.

2) المقدسي، البدء والتاريخ،جـ1، صـ168.

3) المقدسي، البدء والتاريخ،جـ1، صـ168.

واد مقتظ بعظام جنود كانوا قد ماتوا منذ زمن، وبعث الله الحياة فيها لكي يعلم ان الله القادر على بعث العظام وهي رميم قادر ايضا على بعث بني اسرائيل من موت الخطيئة:

" كانت علي يد الرب فاخرجني بروح الرب انزلني في وسط البقعة هي ملانة عظاما.. فقال لي يا ابن آدم اتحيا هذه العظام فقلت يا سيد الرب انت تعلم. فقال لي تنبأ على هذه العظام وقل لها ايتها العظام اليابسة إسمعي كلمة الرب. هكذا قال السيد الرب لهذه العظام هانذا ادخل فيكم روحا فتحيون. واضع عليكم عصبا واكسيكم لحما وابسط عليكم جلدا واجعل فيكم روحا فتحيون وتعلمون اني انا الرب .. فتنبأت كما امرني فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على اقدامهم جيش عظيم جداً جداً. ثم قال لي يا ابن آدم هذه العظام هي كل بيت إسرائيل ها هم يقولون يبست عظامنا وهلك رجاؤنا قد انقطعنا. لذلك تنبأ وقل لهم هكذا قال السيد الرب هانذا افتح قبوركم واصعدكم من قبوركم ... " (حز37: 1).

واشار المؤرخون إلى حزقيال النبي، لكنهم اكتفوا، من سفره الذي بلغ مجمل فصوله ثمانية واربعين فصلا، بذكر تلك الحادثة فقط. كما عدوه من القضاة، بينما كان من جملة المسبيين، وتنبأ وهو بعد في السبي عند نهر جوزان. وكان معاصرا لأرميا النبي اي انه عاش في أواخر القرن السابع واوائل القرن السادس قبل الميلاد اي بعد يشوع وكالب باكثر من ثمانية قرون. كما ان قولهم بأن امه رزقت به في كبرها، انما ينطبق على صموئيل النبي آخر القضاة. قال الطبري:

" لما توفي يوشع بن نون قام بأمر بني إسرائيل بعده كالب بن يوفنّا، ثمّ حزقيل بن نورى(بوزي)، وهو الذي يقال له ابن العجوز، وانما قيل له ذلك لان أمّه سألت الله الولد وقد كبرت، فوهبه الله لها، وهو الذي دعا للقوم الموتى فأحياهم الله ... فمرّ بهم حزقيل فلمّا رآهم جعل يتفكر في بعثهم، فأوحى الله إليه: أتريد ان أريك كيف أحييهم؟ قال: نعم، فقيل: ناد، فنادى: يا أيتها العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمعي، فجعلت العظام تطير بعضها إلى بعض حتى صارت أجساداً من عظام، ثم نادى: يا أيتها العظام ان الله أمرك ان تكتسي فألبست لحماً ودماً وثيابها التي ماتت فيها، ثم نادى: يا أيتها الأرواح! ان الله يأمرك ان تعودي إلى أجسادك فعادت،وقامت الأجساد أحياء؛ وقالوا: حين أحيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا انت ، فرجعوا إلى قومهم أحياء ... [1].

1) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 160.& الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ324، 325.

الفصل الرابع عشر

عصر السيد المسيح

كانت حوادث الإنجيل هي محور اهتمام المسيحيين المقيمين في بلاد العرب وفي مصر والعراق والشام، وبخاصة ما يتعلق بمولد السيد المسيح من العذراء، واخبار اياته وتعاليمه وموته وصعوده. وحياة المعمدان والحواريين. لذلك وجدنا هذه الأخبار تحتل مكانا بارزا في كتب المؤرخين العرب.

وجاء ما دونوه في صحفهم موافقا في الكثير لما ورد في الإنجيل؛ ولكن في بعض الاحيان جاءت أخبارهم غير متفقة. من ذلك قول ابي الفدا[1] بأن زكريا كان نجارا وانه هو الذي كفل مريم بعد ابويها، ولكن البشير لوقا ذكر ان من كفلها هو يوسف وانها مكثت ثلاثة اشهر في بيت زكريا. ولكنه ذكر اسم امها حَنَّة كما ورد في الانجيل. اما ابوها يواقيم فقد ورد عند ابن الاثير[2] باسم عمران. وهو قريب من عمرام ابي موسى وهارون ومريم. كما خلط ابن الأثير بين زكريا ابى يوحنا وزوج اليصابات قريبة العذراء، والذي مات في القرن الأول للميلاد، وبين زكريا بن براخيا النبي الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد (عز5) والذي عاصر داريوس ملك الفرس (زك7)، وكان من العائدين من السبي وهو طفل. وذكر ابن الاثير خبر موته بشكل يفوق الخيال[3]. ومما يثير الدهشة في هذه القصة ان القدرة الالهية التي

---

1) " زكريا من ولد سليمان بن داود عليهما السلام، وكان نبياً ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، قال: وكان نجاراً، وهو الذي كفل مريم أم عيسى، وكانت مريم بنت عمران بن ماتان من ولد سليمان بن داود، وكانت أم مريم اسمها حنة وكان زكريا متزوجاً أخت حنة. واسمها إيساع فكانت زوج زكريا خالة مريم.. " – ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 1، صـ53، 54.

2) " كان عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود، وكان آل ماثان رؤوس بني إسرائيل واحبارهم، وكان متزوجاً بحنة بنت فاقوراء، وكان زكريّاء بن برخيا متزوّجاً بأختها إيشاع، وقيل: كانت إيشاع أخت مريم بنت عمران، وكانت حنّة قد كبرت وعجزت ولم تلد ولدا ثمّ هلك عمران وحنّة حامل بمريم، فلمّا وضعتها إذا هي انثى .." –ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 228، 229.

3) لما قُتل يحيى وسمع أبوه بقتله فرّ هارباً فدخل بستاناً عند بيت المقدس فيه أشجار، فأرسل الملك في طلبه، فمرّ زكرياء بالشجرة، فنادته: هلمّ إليّ يا نبيّ الله فلمّا أتاها انشقّت فدخلها، فانطبقت عليه وبقي في وسطها، فأتى عدوا الله إبليس فأخذ هدب ردائه فأخرجه من الشجرة

جعلت الشجرة تتكلم وتدعوا زكريا للاختفاء في جوفها عجزت عن حمايته، بل وتسببت له في ميتة رهيبة. وقوله بأن ذكريا قتل بعد مقتل ابنه يحي(يوحنا)، ليس مؤكداً، لان زكريا رزق بابنه وهو شيخ متقدم في السن. والمعمدان قتل وهو منتصف العقد الرابع من عمره. اما ابو الفدا[1] فيذكر ان سبب قتل اليهود له هو اتهامه في مريم العذراء عند ولادة المسيح اي عندما كان يوحنا رضيعا ابن ستة اشهر.

اما لوقا البشير فيخبرنا بأن زكريا زوج اليصابات وابا يوحنا، كان كاهناً في زمن هيرودس انتيباتر – والد هيرودس انتيباس الذي قتل يوحنا – ملك اليهودية. وان امرأته كانت عاقرا، ".. وكانا كلاهما متقدمين في أيامهما.. فظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور. فلما راه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف. فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لان طلبتك قد سمعت وامراتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا. ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته. لأنه يكون عظيما امام الرب وخمرا ومسكرا لا يشرب... "(لو1).

وبعد ستة اشهر من حمل اليصابات بيوحنا، روى لنا ذات البشير قصة بشارة الملاك للعذراء مريم عندما اتاها وقال لها " سلام لك ايتها المنعم عليها الرب معك مباركة انت في النساء .. وها انت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع .. فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وانا لست اعرف رجلا. فاجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله.." (لو1: 26).

وروى ابو الفدا امر البشارة بالمعمدان والسيد المسيح معاً، قال: " وارسل الله تعالى جبريل فبشر زكريا بيحيى مصدقاً بكلمة من الله، تعني عيسى بن مريم، ثم أرسل الله تعالى جبريل ونفخ في جيب مريم، فحبلت بعيسى، وكانت قد حبلت خالتها إيساع(اليصابات) بيحيى، وولد يحيى قبل المسيح بستة أشهر، ثم ولدت مريم عيسى "[2].

ليصدّقوه إذا أخبرهم، ثمّ لقي الطلب فأخبرهم .. فاخذوا الفؤوس وقطعوا الشجرة باثنتين وشقّوها بالمنشار، فمات زكرياء فيها " – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 235.

1) " فلما علمت اليهود ان مريم ولدت من غير بعل اتهموا زكريا بها، وطلبوه، فهرب واختفى في شجرة عظيمة، فقطعوا الشجرة وقطعوا زكريا معها، وكان عمر زكريا حينئذ نحو مائة سنة، وكان قتله بعد ولادة المسيح.. ". –ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 1 ، صـ53 ، 54.

2) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 1 ، صـ53 ، 54.

ولما علم يوسف بحمل مريم ولم يكن يعلم انه بمعجزة ربانية، فانه فكر في تخليتها سرا؛ ولكن ظهر له ملاك وقال له " .. لا تخف ان تأخذ مريم امراتك لان الذي حبل به فيها هو من الروح القدس.."(مت1). فاستراحت نفسه، واطمأنت سريرته، وعاش مع مريم ينتظر عواقب الامور. وبعد مدة ذهبت مريم إلى اليصابات قريبتها لتمضى عندها بعض الوقت: " فلما سمعت اليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها وامتلات اليصابات من الروح القدس .. فهوذا حين صار صوت سلامك في اذني ارتكض الجنين بابتهاج في بطني. فطوبى للتي امنت ان يتم ما قيل لها من قبل الرب.. "(لو1).

وذكر ابن الأثير تلك الواقعة بقوله: " ويحيى أول من آمن بعيسى وصدّقه، وذلك ان امّه كانت حاملاً به فاستقبلت مريم وهي حامل بعيسى فقالت لها: يا مريم أحامل انتِ؟ فقالت: لماذا تسأليني؟ قالت: اني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك "[1].

وذكر اختلاف الرواة – الذين نقل عنهم – في مدة حمل امرأة زكريا: " فقيل: تسعة أشهر، وهو قول النصارى، وقيل: ثمانية أشهر، فكان ذلك آية أخرى لأنه لم يعش مولود لثمانية أشهر غيره، وقيل: ستة أشهر، وقيل: ثلاث ساعات، وقيل: ساعة واحدة " [2].

وبعد ستة اشهر من ولادة يوحنا، ولدت العذراء المسيح كلمة الله (لو1:2) وهو في عقيدة المسيحيين هو علم الله، صفة ذاتية (اقنوم) ويعتقدون ان لاهوت الكلمة ليس من دون الله .

ولم يهتم البشير لوقا بذكر عمر العذراء حين الحمل وعند الولادة؛ بينما اهتم به ابن الأثير مشيرا الى اختلاف الاراء – كما هي عادة المؤرخين – حوله، قال: " وزعموا ان مولد يحيى كان قبل مولد المسيح بستّة أشهر، وان مريم، عليها السلام، حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة، وقيل: خمس عشرة، وقيل: عشرون، وان عيسى عاش إلى ان رفع إثنتين وثلاثين سنة واياماً، وان مريم عاشت بعده ستّ سنين، فكان جميع عمرها إحدى وخمسين سنة، وان يحيى قُتل قبل ان يرفع المسيح، واتت المسيح النبوّة والرسالة وعمره ثلاثون سنة "[3].

---

1) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 229.& الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ426.

2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 238.

3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 236.

وروى البشير خبر ولادة المسيح وزيارة المجوس له ولقائهم بهيرودس الكبير والحديث الذي دار بينهم:

" ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك اذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى اورشليم. قائلين أين هو المولود ملك اليهود فاننا رأينا نجمه في المشرق واتينا لنسجد له. فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع اورشليم معه .. حينئذ دعا هيرودس المجوس سرا وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر. ثم ارسلهم إلى بيت لحم وقال اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي ومتى وجدتموه فأخبروني لكي اتي انا أيضاً واسجد له. فلما سمعوا من الملك ذهبوا واذا النجم الذي راوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي. فلما راوا النجم فرحوا فرحا عظيما جداً. واتوا إلى البيت وراوا الصبي مع مريم امه فخروا وسجدوا له ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهبا ولبانا ومرا. ثم اذ اوحي إليهم في حلم ان لا يرجعوا إلى هيرودس انصرفوا في طريق أخرى إلى كورتهم" (مت2: 1).

وروى ابن العبرى حديث المجوس لهيرودس وخبر النجم المعلن عن ولادة ذلك العظيم بقوله: "ان عظيما كان لنا وهو قد انبانا بكتاب وضعه ذاكراً فيه: سيولد في فلسطين مولود اصله من السماء ويتعبد له أكثر العالم. واية ظهوره انكم ترون نجماً غريبا وهو يهديكم إلى حيث هو. فإذا رأيتموه فاحملوا ذهبا ومراً ولباناً وانطلقوا إليه والطفوه بها واسجدوا له وانصرفوا لئلا ينالكم بلاء عظيم. والآن قد ظهر النجم واتينا انتم ما امرنا به"[1].

وذكر الطبري الامر باتفاق كبير من النص الإنجيلي السالف الذكر مضيفا اليه ما ترمز اليه هدايا أهل المشرق: " وخرج في تلك الليلة قوم يؤمونه من أجل نجم طلع انكروه وكان قبل ذلك يتحدثون ان مطلع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والمر واللبان فمروا بملك من ملوك الشام فسألهم أين يريدون فأخبروه بذلك.. فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدث نفسه بقتله فقال اذهبوا فإذا علمتم مكانه فأعلموني ذلك فانى أرغب في مثل ما رغبتم فيه من أمره فانطلقوا حتى دفعوا ما كان معهم من تلك الهدية إلى مريم وارادوا ان يرجعوا إلى هذا الملك ليعلموه مكان عيسى فلقيهم ملك فقال لهم لا ترجعوا إليه ولا تعلموه بمكانه فانه

1) ابن العبري، مختصر تاريخ الدول صـ 65- دار المشرق- بيروت.

إنما أراد بذلك ليقتله فانصرفوا في طريق آخر واحتملته مريم على ذلك الحمار ومعها يوسف، ووردا أرض مصر "[1].

كما ذكر الطبري وقت ولادة المسيح في عهد اغسطس قيصر، وفي ولاية هيرودس الكبير. ، قال: " .. وذكر بعض أهل الأخبار ان مولد عيسى عليه السلام كان لمضى إثنتين واربعين سنة من ملك أغوسطوس .. والملك على بيت المقدس من قبل قيصر هيردوس الكبير".

واشار الى ما جرى للأصنام عندما ولدت العذراء المسيح، قال: " فأصبحت الاصنام التى كانت تعبد من دون الله، حين ولدت، بكل أرض مقلوبة منكوسة على رؤسها .. " [2].

وذكر الانجيلي[3] خبر النزوح الى مصر قائلا بأن ملاكا اتى يوسف في رؤى الليل وامره ان يهرب بالمولود وامه الى مصر، ففعل. ومكثوا هناك الى وفاة الطاغية نحو ثلاث سنوات ونصف. ولكن ابن الأثير[4] وابو الفدا ذكرا إثنتي عشرة سنة. وكان هيرودس الكبير الذي لم يستثنى من قائمة اغتيالاته يوسف ابن عمه وصديقه الحميم ولا انسباءه ولا مريمن زوجته المحبوبة ولا حتى ابنائه اسكندر وارسطوبوليس وانتيباتر. فلم يكن غريبا عليه ان يتوج اعماله الاجرامية بقتل اطفال بيت لحم الذين لا ذنب لهم سوى انهم ولدوا في زمانه (مت2 : 13).

وبعد موت هيرودس ظهر الملاك ليوسف يطلب منه العودة الى وطنه، فأخذ بوسف الصبي وامه وقفل راجعا الى بلاده " ولكن لما سمع (يوسف النجار) ان أرخيلاوس يملك على اليهودية عوضاً عن هيرودس أبيه خاف ان يذهب إلى هناك،

---

1) الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ427، 428.

2) الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ426، 427.

3) " وبعدما انصرفوا اذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلا قم وخذ الصبي وامه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى اقول لك لان هيرودس مزمع ان يطلب الصبي ليهلكه. فقام واخذ الصبي وامه ليلا وانصرف إلى مصر. وكان هناك إلى وفاة هيرودس لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل من مصر دعوت ابني".

4) " .. فساروا إلى مصر واقاموا بها إثنتي عشرة سنة إلى ان مات ذلك الملك، وعادوا إلى الشام"– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 240.& ابو الفدا، المختصر، صـ54.

واذا أوحى إليه فى حلم انصرف إلى نواحى الجليل واتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة لكى يتم ما قيل بالأنبياء انه سيدعى ناصرياً "(مت 2: 19).

وذكر الطبري الامر كما رواه متى البشير، قال: " فلما مات هيردوس قال الملك ليوسف وهو بمصر ان هيردوس قد مات وملك مكانه أركلاوس إبنه وذهب من كان يطلب نفس الغلام فانصرف به إلى ناصرة من فلسطين ليتم قول شعيا النبي من مصر دعوتك "[1]. وفي موضع اخر قال الطبري[2] ان الله اوحى بالعودة الى امه وليس الى يوسف النجار. وعند الذهاب الى مصر استحضر البشير قول اشعياء النبي " من مصر دوت ابني ". ولكن الطبري ذكره عند الخروج منها. بينما كان البشير قد اتى بما قيل من انه سيدعى ناصريا. وهو ما ذكره ابن الأثير[3].

وسكت البشيرون – كما سكت المؤرخون تباعا – عما دار من احداث منذ استقرار العائلة في الناصرة وحتى بدء خدمة يوحنا ثم خدمة السيد المسيح. فذكرت البشاير بدء خدمة المعمدان بحسب سنوات الحكام والأباطرة، قالوا:

" وفي السنة الخامسة عشر من سلطنة طيباريوس قيصر اذ كان بيلاطس البنطي واليا على اليهودية وهيرودس رئيس ربع على الجليل وفيلبس اخوه رئيس ربع على ايطورية وكورة تراخونيتس وليسانيوس رئيس ربع على الأبلية. في أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالاردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا.."[4].

وحدثنا القديس مرقس عن نمط حياته النسكية وعن كونه الرسول السابق والممهد للطريق امام كلمة الله، قال:

---

1) الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ 434.

2) " فأوحى الله عز وجل إلى أمه مريم ان اطلعي به إلى الشأم ففعلت الذى أمرت به فلم تزل بالشأم حتى كان ابن ثلاثين سنة فجاءه الوحى على ثلاثين سنة وكانت نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله " – الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ 429.

3) " .. ولما عاد عيسى وامّه إلى الشام نزلا بقرية يقال لها ناصرة، وبها سميت النصارى، فأقام إلى ان بلغ ثلاثين سنة، فأوحى الله إليه ان يبرز للناس ويدعوهم إلى الله تعالى ويداوي المرضى والزمنى والأكمه والأبرص وغيرهم من المرضى، ففعل ما أمر به، واحبّه الناس، وكثر أتباعه، وعلا ذكره "– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 241.

4) مت 3 : 7، مر 1 : 7، لو3 : 7، يو1 : 15 و26 –33.

" وكان يوحنا يلبس وبر الابل ومنطقة من جلد على حقويه ويأكل جرادا وعسلا بريا. وكان يكرز قائلا يأتي بعدي من هو اقوى مني الذي لست أهلا ان انحني واحل سيور حذائه. انا عمدتكم بالماء واما هو فسيعمدكم بالروح القدس " (مر1).

واكد ابن الأثير وابو الفدا قول البشير في تسامي حياة المعمدان، قالا: " ونبّئ صغيراً فكان يدعو الناس إلى عبادة الله، ولبس الشعر، فلم يكن له دينار ولا درهم ولا مسكن يسكن إليه، أينما جنّه الليل أقام، ولم يكن له عبد ولا أمَة، واجتهد في العبادة ...[1]. وبالغ ابن الاثير عندما نسب اليه انه كان يقتات على العشب واوراق الشجر[2].

ولما جاء السيد المسيح ليعتمد على يديه فانه ابى ان تجرى معموديته على من لم يفعل خطيئة قط؛ ولكنه لم يجد بداً من الطاعة والخضوع لمولاه: " حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الاردن إلى يوحنا ليعتمد منه. ولكن يوحنا منعه قائلا انا محتاج ان إعتمد منك وانت تأتي الي. فاجاب يسوع وقال له إسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا ان نكمل كل بر حينئذ سمح له. (مت3).

وذكر ابو الفدا معمودية السيد المسيح وبدء كرازته، قال: " ولما صار لعيسى ثلاثون سنة، صار إلى الأردن، وهو نهر الغور المسمى بالشريعة فإعتمد، وابتدأ بالدعوة، وكان يحيى بن زكريا هو الذي عمده "[3].

ثم حدث صدام بين الحق ممثلا في يوحنا والباطل ممثلا في هيرودس الذي تمادى في شروره بأن اقترن بزوجة اخيه وهو ما زال على قيد الحياة مخالفاً بذلك شريعة موسى:

"اما هيرودس رئيس الربع فاذ توبخ منه لسبب هيروديا إمرأة فيلبس اخيه ولسبب جميع الشرور التي كان هيرودس يفعلها. زاد هذا أيضاً على الجميع انه حبس يوحنا في السجن [4].

ثم توج اعماله الآثمة بقتل صوت الحق نزولا على رغبة زوجته الماجنة، عندما اوعزت الى ابنتها ان تطلب رأس المعمدان مفضلة اياها على نصف المملكة:

---

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 231.& ابو الفدا، المختصر، جـ1، صـ53، 54.
2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 229.
3) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 1، صـ55.
4) مت14 :3 –5 ، مر6 :17 –20 ، لو3 :19 –20.

" ثم لما صار مولد هيرودس رقصت ابنة هيروديا في الوسط فسرت هيرودس. من ثم وعد بقسم انه مهما طلبت يعطيها. فهي اذ كانت قد تلقنت من امها قالت اعطيني ههنا على طبق راس يوحنا المعمدان. فاغتم الملك ولكن من اجل الاقسام والمتكئين معه امر ان يعطى. فارسل وقطع راس يوحنا في السجن. فاحضر راسه على طبق ودفع إلى الصبية فجاءت به إلى امها "[1].

وروى المؤرخون جريمة هيرودس النكراء لاسكات صوت الحق، ولكنهم خالفوا الرواية الكتابية في قولهم بأن هيرودس كان يريد الزواج من ابنة زوجته وفقا للشريعة. بينما يقول الانجيل ان يوحنا كان يوبخ هيرودس على مخالفته للشريعة بزواجه من هيروديا امرأة اخيه فيلبس وهو على قيد الحياة:".. وكان لهرذوس(هيرودس) وهو الحاكم على بني إسرائيل بنت أخ واراد ان يتزوجها حسبما هو جائز في دين اليهود فنهاه يحيى عن ذلك، فطلبت أم البنت من هرذوس ان يقتل يحيى، فلم يجبها إلى ذلك، فعاودته، وسألته البنت أيضاً، والحتا عليه، فأجابهما إلى ذلك وامر بيحيى، فذبح لديهما .. "[2]. وفي رواية، قال الطبري وابو الفدا ان هيرودس ذبحه في بيته. وفي رواية اخرى انهم اتوا اليه برأسه في طست، وانها قالت له: لا يحل لك[3].

وذكر ابن بطريق ان هيرودس نال عقابا الهيا تمثل في هزيمة جيشه الساحق على يد حميه السابق الملك العربي: " فاما زوجته ارطا فوصلت إلى أبيها فغضب وجمع أصحابه وصار إلى هيرودس فحاربه وقتل من أصحابه خلقا كثيراً وسباهم واحرق قراهم "[4].

وبدأ السيد المسيح خدمته في الثلاثين، ما بين التعليم، واتيان المعجزات، فأبرأ السقمى[5] واقام الموتى[6] واشبع الجياع[7] وفتح عيون العمى[8] وحرر المأسورين من

---

1) مت 14 : 6 ، مر 6 : 21.
2) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 1، صـ53 ، 54.
3) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 231 & الطبري، تاريخ الامم، جـ1، صـ 418- 420.
4) سعيد بن بطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت 1905، صـ91.
5) لو7 : 10، يو 5 : 7.
6) مت 11 : 5، يو 11 : 1.
7) مت 14 : 13، مر 6 : 30، لو9 : 10 ، يو6 : 1.
8) مت 20 : 29، مر 10 : 46، لو 18 : 35.

الارواح الشريرة[1] وروى الظماى والمتعطشين إلى البر من فيض نعمته، وخلاصة القول اجملها البشير بقوله انه كان يجول يصنع خيرا. ولم يسكت التاريخ – تعضيدا لما دونه البشيرون – عن ذكر معجزات المسيح، فقال ابو الفدا: " .. واظهر عيسى عليه السلام المعجزات، واحيا ميتاً يقال له عازر بعد ثلاثة أيام من موته، وجعل من الطين طائراً قيل هو الخفاش، وابرأ الأكمه والأبرص، وكان يمشي على الماء[2]. وانزل الله تعالى عليه المائدة، واوحى إليه الإنجيل"[3].

وروى ابن الاثير ما تيسر له عن قصة معجزة اقامة لعازر كما وردت في بشارة لوقا[4] مع بعض الاختلاف، قال: ".. فممّن أحياه عازر، وكان صديقاً لعيسى، فمرض، فأرسلت أختُه إلى عيسى ان عازر يموت، فسار إليه وبينهما ثلاثة أيام، فوصل إليه وقد مات منذ ثلاثة أيام، فأتى قبره فدعا له فعاش، وبقي حتى ولد له، واحيا إمرأة وعاشت وولد لها[5].

واتخذ السيد له من الاتباع إثنى عشر شخصا تتلمذوا على يديه ثم اطلقهم للكرازة، مؤيدا اياهم بصنع الايات، وقال لهم: " اكرزوا قائلين انه قد اقترب ملكوت السماوات. اشفوا مرضى طهروا برصا اقيموا موتى اخرجوا شياطين مجانا أخذتم مجانا اعطوا. لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا في مناطقكم. ولا مزودا للطريق ولا ثوبين ولا احذية ولا عصا لان الفاعل مستحق طعامه.. وحين تدخلون البيت سلموا عليه. فان كان البيت مستحقا فليات سلامكم عليه ولكن ان لم يكن مستحقا فليرجع سلامكم اليكم. ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجا من ذلك البيت او من

---

1) مت 8 : 28، مر 5 : 15، مر 5 : 18.

2) مت12 : 22، مر10 : 51، يو9 :6 ، مت8 : 2، مر1 :40 ، مت14 : 26.

3) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 1، صـ55.

4) " .. قال يسوع ارفعوا الحجر قالت له مرثا اخت الميت يا سيد قد انتن لان له اربعة أيام. قال لها يسوع الم اقل لك ان امنت ترين مجد الله. فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الاب اشكرك لانك سمعت لي. وانا علمت انك في كل حين تسمع لي ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا انك ارسلتني. ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجا. فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات باقمطة ووجهه ملفوف بمنديل فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب. (يو11: 38).

5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 242.

تلك المدينة وانفضوا غبار ارجلكم.. ها انا ارسلكم كغنم في وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام..."(مت10).

وذكر ابو الفدا تلاميذ السيد المسيح في تاريخه، كما وردت في سفر الاعمال مع بعض الإختلاف فذكر مرقس وهو من عداد السبعين وليس الإثني عشر. كما لم يذكر تداوس إلى جانب اللاختلاف الطفيف في نطق بعض الأسماء:

" وكان الحواريون الذين اتبعوه إثني عشر رجلاً، وهم شمعون الصفا(سمعان بطرس) وشمعون القنابي(سمعان القانوي)، ويعقوب بن زندي(زبدي)، ويعقوب بن حلقي(حلفى)، وقولوس(فيلبس)، ومارقوس واندرواس، وتمريلا(برثولماوس؟)، ويوحنا، ولوقا، وتوما، ومتى " [1].

كما ذكر المقدسي[2] البعض من التلاميذ والبعض من السبعين رسولا ، ولكنه كرر ذكر بعض الأسماء فذكر يوحنا مرة يحنس، ومرة أخرى يحيى. وذكر متى مرتين: مديوس القريب من اسمه اليوناني متاؤس، و ميثا القريب من متى...الخ. وبمقارنة ما ذكره المقدسي وابو الفدا بما ورد في بشارة القديس متى وسفر اعمال الرسل[3] يمكن ادراك الإختلافات.

واوصى السيد المسيح التلاميذ بالكرازة اولا لبني جلدتهم ثم لسائر الناس، ولما امتنع بطرس عن قبول الاميين، فأراه الرب في رؤيا ملاءة بها من الاطعمة المنهى عنها والمسموح بها، وامره بأن يأكل منها إشارة إلى عدم التمييز بين الناس:

---

1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 1، صـ55.

2) " وكان عيسى فرق طائفة من الحواريين في البلدان والنواحي يدعون الناس ويعلمونهم الدين ما حفظ من أسمائهم شمعون(سمعان) الصفا وهو رأسهم ويقال له صخرة الإيمان ويحيى(يوحنا) وتومان(توما) ولوقا ومديوس(ماتيوس\ متى ؟) وفطرس(بطرس) ويحنس(يوحنا) واندرانس(اندراوس) وفلبس وجرجيس(؟) ويعقوبس(يعقوب) وميثا(متاؤس\ متى؟) ويعقوب وبالوص(بولس؟) " – المقدسي، البدء والتاريخ، جـ3، صـ127.

3) " واما اسماء الاثني عشر رسولا فهي هذه الاول سمعان الذي يقال له بطرس واندراوس اخوه يعقوب بن زبدي ويوحنا اخوه. فيلبس وبرثولماوس توما ومتى العشار يعقوب بن حلفى ولباوس الملقب تداوس. سمعان القانوي ويهوذا الاسخريوطي الذي اسلمه. (مت 10). ثم القوا قرعتهم فوقعت القرعة على متياس فحسب مع الاحد عشر رسولا (اع1 :26) .

" ... فراى السماء مفتوحة واناء نازلا عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة باربعة اطراف ومدلاة على الأرض. وكان فيها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء. وصار إليه صوت قم يا بطرس اذبح وكل. فقال بطرس كلا يا رب لاني لم اكل قط شيئا دنسا او نجسا. فصار إليه أيضاً صوت ثانية ما طهره الله لا تدنسه انت. وكان هذا على ثلاث مرات ثم ارتفع الإناء أيضاً إلى السماء .. وبينما بطرس متفكر في الرؤيا قال له الروح هوذا ثلاثة رجال يطلبونك... فقال لهم انتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودي ان يلتصق باحد اجنبي او يأتي إليه واما انا فقد اراني الله ان لا اقول عن انسان ما انه دنس او نجس .." (اع10).

وذكر البشير متى معجزة إطعام السيد المسيح لما يزيد على العشرة الآف انسان من خلال المباركة في خمسة ارغفة وسمكتين[1]. وروى مرقس البشير معجزة اخرى اطعم المسيح فيها جمعا كبيرا من الناس، من خلال سبع خبزات وقليل من صغار السمك (مر8).

وذكر ابن الأثير معجزة اشباع الجموع التي اجراها السيد المسيح اكثر من مرة؛ ولكنه وضع لها سياقا مختلفا، قال: " .. وقيل: أقبلت الملائكة تحمل المائدة عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعوها بين أيديهم، فأكل منها آخر النّاس كما أكل أوّلهم؛ وقيل: كان عليها من ثمار الجنّة، وقيل: كانت تمدّ بكلّ طعام إلاّ اللّحم، وقيل: كانت سمكة فيها طعم كلّ شيء، فلمّا اكلوا منها، وهم خمسة آلاف، وزادت حتى بلغ الطعام ركبهم "[2]. وهنا اشار ابن الاثير الى انزال الطعام من السماء، وهو ما يذكرنا برؤيا بطرس للملاءة المدلاة من السماء والمملؤة بصنوف الطعام وهي ترمز لقبول الأمميين.

وقرب نهاية خدمة السيد المسيح على الأرض، روى البشيرون احداث تلك الفترة، والكثير منها وجدَ صداه لدى المؤرخين. ومنها حادثة تناول السيد المسيح للفصح مع

---

1)" ولما صار المساء تقدم إليه تلاميذه قائلين الموضع خلاء والوقت قد مضى اصرف الجموع لكي يمضوا إلى القرى ويبتاعوا لهم طعاماً. فقال لهم يسوع لا حاجة لهم ان يمضوا اعطوهم انتم ليأكلوا. فقالوا له ليس عندنا ههنا الا خمسة ارغفة وسمكتان. فقال ائتوني بها إلى هنا. فامر الجموع ان يتكئوا على العشب ثم أخذ الارغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسر واعطى الارغفة للتلاميذ والتلاميذ للجموع. فاكل الجميع وشبعوا ثم رفعوا ما فضل من الكسر إثنتي عشر قفة مملوءة. والاكلون كانوا نحو خمسة الاف رجل ما عدا النساء والأولاد (مت 14).

2) ابن الأثير ، الكامل، جـ1، صـ 242 ، 243.& ابو الفدا، المختصر، جـ 1 ، صـ55

تلامذته(مت26). وهو تقليد موسوي، كان رمزاً للفداء الذي جاء المسيح لاجله (1كو5). وبعد العشاء شرع السيد المسيح في غسل ارجل تلاميذه، ولما جاء دور بطرس ابى ان يغسل السيد رجليه فقال له المسيح " ان كنت لا اغسلك فليس لك معي نصيب. قال له سمعان بطرس يا سيد ليس رجلي فقط بل أيضاً يدي وراسي.. فلما كان قد غسل ارجلهم واخذ ثيابه واتكا أيضاً قال لهم اتفهمون ما قد صنعت بكم. انتم تدعونني معلما وسيدا وحسنا تقولون لاني انا كذلك. فان كنت وانا السيد والمعلم قد غسلت ارجلكم فانتم يجب عليكم ان يغسل بعضكم ارجل بعض "[1].

وذكروا انباء السيد عن شك التلاميذ فيه وانكار بطرس لمعرفته به وعن قيامته، قال لهم ذلك في حديث واحد: " كلكم تشكون فيَّ في هذه الليلة لأنه مكتوب اني اضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية. ولكن بعد قيامي اسبقكم إلى الجليل. فاجاب بطرس وقال له وان شك فيك الجميع فانا لا اشك ابدا. قال له يسوع الحق اقول لك انك في هذه الليلة قبل ان يصيح ديك تنكرني ثلاث مرات. قال له بطرس ولو اضطررت ان أموت معك لا انكرك هكذا قال أيضاً جميع التلاميذ " [2]. كما اخبروا عن صلاة يسوع في البستان[3]. وعن تحقق انكار بطرس معرفته به وصياح الديك، ثم توبته الصادقة[4]. واشار الطبري وابن الأثير في تاريخيهما إلى تلك الاحداث مشتملة، فذكروا غسل المسيح لارجل التلاميذ، ولكنهم قالوا انه غسل ايديهم، وانه كان يجففها بثيابه وليس بمنشفة كما ورد بالانجيل. قال الطبري:

---

1) (مت 20 ، مر 10 ، لو22 ، يو13).

2) (مت26، مر 14، لو22، يو13).

3) " .. فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت امكثوا ههنا واسهروا معي. ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي .. ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياما فقال لبطرس اهكذا ما قدرتم ان تسهروا معي ساعة واحدة. اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة اما الروح فنشيط واما الجسد فضعيف. فمضى أيضاً ثانية وصلى .. ثم جاء فوجدهم أيضاً نياما اذ كانت اعينهم ثقيلة. فتركهم ومضى أيضاً وصلى ثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه. ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم ناموا الآن واستريحوا هوذا الساعة قد اقتربت .. "(مت 26، مر14، لو22).

4) " اما بطرس فكان جالسا خارجا في الدار فجاءت إليه جارية قائلة وانت كنت مع يسوع الجليلي. فانكر قدام الجميع قائلا لست ادري ما تقولين... وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقا انت أيضاً منهم فان لغتك تظهرك. فإبتدأ حينئذ يلعن ويحلف اني لا اعرف الرجل وللوقت صاح الديك. فتذكر بطرس كلام يسوع الذي قال له انك قبل ان يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات فخرج إلى خارج وبكى بكاء مرا " (مت 26 ، مر 14، لو22 ، يو 18).

" وقيل لما أعلم الله المسيح انه خارج من الدنيا جزع من الموت فدعا الحواريّين فصنع لم طعاماً فقال: احضروني اللّيلة فان لي إليكم حاجة، فلمّا اجتمعوا عشّاهم وقام يخدمهم، فلما فرغوا أخذ يغسل أيديهم بيده ويمسحها بثيابه، فتعاظموا ذلك وكرهوه، فقال: من يردّ عليّ الليّلة شيئاً مما أصنع فليس مني، فأقرّوه حتى فرغ من ذلك، ثمّ قال: أمّا ما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي فليكن لكم بي أسوة فلا يتعاظم بعضكم على بعض، وامّا حاجتي التي أستغيثكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء ان يؤخّر أجلي، فلمّا نصبوا انفسهم للدّعاء أخذهم النومُ حتى ما يستطيعون الدعاء، فجعل يوقظهم ويقول: سبحان الله ما تصبرون لي ليلة قالوا: والله ما ندري ما لنا، لقد كنّا نسمر فنكثر السمر وما نقدر عليه اللّيلة، وكلّما أردنا الدعاء حيل بيننا وبينه، فقال: يذهب بالراعي ويتفرّق الغنم؛ وجعل ينعى نفسه، ثمّ قال: ليكفرنّ بي أحدكم قبل ان يصيح الديكُ ثلاث مرات، وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلنّ ثمني. فخرجوا وتفرّقوا، وكانت اليهود تطلبه، فأخذوا شمعون، أحد الحواريين، وقالوا: هذا صاحبه .. فلمّا قالوا لشمعون عن المسيح جحد وقال: ما انا صاحبه فتركوه، فعلوا ذلك ثلاثاً، فلما سمع صياح الديك بكى واحزنه ذلك " [1].

وذكر البشيرون خيانة يهوذا وادلاء اليهود على معلمه زهاء مبلغ زهيد، وعلم المسيح ذلك غيباً، وجهر به امام حوارييه ومعهم يهوذا لعله يتوب؛ ولكنه ندم بعد فوات الاوان. فبينما كانوا مجتمعين للعشاء قال لهم: " ان واحد منكم يسلمني. فحزنوا جداً وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل انا هو يا رب. فاجاب وقال الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلمني. ان ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد. فاجاب يهوذا مسلمه وقال هل انا هو يا سيدي قال له انت قلت (مت26، مر14، لو22).

واستطرد البشيرون في ذكر الاحداث التي تبعت القبض عليه وعرضه على كل من بيلاطس وهيرودس والحكم عليه بالصلب والشروع في تنفيذ الحكم كوضع الخشبة على ظهره واقتياده إلى موضع القصاص، وتقدم سمعان القيرواني لحمله نيابة عنه، واستهزاء العامة والخاصة به، وسيادة الظلام وقت الظهيرة، وزلزلة الارض، وحتى دفن يوسف الرامي للجسد:

" فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية .. فعروه والبسوه رداء قرمزيا. وضفروا اكليلا من شوك ووضعوه على راسه وقصبة في يمينه وكانوا يجثون قدامه

---

1) ابن الأثير، الكامل، جـ1، صـ 243، 244.& الطبري، تاريخ الامم ، جـ1، صـ 431.

ويستهزئون به قائلين السلام يا ملك اليهود .. وفيما هم خارجون وجدوا انسانا قيروانيا إسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه.. ولما اتوا إلى موضع يقال له جلجثة وهو المسمى موضع الجمجمة. اعطوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرب ولما ذاق لم يرد ان يشرب. ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها لكي يتم ما قيل بالنبي اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي القوا قرعة.. وكذلك رؤساء الكهنة أيضاً وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا. خلص اخرين واما نفسه فما يقدر ان يخلصها ان كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به[1]. ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة ولما كان المساء جاء رجل غني من الرامة إسمه يوسف وكان هو أيضاً تلميذا ليسوع. فهذا تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع فامر بيلاطس حينئذ ان يعطى الجسد. فأخذ يوسف الجسد ولفه بكتان نقي. ووضعه في قبره الجديد الذي كان قد نحته في الصخرة ثم دحرج حجرا كبيرا على باب القبر ومضى" (مت27، مر15، لو23، يو17، 19).

وذكر المؤرخون الايام الاخيرة لحياة السيد المسيح على الارض، وموته وقيامته وصعوده الى السماء. وذكروا واقعة الصلب والشخصيات والحوادث التي رافقتها، ولكنهم قالوا بأن الصلب وقع على يهوذا الذي شبه لهم بالمسيح. وان اظلام الشمس وقت الظهيرة جعلهم يشتبهون في يهوذا ويصلبوه بدلا من المسيح[2]. بينما يقول البشيرون ان ظلام الارض كان لعظم شأن المصلوب. وذكروا بطرس الذي انكره وتاب، ويهوذا الذي خانه مقابل ثلاثين (درهما) من الفضة، ثم هلك. وقالوا ان يوسف النجار هو من قام بتأبينه، بينما ذكر الانجيل انه يوسف الرامي(نسبة الى بلدته الرامة). وذكروا اللصين اللذان صلبا مع (شبيه) المسيح. وذكر ابو الفدا طيباريوس القيصر الروماني، كما اشار الطبري الى هيرودس وبيلاطس كشخصين

1) " فجعلوا يقودونه ويقولون انت كنت تحيى الموتى وتنتهر الشيطان وتبرئ المجنون أفلا تفك نفسك من هذا الحبل ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك .." – الطبري، جـ1، صـ 431.

2) " قيل: ان اليهود لما دلّهم عليه الحواريّ اتّبعوه واخذوه من البيت الذي كان فيه ليصلبوه، فأظلمت الأرض، وارسل الله ملائكة فحالوا بينهم وبينه، والقى شبه المسيح على الذي دلّهم عليه، فأخذوه ليصلبوه، فقال: انا الذي دلّكم عليه، فلم يلفتوا إليه فقتلوه وصلبوه عليها، ورفع الله المسيح إليه بعد ان توفّاه ثلاث ساعات، وقيل: سبع ساعات، ثمّ أحياه ورفعه"– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 245، 236.

مختلفين[1]؛ بينما اعتقد ابو الفدا انهما اسم ولقب لشخص واحد[2]. ونقرأ في بشارة القديس لوقا[3] ان بيلاطس كان حاكما عاما على اليهودية، وان هيرودس كان واليا على الجليل. وفي رواية اخرى ذكر ابو الفدا احداث الصلب متجتمعة، قال: " ثم خرج المسيح ليلة الجمعة إلى الجبل، فسعى به يهوذا وكان أحد تلامذته إلى كبراء اليهود، واخذ منهم ثلاثين درهماً رشوة، ودلهم عليه، فألقى الله شبه المسيح على المذكور، فأخذوه وضربوه ووضعوا على رأسه إكليلاً من الشوك، وانالوه كل مكره وعذبوه بقية تلك الليلة، أعني ليلة الجمعة إلى ان أصبحوا فصلبوه بزعمهم انه المسيح، على ثلاث ساعات من يوم الجمعة، على قول متى ومرقوس ولوقا، .. وصلب معه لصان على جبل يقال له الجمجمة .. وزعمت النصارى انه مكث في القبر ليلة السبت ونهار السبت وليلة الأحد ثم قام صبيحة يوم الأحد الذي يفطرون فيه.." [4].

ثم حدثنا البشيرون عن القيامة وظهور المسيح للمريمات ثم للتلاميذ مرتين: مرة في غياب توما، ومرة أخرى بحضوره[5].

وعن ظهوره لمريم المجدلية قال يوحنا ان مريم المجدلية ذهبت الى القبر لتطييب الجثمان، ولكنها لم تجد سوى الاكفان فاخذت تبكي معتقدةً ان الجسد سرق، فظهر لها المسيح وقال لها: " يا إمرأة لماذا تبكين من تطلبين فظنت تلك انه البستاني فقالت له يا سيد ان كنت انت قد حملته فقل لي أين وضعته وانا أخذه. قال لها يسوع يا مريم فالتفتت تلك وقالت له ربوني الذي تفسيره يا معلم " (يو20).

وذكر ابو الفدا تلك الحادثة، قال:

---

1) " وكان ملك بيت المقدس في وقت الصلب لهيردوس الصغير من قبل طيباريوس بن اغوسطوس دون القضاء وكان القضاء لرجل رومى يقال له فيلاطوس من قبل قيصر " – الطبري، تاريخ الامم والملك، جـ1، صـ434.

2)" ثم استوهبه يوسف النجار من الحاكم الذي كان على اليهود، وكان إسمه فيلاطوس(بيلاطس)، ولقبه هرذوس(هيرودس)، ودفنه في قبر كان يوسف المذكور قد أعده لنفسه" – ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 1، صـ56.

3) وفي السنة الخامسة عشر من سلطنة طيباريوس قيصر اذ كان بيلاطس البنطي واليا على اليهودية وهيرودس رئيس ربع على الجليل" (لو3 :1).

4) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 1، صـ 117.

5) مر16 :14 ، يو20 :24 –29، مت28 :16 –20 ، مر16 : 15 –18.

" ثم انزل الله المسيح من السماء إلى أمه مريم وهي تبكي عليه، فقال لها: ان الله رفعني إليه ولم يصبني إلا الخير، وامرها فجمعت له الحواريين، فبثهم في الأرض رسلاً عن الله، وامرهم ان يبلغوا عنه ما أمر الله به، ثم رفعه الله إليه، وتفرق الحواريون حيث أمرهم "[1].

وبالفعل زَفَّتْ المجدلية بشرى القيامة المجيدة الى التلاميذ، فانطلقوا الى الجليل حيث ترأى لهم " ولما راوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا. فتقدم يسوع وكلمهم قائلا دفع الي كل سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم بإسم الاب والإبن والروح القدس. وعلموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به وها انا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر " مت28.

وذكر مرقس ولوقا البشيران صعوده إلى السماء: " ثم ان الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله. واما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالايات التابعة امين " (مر16، لو24)

وذكر ابو نقلا عن ابي الفتح الشهرستاني خبر ارسالية المسيح للتلاميذ[2]. كما ذكر فترة وجود السيد المسيح على الارض منذ ميلاده من العذراء وحتى صعوده الى السماء بثلاثة وثلاثين سنة ونيف[3]. وبعد صعود السيد المسيح إلى السماء أخذ الرسل على عاتقهم مهمة التبشير والكرازة مبتدئين بالاقربين في اورشليم فاليهودية فالسامرة ثم الكرازة للعالم اجمع. وكان قبول الإيمان يتم بالتسليم الشفهي. ثم ارشد الروح القدس الرسل إلى تدوين البشارة المفرحة فيما عرف بالبشائر الاربعة التي دونها من الرسل متى ومرقس ولوقا ويوحنا. ثم دون بعض اخر الرسائل الرعوية. والتي تقدم صورة جلية لحياة الكنيسة في عصر الرسل. وهم الذين سجل القديس لوقا أخبارهم فيما يعرف بسفر اعمال الرسل. والذي انتشر كغيره من الأسفار في ارجاء العالم حتى انه بلغ شبه الجزيرة فتلقفته اقلام المؤرخين. ورووا عنه اخبارا كثيرة.

1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 1، صـ56.

2) " قال الشهرستاني: ثم ان أربعة من الحواريين وهم: متى ولوقا ومرقس ويوحنا، اجتمعوا وجمع كل واحد منهم انجيلاً، وخاتمة انجيل متى ان المسيح قال: اني أرسلتكم إلى الأمم كما أرسلني أبي إليكم، فاذهبوا وادعوا الأمم بإسم الأب والإبن وروح القدس"– ابو الفدا، المختصر، جـ 1، صـ 56.

3)" وجملة ما عاشه المسيح إلى ان رفعة الله ثلاثاً وثلاثين سنة وثلاثة أشهر، فيكون رفعه بعد موت أغسطس بنحو ثلاث وعشرين سنة والذي ملك بعد أغسطس طبياريوس"– ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 1، صـ 57.

فتحدث ابن الأثير عن استشهاد استفانوس[1]، ويعقوب. وعن سجن بطرس[2] بأمر هيرودس وفي أيام كلوديوس قيصر، ثم مقتل بولس وبطرس الرسولين بأمر نيرون الطاغية الامر الذي وصل إلينا من خلال مؤرخي الكنيسة مثل يوسابيوس القيصري، وابن بطريق[3] . قال ابن الاثير:

" ثم ملك بعده – بعد طيباريوس– إبنه غايوس أربع سنين، وهو الذي قتل اصطفنوس رئيس الشمامسة عند النصارى ويعقوب أخا يوحنّا بن زبدي، وهما من الحواريّين، وقتل خلقاً من النصارى.. ثم ملك قلوديوس بن طيباريوس أربع عشرة سنة، وفي ملكه حبس شمعون الصفا، ثم خلص شمعون من الحبس وسار إلى انطاكية، فدعا إلى النصرانية، ثم سار إلى رومية فدعا أهلها أيضاً، ... ثمّ ملك نيرون ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر، وفي آخر ملكه قتل بطرس وبولس بمدينة رومية وصلبهما منكّسين، وفي أيامه ظفرت اليهود بيعقوب بن يوسف، وهو أول الاساقفة بالبيت المقدس "[4].

ونسب ابن الأثير قصة العثور على خشبة الصليب إلى زوجة كلوديوس بينما نسبها ابو الفدا إلى هيلانة[5] زوجة قسطنطين الكبير وفق ما ذكره السابقون من المؤرخين.

---

1)" فكانوا يرجمون استفانوس وهو يدعو ويقول أيها الرب يسوع اقبل روحي. ثم جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم يا رب لا تقم لهم هذه الخطية واذ قال هذا رقد " (اع 6).

2)" وفي ذلك الوقت مد هيرودس الملك يديه ليسيء إلى اناس من الكنيسة. فقتل يعقوب اخا يوحنا بالسيف. واذ راى ان ذلك يرضي اليهود عاد فقبض على بطرس أيضاً .. فكان بطرس محروسا في السجن واما الكنيسة فكانت تصير منها صلاة بلجاجة إلى الله من اجله .. واذا ملاك الرب اقبل ونور اضاء في البيت فضرب جنب بطرس وايقظه قائلا قم عاجلا فسقطت السلسلتان من يديه. وقال له الملاك تمنطق والبس نعليك ففعل هكذا فقال له البس رداءك واتبعني. فخرج يتبعه وكان لا يعلم ان الذي جرى بواسطة الملاك هو حقيقي بل يظن انه ينظر رؤيا. .. " (اع12).

3)" واخذ نارون قيصر لبطرس فصلبه منكسا وقتله لان بطرس قال له : ان اردت ان تصلبني فاصلبني منكسا لئلا اتشبه بسيدي المسيح فانه صلب قائما . وضرب عنق بولس بالسف " – سعيد بن بطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت 1905، صـ97.

4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 249.

5) " ان بيت القدس، بعد ان خربه طيطوس التخريب الثاني حسبما ذكر تراجع إلى العمارة قليلا قليلا، واعتنى به بعض ملوك الروم .. حتى سارت هلانة أم قسطنطين إلى القدس في طلب خشبة

وتحدث المؤرخون[1] عن التدمير الذي لحق بالهيكل والمدينة المقدسة على يد فاسبسيانوس وابنه تيطوس في حوالي عام سبعين للميلاد فذكره الطبري وابن الاثير. وابو الفدا، وابن بطريق. ويرجع الفضل في ذكر تلك الاحداث الى يوسيفوس الذي كان شاهد عيان لها. وعنه اخذ المؤرخون المسيحيون، وعنهم اخذ المؤرخون المسلون تلك الاخبار. وكان السيد المسيح قد سبق واخبر التلاميذ بما سوف يحل بالمدينة وامرهم بهجرها حالما تظهر رجسة الخراب في البيت المقدس (مت23).

وذكر لنا سفر اعمال الرسل الكثير من الايات التي تبعت الرسل من بينها شفاء مقعد على يد القديس بطرس(اع3 :1). ومنها اطلاق الملائكة للمحبوسين من الحواريين(اع 5). واشار القديس لوقا الى كثرة الآيات التي رافقت رسالة التبشر الرسولية في الأصحاح الخامس من سفر اعمال الرسل[2]. ومن الايات أيضاً شفاء شخص مصاب بالفالج اسمه اينياس في مدينة تدعى لدة واقامة فتاة من الموت في يافا(اع9 :32). ومنه حجب البصر عن ساحر مضل في بافوس(اع13 :1). وتبع هذه الآية أيضاً انضمام عدد كبير للدين الجديد كما وجد أيضاً مقاومين للحق وتمثل ذلك في ذوي المناصب من الولاة والكهنة(اع 4 :3).

واشار ابن الاثير الى بعض الآيات التي اجراها الله على ايدي الرسل. وذكر ما تعرضوا له من الاضطهاد فقال بان اثنين من الحواريين ذهبا الى انطاكية. وهناك تعرفا الى شيخ له ابن مريض منذ سنين فصليا من اجله فشفي فآمن ابوه، ففشا الخبر في المدينة، وشفى الله على أيديهما كثيراً من المرضى ثم قبض عليهما ملك

المسيح التي تزعم النصارى ان المسيح صلب عليها، ولما وصلت إلى القدس، بنت كنيسة قيامة، على القبر الذي تزعم النصارى ان عيسى دفن به " – ابو الفدا، المختصر، جـ 1، صـ 58.

1) " ثمّ ملك اسفسيانوس، وهذا الذي وجّه إبنه طيطوس إلى البيت المقدس فهدمه وقتل من بني إسرائيل غضباً للمسيح، ثم ملك إبنه طيطوس "– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 247، 250. & الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1، صـ435. & ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 1، صـ 84& سعيد بن بطريق، التاريخ المجموع ، بيروت 1905، صـ 97 ، 98.

2)" وجرت على ايدي الرسل ايات وعجائب كثيرة في الشعب .. وكان مؤمنون ينضمون للرب اكثر جماهير من رجال ونساء. حتى انهم كانوا يحملون المرضى خارجا في الشوارع ويضعونهم على فرش واسرة حتى اذا جاء بطرس يخيم ولو ظله على احد منهم. واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى اورشليم حاملين مرضى ومعذبين من ارواح نجسة وكانوا يبراون جميعهم "(اع 5).

المدينة وحبسهما بعد ان امر بضربهما مائة جلدة. ثم أمر " فجيء بغلام مطموس العينين موضعهما كاللحمة، فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر، واخذ بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما. فعجب الملك لذلك فقال: ان قدر إلهكما الذي تعبدانه على إحياء ميت آمنا به وبكما. قالا: ان إلهنا قادر على كل شيء. فقال الملك: ان ها هنا ميتاً منذ سبعة أيام فلم ندفنه حتى يرجع أبوه وهو غائب، فأحضر الميت وقد تغيرت ريحه، فدعوا الله تعالى علانياً وشمعون يدعو سراً، فقام الميت فقال لقومه: اني مت مشركاً وادخلت في أودية من النار وانا أحذركم ما انتم فيه. ثم قال: فتحت أبواب السماء فنظرت فرأيت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة. فقال الملك: ومن هم؟ فقال: هذا، واومأ إلى شمعون، وهذان، واشار إليهما، فعجب الملك، فحينئذٍ دعا شمعون الملك إلى دينه، فآمن قومه، وكان الملك فيمن آمن وكفر آخرون. وقيل: بل كفر الملك واجمع هو وقومه على قتل الرسل"[1].

1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ1، صـ 282 ، 283.

اهم المراجع

- الكتاب المقدس
- المطهر بن طاهر المقدسي، كتاب البدء والتاريخ، القاهرة.
- احمد بن يوسف القرماني، أخبار الدول واثار الأول في التاريخ، المجلد الأول، بيروت.
- ابن الأثير، الكامل في التاريخ،.
- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر.
- المسعودي، أخبار الزمان،
- ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر.
- الطبري، تاريخ الامم والرسل والملوك،
- جواد على، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام،
- جورجي زيدان، تاريخ العرب قبل الإسلام
- لويس شيخو اليسوعي، النصرانية وادابها بين عرب الجاهلية
- سعيد بن بطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق،